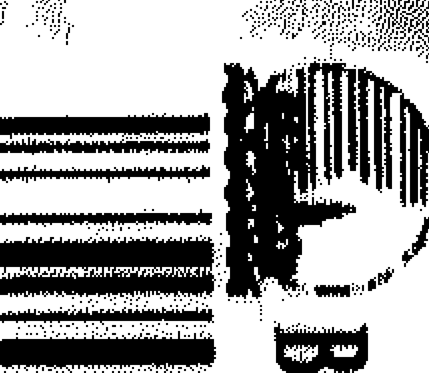
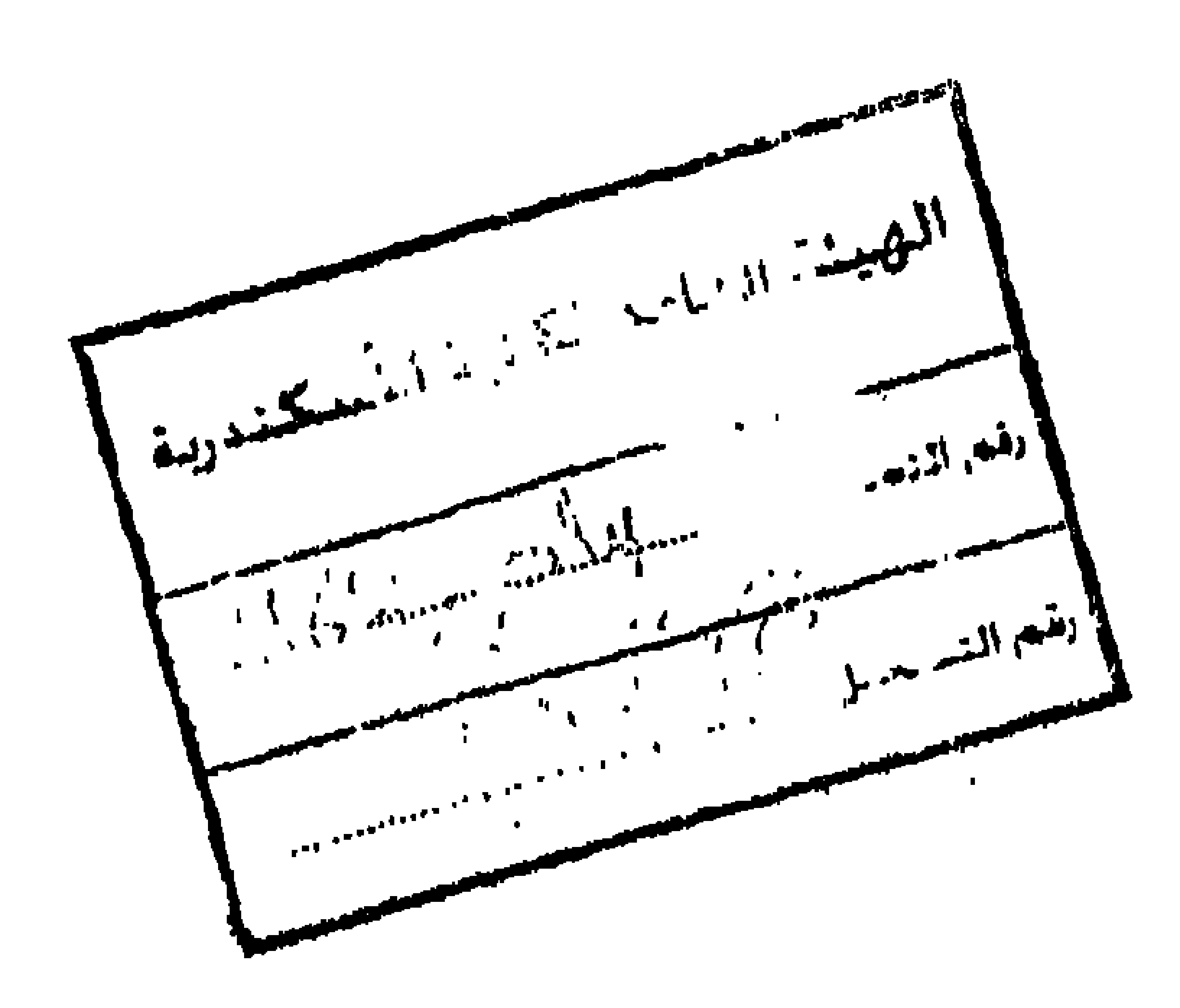
كتاب التعاون السياسي

معارك الثورة العرابية



المؤرخ العسكري
محمد فيصل عبد المنعم

كتاب التعاون السياسي



معارك الثورة العرابية

المؤرخ العسكري

محمد فيصل عبد المنعم

تقديم : الدكتور محمود متولي

مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر

رئيس مجلس الادارة

كتاب التعاون السياسى

ممدوح رضا

الاشتراكات والمراسلات

طريق المعادى الزراعى - القاهرة - تليفون ٩٨٢٥٣٣ - ٩٨٢٧٣٤

تلكس دولى ٩٢٦٢٨

الاهـــــداء

الى مصر ...

التى وهبتها

سيفى وقلمى ودمى ..

محمد فيصل عبد المنعم ..

محتويات الكتاب

الفهرست التفصيلى

خسائر الأسطول البريطـــانى ـ شهادة القس « لويس صابونجى » للتاريخ •

الفصل الرابع : معارك الجبهة الغربية (كفر الدوار)

خطط الجانبين بعد احتلال الاسكندرية ـ الاجراءات الدفاعية المصرية ـ توفيق يصرح باحتلال الاسكندرية ـ توزيع القوات البريطانية بالاسكندرية ـ لماذا حاول الخديوى اســتدراج « عرابى » ؟! ـ الخديوى يعزل « عرابى » ـ ســلطان تركيا يعلن عصــيان « عرابى » خطط الجانب البريطانى ـ قصف القطار المصفح بالصواريخ ـ معــارك كفر الدوار ـ المصريون يصبون نيرانا حامية ـ الانجليز يتراجعون ـ القادة الانجليز ليسوا فوق مستوى الشــبهات ـ الهجوم البريطانى الثانى على منطقة كفر الدوار ـ عرابى يصف القتال فى كفر الدوار ـ لله درطوبجيتنا ـ قائد المعركة يصـــف القتــال ـ الانجليز يستنجدون •

الفصل الخامس : معارك الميدان الشرقى :

بريطانيا تدعم قواتهــا فى مصر ـ برقية القــائد البريطــانى الخداعية ـ القوات الهندية تتحرك ـ توزيع القيادات المصرية الخطة البريطانية لاحتلال مصر ـ الخــديوى « توفيق » يفوض الانجليز لاحتلال القناة ـ خطاب الخديعة البريطانية ـ احتلال « نفيشة » ـ معركة « المجفر » ـ الدفاعات المصرية تصطــدم بطلائع القوات البريطانية ـ معركة « تل المسخوطة» ـ الخطة البريطانيــــــة ـ أسر رئيس أركان الجيش المصرى ـ إستيلا الانجليز على « المحسمة » و « القصــاصين » ـ معركة القصاصين الأولى ـ عرابى يقرر القيام بهجوم عاجل ـ خطة الهجـــــوم المصرية ـ تحت ستر نيران المدفعيــــة ـ

تقـــــديم

بقلم : الدكتور محمود متولى

هذا أول عمل علمى تنشره « وحدة الدراسات السياســية والتاريخية »لمؤسسة دار التعاون ولا شـــك أن نشر هذا العمل وتوقيته تحية لصفحة من تاريخنا المصرى الحديث بمناســبة مرور مائة عام على الثورة العرابية ٠

والواقع أنه لم تتعرض ثورة وطنية فى حياة أمة من الأمم أو شعب من الشعوب لتقييم متناقض كما تعرضت الثورة العرابية وذلك تمثل فى الكثير من اقوال المؤرخين قبل سنة ١٩٥٢ وبعدها ٠ كما تعرضت هذه الثورة لجملة من سياط التعبيرات المطلقة والســـهلة تدمغها اجمالا بالعفوية وبانها اضرت أكثر مما نفعت فمن « هوجه » الى « عصيان » الى « تمرد » الى « حركة » الى « طيظة » خلال العهد الملكى الى ثورة بلا أخطاء ، الى نموذج متكامل للثورة ، الى قفزة وطنية رائعة وتحدى للغزو الأجنبى ... الى غير هذه العبارات فى العهد الجمهورى ٠ قللنا من قيمتها فى الماضى ونبـالغ فى أهميتهـــا فى الحاضر وكلا وجهتى النظر فى حاجة الى تعـديل ٠ لأن التصـــور السطحى للأحداث التاريخية فى حياة الشعوب يكون ثمنه فادحا كما أن الاهدار غير المقبول للحركات الوطنية يصيبنا بانكسار خاد فى نضالنا المتصل ٠

ولعل الكتاب الذى بين أيدينــا الآن من الـكتب التى حوت فصلا من أحداث الثورة العرابية التى لم يتعرض لهـا الـكثير من

المؤرخين وهو الوجه العسكرى بالنسبة للشـــورة العرابية وظن الكثيرون ممن درسوا الثورة فى عجالة أن مصر لم تناضل الانجليز الا فى كفر الدوار وأنها سرعان ما استسلمت فى الميـدان الشرقى

ولكن الواقع التاريخى كان غـير ذلك تمـاما وهذا ما تثبتـه سطور الكتاب الذى بين أيدينـــا ، والذى اســـند الى مجموعة من الوثائق التاريخية التى لا تقبل الشك ومزودا بالمصادر التاريخية الجادة التى تجعله بحق اضافة للمكتبة العربية ٠

ورغم أن تخصص المؤلف الناحية العسكرية الا أنه بالطبع لم يقصر فى عرض بعض الظروف السياسية التى أدت الى أسـباب ودوافع المعارك الحربية ولذا جاء الكتاب شاملا لدراسـة المعـارك الحربية التى خاضتها الثورة العرابية ٠

والواقع أن هذه الدراسة ما هى الا اسهام متواضع تقدمها وحدة الدراسات السياسية والتاريخية كباكورة انتاجها بالنسـبة للدور الذى ألقى على عاتقها فى نشر الثقافة السياسية والتاريخية بأسلوب علمى متواضع وهو دور لا يستهان به فى وقت اصـبحت للكلمة فيه تأثير اقوى من المدفع وللرأى العام المستنـير قدرة على الفهم والوعى يمكن من خلالها أن يحاط الوطن بســياج قوى من الايمان للدفاع عنه ٠

والذى لا شك فيه ن الثورة العرابيـة قامت فى ظروف تختلف عن ظروفنا الحالية مما يجعل حكمنا عليها وفقا لمقاييس عصرنا حكما ظالما ٠ ويكفى أن نقول أنها ثورة الشعب المصرى متضامنا مع قواته المسلحة التى خرجت كطليعة له تطالب من نظام الحكم الخديوى أن يحقق الديمقراطية ويصـــدر دســـتورا ويقضى على تحكم طبقـــة الشراكسة فى السيطرة على الجيش ٠ كانت بحق ثورة ضد الغـزو الأجنبى للاقتصاد المصرى ٠ وللحق حققت الثورة خلال ســنواتها

الثلاثة الكثير مما كانت تطالب به · فقد تشكل مجلس نيابى واع لم يصدر قرارا واحدا ضد مصلحة الشعب · وداخل هذا المجلس ظهرت صورة المعارضة البرلمانية الجادة بحيث يمكن بحق أن يقال ان برلمان سنة ١٨٨١ كان هو برلمان الشعب كله ، وكان دستور سنة ١٨٨٢ طفرة نحو الحياة الدستورية المصرية ·

كانت مصر خلال أحداث الثورة بحر من الوطنية وتلاحم بين قوى الشعب المختلفة ولولا التدخل الاجنبى وبصفة خاصة البريطانى ما كانت الثورة فشلت ـ وذلك باعتراف كرومر نفسه ـ ولولا اللطمة القوية التي أصابت عرابى نتيجة لمنشور الكفر والعصيان الذى أصدره السلطان عبد الحميد الثانى ما تخلت الجماهير عن الثورة العرابية فى وقت كانت محتاجة الى تأييد هذه الجماهير ولكن العذر مع هؤلاء السذج الذين كانوا لا يعرفون الا الولاء الدينى وذلك هو الوتر الذى استغلته الكثير من القوى الغازية لمصر للتفرقة بين الشعب وزعمائه من القادة الوطنيين لان الوطنية لم تكن بعد قد ملكت نفوس هذه الجماهير والوطنية لا تعنى الكفر والالحاد ولكنها تعنى الولاء للارض والوطن ضد كل ألوان السيطرة والتبعية وقد ظهر من خلال الثورة العرابية أن الجميع كانوا يريدون الانقضاض على مصر بما فى ذلك الدولة العثمانية والمفروض فيها انها كانت تدافع عن كل أرض اسلامية ضد قوى الغزو الأجنبية ·

لولا الخيانة من جانب بعض قادة الثورة العرابية فى المجال العسكرى مثل الضابط على يوسف «خنفس» و « أحمد عبد الغفار » وغيره ما كان الانجليز قد نجحوا فى هزيمة العرابيين فى التل الكبير وشراء ذمم بعض العربان ولولا انحياز العناصر البارزة من المدنيين أمثال السيد الفقى من المنوفية ومحمد سلطان من المنيا وغيرهم ما كانت قد تفتت الجبهة الداخلية وانقسم الشعب بين الولاء للخديوى وبين الولاء للثورة ·

صحيح أن عرابى كانت له وأصحابه بعض الأخطاء التى ارتكبت بحسن نية ولكن لن يغفرها التاريخ لأن الثورية فى بعض المواقف لا تعرف أنصاف الحلول كما أن عدم الحسم فى اتخاذ القرار المناسب فى الوقت الناسب كثيرا ما اضاع سنينا من عمر الشعوب ٠

لو أن عرابى أغلق قناة السويس ما كان قد نجح الانجليز فى القدوم من الشرق من خلال القنال ونزلوا الى البر ، لو أن عرابى أطاع عبد الله النديم فى التخلص من بعض الضباط الذين حدثت منهم ريبة وشك ما كان يمكن هزيمة الجيش العرابى ، ولو أن عرابى كان قد انتهز الفرصة وأعلن خلع توفيق لأنه خان القضية الوطنية ٠٠ ولو كثيرة فى حياة الاحداث التاريخية لكنها لن تغير من الواقع شيئا ٠

ولكن لا يجب أن ينسى شبابنا أن عرابى الذى ولد فى ٢٤ مارس سنة ١٨٤١ والذى لم يكمل تعليمه العالى والذى رقى من نفر تحت السلاح حتى وصل الى رتبة الأميرالاى لم تكن له الخبرة العسكرية الكافية لمواجهة الانجليز وكان لاستهانته بقوات هؤلاء البرية وقدرتهم على خوض المعارك بعيدا عن البحر سببا فى الاستهانة بعدوه ، وعلى مدار حركة التاريخ فان الجهل بالعدو وعدم تقييمه التقييم الصحيح فان ذلك لكفيل بضياع الفرص لتحقيق النصر ٠ نقول أن عرابى الذى تلقى تعليمه الأولى فى احدى كتاتيب قرية « هرية رزنة » القريبة من الزقازيق عاصمة مديرية الشرقية ثم درس أربع سنوات فى الأزهر وشارك كادارى فى الجيش فى حرب مصر / الحبشة سنة ١٨٧٥/١٨٧٦ وعمل ياورا لسعيد باشا لم تلبث الحياة ان صقلته لأنه عانى فى عصر اسماعيل بل وظلم فى أوئل عهد توفيق ورغم كل ظروفه الا أنه تحمل مسئولية الأمانة الوطنية التى حمله اياها زملاءه وشعبه ومن

يطلع على وثائق « عابدين » أو وثائق دار المحفوظات بالقلعة عن حجم التلغرافات وأسلوب ادارة المعركة خلال أحداث الثورة العرابية ليذهل ويصاب بالدهشة من تلك القدرة العجيبة التى كانت لدى عرابى ولا يملك الا الانحناء له ٠

وسيظل يوم ٩ سبتمبر يمثل منحنى فى حياة الشعب المصرى لانه ذلك اليوم الذى وقف فيه عرابى فى مواجهة حاكم مصر ليقول له أمام قناصل الدول : ــ « نحن لسنا عبيدا ولن نورث بعد اليوم » لقد كانت صيحة الحرية ٠٠٠ صيحة الايمان بالوطنية أطلقها القائد وهو على ثقة ويقين أن الله معه لأنه يدافع عن حرية المظلومين ويرفع صوت الشعب الى ظالميه اننا لن نرضى بظلم بعد اليوم ٠٠٠

وستظل أسماء مثل « محمد عبيد » و « عبد الله النديم » و « على الروبى » و « طلبة عصمت » و « على فهمى » و « عبد العال حلمى » لامعة فى سجل الوطنية المصرية وستبقى دعوات الشعب المصرى « الله ينصرك ياعرابى » خالدة على مر الزمن ٠

والذى لاشك فيه أن الذين يأخذون الامور بسطحية يلعنون الثورة العرابية على أنها كانت السبب فى الاحتلال البريطانى ويقفون منها موقفا متجنيا ٠٠٠ ان هؤلاء لا يحكمون نظرة الفكر الثاقب ولا يدركون أعماق ما كان يدور ٠٠٠ لقد كانت عين بريطانيا لا تنام وهى فى حالة قلق مستمر لأنها منذ حملة بونابرت على مصر سنة ١٧٩٨ وهى ترنو ببصرها على ذلك الموقع الاستراتيجى الهام وكانت تريد الاستيلاء عليه بأى ثمن ، رفضت الجلاء بقواتها التى جاءت الى مصر لتشارك فى اخراج الحملة الفرنسية وتحت ظروف الضغط الدولى اضطرت للجلاء بجنودها سنة ١٨٠٣ عقب توقيع اتفاقية أو معاهدة « أميان » مع فرنسا ٠ ثم حاولت أن تعيد الكرة سنة ١٨٠٧ فيما عرف بحملة « فريزر »

ثم وقفت ضد محمد على وكانت على رأس الدول التى حطمت الأسطول المصرى التركى سنة ١٨٢٧ فى معركة « نوارين » البحرية خلال حرب المورة ثم كانت هى التى قضت على نظام محمد على الاحتكارى ومهدت لغزو رأس المال الاجنبى سنة ١٨٣٢ ثم هى التى وقفت مع السلطان ضد مصر وحددت حجم مصر وقواتها المسلحة وقلصت دورها فى المشرق العربى وجن جنون بريطانيا عند بدء مشروع قناة السويس ولم تستكين حتى نجحت فى صفقة اسهم قناة السويس التى كانت تمتلكها مصر حيث اشترتها بأبخس ثمن سنة ١٨٧٥ ثم أرسلت الى الخديوى اسماعيل بعثة « كيف » المالية لتعرف أدق الأسرار عن الحالة المالية فى مصر ، وكانت بريطانيا وراء عزل اسماعيل باشا فى ٢٥ يونيو ١٨٧٩ وتوليه ابنه توفيق الضعيف المتردد الخائن الذى وضع نفسه منذ اليوم فى خدمة الاجانب وان كان يتظاهر أنه مع الثورة .

ولما جاءت الفرصة لبريطانيا لاحكام قبضتها على مصر فوجئت بأحداث الثورة العرابية فعرفت أن احلامها ستضيع أن نجحت هذه الثورة وان قبض الوطنيون على زمام الأمور فى مصر فتظاهرت بأنها ترقب الحوادث فى مصر ثم بدأت تغازل الخديوى وهى عالمة بأسراره ودخائله وساندته ضد شعبه من خلال المذكرة المشتركة الأولى والثانية ثم تثبت الاحداث التاريخية أن مذبحة الاسكندرية دبرتها بريطانيا مع عميل الخديوى محافظ الاسكندرية فى ذلك الوقت المدعو « عمر لطفى » وليس أدل على ذلك من أن المالطى الذى كان سببا فى المشاجرة التى من خلالها تم اندلاع المذبحة هذا المالطى كان يعمل بدار القنصلية البريطانية فى الاسكندرية وأن اخاه كان السائق الخاص للقنصل البريطانى .

كل ما نود ان نقوله أن بريطانيا كانت تريد مصر منذ أكثر من ثلاثة أرباع قرن وان الثورة العرابية كانت ستارا للتدخل

البريطاني بحجة حماية السلطة الشرعية وبالتالى لا يمكن القول بان الثورة العرابية كانت السبب فى وقوع الاحتلال البريطانى وانما الادق أن نقول أنها كانت الفرصة المناسبة لتحقيق حلم بريطانيا في السيطرة على مصر والذى كان سيتم ان عاجلا أو آجلا

بقى أن نقول أن مصر الثائرة الحرة الأبية تثور دوما من خلال اطار محدد قاعدته الاعتداء على أرضها أو النيل من عقيدتها او محاولة سرقة أقواتها .

ومهما قيل فان الثورة العرابية كانت نتاج ظروف قاسية احاطت بالمجتمع المصرى ، شارك فيها كل الطبقات كل بنصيبها ولما شعر البعض أن الثورة بصدد الاعتداء على مصالحه بدأ ينسحب على استحياء والبعض رأى الانضمام للجانب المعادى تحت ستار الاغراءات .

ورغم ماحدث فان لعرابى وأقرانه مكانة فى قلوب الاحرار الا أننا نؤكد حقيقة تاريخية وهى أن الزعماء يأتون ويرحلون وهم ليسوا بمخلدين ولكن يبقىالشعبودوما مخلد بما يلد وما يعطى وما يقدم لأنه من الأبد موجود وسيظل الى الأبد له وجود .

رحم الله عرابى وأصحابه فقد جاهدوا بقدر استطاعتهم ليعطوا لوطننا حقه فى الحرية والديمقراطية والسلام والرخاء فان لم يكونوا قد نجحوا فى ذلك فهم على الأقل وضعوا بذور هذه المبادىء من أجل الاجيال التى أتت من بعدهم .

دكتور/محمود متولى

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر

كلية الأداب ــ جامعة المنيا

ورئيس وحدة الدراسات السياسية والتاريخية

مقدمة المؤلف

وثيقة للتاريخ .. وليست دفاعا اعمى !!

يقول الفيلسوف العربى « ابن خلدون » :

« أن المؤرخين والمفسرين كثيرا ما وقع لهم من المغالط فى الحكايات والوقائع لأعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا أو سمينا دون أن يعرضوها على اصولها ، أو يقيسوها بأشباهها أو يحكموا النظر والبصيرة فى الأخبار ، فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط .. »

ولسنا نجد كلمات تعبر عما وقعنا فيه بشأن الثورة العرابية باوضح مما تعبر هذه المقولة الحكيمة لابن خلدون ..

فبعض مؤرخينا وصفوا ثورة « عرابى » بانها فتنة «عسكرية» أو « هوجة هوجاء ونقطة سوداء » فى حين وصفها البعض الآخر بأنها « مهزلة » بعد أن حمل « عرابيا » وحده دون سواه مسئولية انقسام البلاد الى معسكرين هما معسكر الخديو « توفيق » ومعسكر الثوار ..

بل رأينا بعض المؤرخين يوكدون فيما كتبوا أنه لولا قيام « أحمد عرابى » بثورته ضد الأنجليز وضد الخديو ، لما وقعت مصر تحت الاحتلال البريطانى البغيض الذى جثم على أنفاسها نيفا وسبعين سنة .. !

هل استوعبوا روح التاريخ ؟ ! :

وفى رأينا أن هؤلاء الذين قاموا – فى قسوة بالغة – بفتح النار على الثورة العرابية وعلى قائدها وحملوا « أحمد عرابى »

وحده آثار الفشل الذى حل بها ، أنما وقعوا أســـرى تلك المقولة التي تقول « أن للنصر مائة أب •• أما الهزيمة فيتيمة الابوين » ••

وأستطيع ان أطلق لخيالى العنان لاتصور آيات المجد والفخار التى كانت سوف تسبغ على الزعيم احمد عرابى فيمـــا لو كانت الثورة التى قادها كتب لها النجاح لسبب أو لآخر لتفشل بريطانيا العظمى فى أحكام قبضتها على مصر •• !! •

وأن الأمر ليستحق منا وقفة قصـــيرة نتبســـاءل فيها : هل استوعبوا روح التاريخ •• وهل لو لم يقم عرابى بثورته الشعبية هذه لسلمت مصر من الاحتلال البريطانى حقا !!

وهل لو انصـــاع « عرابى » وقبل أنذار الاميرال المتعجرف « بوشامب سيمور » بتســـليم الطوابى والمـــدافع اليه ، هل كان « سيمور » سيرتضي من الغنيمة بالأياب ويترك المهمـــة التى جـــاء خصيصا من أجلها عبر البحار ؟؟ وفى ايجـــاز ايجـــاز غير مخل ، سنحاول الاجابة على هذه التساؤلات أولا ••

فاننا نستطيع أن نقرر أن عين بريطانيا لم تذهب بعيدا عن مصر منذ أواخر القرن السابع عشر ، بسبب تاريخ هذه الدولة التى كانت آنذاك تمثل قمة الاستعمار فى العالم وارتباط هذا التاريخ بهذه المنطقة من الشرق الأوسط وهى بعينها قلب العالم القـــديم وملتقى قاراته وطرقه البحرية والبرية جميعا •• !!

ولعلنا هنا نذكر بالحروب الصليبية التى قامت من أجلها أوربا بأسرها فى القرن الثامن عشر الميلادى متسترة وراء الصليب ـ وهو منها براء ـ لترسل جيوشها لاقامة مملكة بيت المقدس فى فلسطين ولسنا بحاجة هنا للتذكير بأن الجيوش التى قدمت من أوروبا أنمـــا كانت تضم جيشا بريطانيا بقيادة الملك « ريتشارد الثانى » ملك

انجلترا بعد أن ضم اليه جيشا فرنسيا بقيادة ملك فرنسا وجيشا ألمانيا بقيادة « فردريك بربروسا » ..

وبما أن التاريخ يعيد نفسه ، فقد رأينا كيف عاد ملكي فرنسا وألمانيا من حيث جاءا ، ليخلو الميدان للملك ريتشارد الملقب بقلب الأسد ، والذى خاض قتالا مريرا من أجل القضاء على صلاح الدين الذى تجرأ وقاد جيوش المسلمين فى جرأة وحكمة لتحرير أرض السلام من الغزاة ..

وتقع مصر تحت الاحتلال العثمانى الذى أدخلها عصر الظلمات ردحا طويلا من الزمن .. ولكن بريطانيا العظمى لم تنس قط أن فرنسا ـ غريمتها التقليدية ـ كانت قد سبقتها الى مصر فى عام ١٧٩٨ فى تلك الحملة الفرنسية التى قادها « نابليون بونابرت » وفى ذهنه أحلام امبراطورية الشرق فى مصر قلب العروبة النابض وقلعتها الصامدة ..

يومها « اعلن بونابرت » :

« أن مصر ممر تجارى هام بين الشرق والغرب .. وأنها اذا فتحت فلن تقوم لبريطانيا قائمة فى بلاد الهند .. وخصوصا بعد شق قناة مائية بين النيل والسويس ! » لهذا لم يكن غريبا أن تدفع بريطانيا بجيوشها من جديد ـ فى أعقاب انتهاء حلم بونابرت الكبير ـ فى محاولة فاشلة لاحتلال مصر ضربت فى رشيد . ولكن بريطانيا ظلت تتحين الفرصة الملائمة بعد أن وضعت هدف احتلال مصر على جدول الأعمال ..

كان « محمد على » يعى تماما أطماع الانجليز فى مصر ، الأمر الذى دفعه الى رفض شق القناة البحرية التى تصل ما بين البحرين الأبيض والأحمر ، معبرا عن هذا التخوف بقوله :

« أنا لا أريد أن أجعل وادى النيل ممرا دوليا .. فنحن

لا نريد بوسفورا جديدا ٠٠ ! » الا أن أحفاده بدأوا من بعده وكأنما يسعون الى تقديم الذريعة المناسبة لبريطانيا التى كانت فى ذات الوقت تتحرق شوقا الى الانقضاض على مصر من جديد ٠٠

فبعد أن تم افتتاح قناة السويس للملاحة الدولية ، بدأ الخديوى « اسماعيل » سياسته التى دعت بريطانيا الى دس أنفها فى شئون مصر الداخلية ، بعد أن طلب الخديوى من انجلترا أيفاد أحد الخبراء لانقاذ الحالة الاقتصادية للبلاد والتى كانت على شفا الانهيار التام ٠٠

وهكذا بدأت المأساة تتم فصولا ٠٠ بعد أن أنشأ المستر « كيف » فى مصر رقابة عامة رهنت موارد الدولة وأراضيها ، ولجأ الى أغرب الطرق فى تحصيل الضرائب واحالة مئات الضباط المصريين دون غيرهم - الى الاستيداع والتقاعد ، وتتداعى الأحداث حتى تصل بنا الى وقفة « عابدين » الشهيرة التى قادها الزعيم « أحمد عرابى » ليطالب فيها خديوى مصر « توفيق » برفع الظلم وأنهاء التدخل واقامة حياة نيابية سليمة ٠٠

وهكذا نصل الى ذروة أحداث الثورة ٠

لقد رات بريطانيا العظمى فى ظهور الزعيم « أحمد عرابى » الذريعة المنشودة لتحقيق حلمها القديم فى غزو مصر وأحكام قبضتها عليها ٠٠

وكما أرسلت بريطانيا جيشها منذ نحو ستمائة عام للقضاء على صلاح الدين واقامة مملكة بيت المقدس ، تغيرت الأسماء والتواريخ فقط ٠٠ أرسلت هذه المرة الأميرال « بوشامب سيمور » على رأس ثمانية بوارج مدرعة ضخمة للتحرش بهذا الزعيم الجديد الذى تجرأ وطالب بحق هذا الشعب فى الحياة المستقلة الكريمة ٠ ٠ولكن تحت دعوى حماية الخديوى هذه المرة ٠٠

وكما حدث أيام الحروب الصليبية ، أنسحب الأسطول الفرنسى من مياه الاسكندرية قبيل نشوب القتال بقليل ، وهاهنا لا يضيع « سيمور » لحظة واحدة ٠٠ فهو يصر على أن الحصون المصرية الدفاعية على ساحل البحر فى الاسكندرية تمثل خطرا مستطيرا على اسطوله المتحرك المسلح بأحدث آلات الدمار ٠٠ واذا كان الامر على هذا النحو ، فقد كان منطق الأمور يقضى بأن تعدل البوارج من أوضاعها قليلا حتى تخرج من مدى مدافع الحصون المصرية ذات الطرز القديمة التى لم يطرأ عليها عليها تغيير جوهرى منذ عهد محمد على ، لأنه لم يكن مستطاعا ـ بطبيعة الحال ـ تحريك الحصون الثابتة بعيدا عن البوارج ٠٠

لقد عبر أحد أعضاء مجلس العموم البريطانى وقتها عن هذا الوضع الشاذ بقوله : ٠٠ « أرى رجلا يحوم حول بيتى وعلامات الشر بادية عليه ٠٠ فأبادر الى احضار الأقفال والمتاريس وأحكم سد نوافذى ، فيقول أن هذا اهانة له وتهديد ، ويحطم على أبوابى أبوابى معلنا أنه انما ما فعل دفاعا عن نفسه ليس الا ٠٠ !! »

بل ان اللورد « كرومر » يقول فى كتابه « الثورة العرابية » معبرا عن نية حكومته فى القضاء على « أحمد عرابى » بأى ثمن :

« فلو أن هذا الثائر [يقصد أحمد عرابى] ترك و شأنه فى ثورته ، لما كان هناك أدنى شك فى انتصاره ٠٠ ولكن بما أن خذلانه يرجع أساسا الى العمل البريطانى (يقصد ضرب الاسكندرية) فقد كان من الطبيعى أيضا ومن الحق المطلق لبريطانيا أن تقرر ـ دون غيرها ـ مصيره ٠٠ ! »

وهكذا نرى وأيا كانت الأسباب والذرائع ، فقد كان قرار بريطانيا يقضى باحتلال مصر ٠٠ سواء تم نزع سلاح هذه الحصون وألقيت المدافع فى البحر ٠٠ أو تم تسليمها للأميرال « سيمور » ،

لم يكن الأمر سيتغير كثيرا ولم تكن النتيجة لتختلف على الاطلاق ٠٠ فقط ٠٠ كانت حجة « سيمور » هي التى كانت ستتغير وفقا للظروف ٠٠ لأنه بالقطع كان سيطالب بتنازلات جديدة يعلم مقدما أن مصر الحريصة على شرفها ٠٠ كذا أن هؤلاء الثوار يساندهم الشعب كله ٠٠ لن يقبلوا بها وها هنا تواتيه الذريعة المنشودة ٠٠ ليأمر مدافعه بضرب الاسكندرية واحتلالها ٠٠٠

النبوءة التى تحققت ! :

وفى مذكراته عن الحرب العرابية ، يكتب « كرومر » :

« ٠٠ وفى أعقاب المعركة مباشرة ، شقت قوة من الفرسان طريقها الى القاهرة التى احتلتها بدون توجيه ضربة اليها ٠٠ وبذلك تحققت نبوءة « كنجز ليك » الذى تنبأ بمجىء اليوم الذى يثبت فيه الرجل الانجليزى أقدامه على ضفاف النيل ويسيطر على مصر ! »

ولا يستطيع اللورد « كرومر » أن يخفى أطماع بلاده التاريخية فى احتلال مصر ، بل أننا نراه يعدد مزايا الاحتلال البريطانى لمصر وأولوية بريطانيا العظمى فى أحكام قبضتها على البلاد ٠٠ يقول :

أن المصريين شعب مستعبد منذ أجيال ٠٠ ولم تحكم مصر بحكام مصريين الا فى تلك العهود البعيدة الغامضة أيام القدماء الفراعنة ٠٠

وفى وقتنا الحاضر لا نرى أن مصلحة المصريين بوجه خاص ومصلحة العالم المتمدين بوجه عام تبرر رفعهم الى المستوى الذى يحكمون فيه أنفسهم ويتمتعون بالسيادة الداخلية ٠٠

واذا كان احتلال دولة أجنبية لمصر أمرا لا مناص منه فان السؤال الذى يتردد فى الأذهان هو المقارنة بين الاحتلال البريطانى

واحتلال أية دولة أخرى. ولعل الرد على ذلك أمر منطقي: فالتدخل الأوربى أفضل فى نظر المصريين من التدخل التركى، كما أن تدخل دولة أوروبية واحدة أفضل من تدخل جماعى مختلط. وطريقة الانجليز فى حكم الشعوب الشرقية تشهد بأنها أشد الطرق تأثيرا وأفضلها لادخال المدنية الأوروبية فى مصر بالتدريج.

ولو كانت بريطانيا قد اشتركت مع فرنسا فى هذا الاحتلال لاضرت النتيجة بمصالح مصر ولأدى ذلك الى انقسام الشريكين، أن لم تؤدى الى عداء خطير بين بريطانيا وبين هذا الشريك !!.

وهكذا نخلص - لا يزال الحديث للورد كرومر - الى أن التدخل البريطانى المسلح كان الحل الوحيد لما حدث بمصر عام ١٨٨٢، أن لم يكن هو أفضل الحلول بسبب الظروف الخاصة التى أشرنا اليها، وبذلك يستحيل على بريطانيا أن تسمح لأية دولة أوروبية أخرى باحتلال مصر وأنها قامت بواجبها وأدته بعزم وأمانة عندما تبين لها أن الاحتلال أمر محتوم ومما لا شك فيه أنه لم يكن من الأمور الممكنة لأمة عظيمة كبريطانيا أن تتخلى عن التبعات التى ألقاها على كاهلها تاريخها الطويل ومركزها العظيم فى هذا العالم العريض .. » انتهى حديث لورد كرومر.

قادة الجيش العرابى :

ولست أرانى فى حاجة للافاضة فى التأكيد على نوايا بريطانيا فى تلك الحقبة لاحتلال مصر - بصرف النظر عن تلك الحجة الواهية التى أعطت أهمية بالغة لبضعة مدافع عتيقة الطراز فى الحصون - فلا شك أن الأميرال « سيمور » كان مزودا من قبل حكومته فى لندن بالعديد من البدائل والاحتمالات التى تصل به فى نهاية الأمر ورغم كل شىء الى أن يصدر أمر القتال المنشود الذى كان « جلادستون » يتطلع اليه والذى يقضى باطلاق نيران الأسطول على الطوابى.

والحصون المصرية فى أقرب وقت ممكن ، وقبل أن تحاول الحكومة الفرنسية الاشتراك من جديد مع بريطانيا فى « المسألة المصرية »!

وثيقة للتاريخ وليست دفاعا أعمى ! :

سيلاحظ القارىء من خلال الصفحات التالية أننى لم أعمد الى الدفاع الاعمى عن الزعيم « أحمد عرابى » وتبرئته من كل تبعات الفشل ، فان هذه ليست مهمة المؤرخ الذى ينبغى عليه أن يراعى الامانة والموضوعية فى كل ما يكتب ، وأن كنت أعترف فى ذات الوقت بأننى لم أتمكن — ولو للحظة واحدة — التخلص من تأثير تلك الدماء المصرية التى تسرى فى عروقى ، وتصبح مهمة المؤرخ هنا محاولة التوصل الى صيغة مقبولة غير منحازة لتلك المعادلة الصعبة لكى يحافظ على هذا التوازن الدقيق بين الموضوعية والقومية .

لقد قاد الزعيم « أحمد عرابى » الجيش عبر ستون يوما من القتال بدأت بضرب الاسكندرية يوم ١١ يولية وانتهت بالانكسار فى التل الكبير يوم ١٣ سبتمبر ، وجرت المعارك فى صالحه خلال الحرب فى الجبهة الغربية وأعنى بها جبهة « كفر الدوار » ، كذلك كانت كفته راجحة الى حد مقبول فى مستهل الحرب على الجبهة الشرقية فى معارك المسخوطة والقصاصين ، ولكنها تنتهى تلك النهاية المفجعة بالهزيمة الدرامية فى « التل الكبير » . ومن وجهة النظر العسكرية البحتة ، فأن الهزيمة فى « التل الكبير » تعد نهاية منطقية لتلك الأخطاء العسكرية التى ارتكبت — وأن كان منشور الخديوى يقف على رأس هذه العوامل — ، ولكن بصرف النظر عن مسألة الخيانة والانقسام فى صفوف الجيش والقادة فاننا نرى أنه كان على « عرابى » وهو يتأهب للدخول فى هذا الصراع المسلح الذى لم يأت مفاجأة له أن يعمل على انشاء معسكرات المقاومة الشعبية فى أنحاء البلاد للتدريب على القتال وأمداد فرق الجيش وألويته بالرجال المدربين على القتال ضد أعتى الجيوش المدربة على القتال .

كذلك أهمل قادة الجيش ـ ولسـنا نعفى « عرابى » من هذه المسئولية ـ فى تحصين الجبهة الشرقية على غرار ماتم فى جبهة كفر الدوار ، حيث لم يكن فى مواقع التل الكبير أية خنادق أو تجهيزات دفاعية ذات قيمة تكفل للجيش الصمود والمقاومة ضد جيش حديث كجيش الجنرال (ولسلى) ٠

ومن المعروف أن المفاجاة تلعب الدور الأساسى فى تحقيق الهزيمة للطرف الذى فوجيء ، كما تصبح هى بذاتها العامل الأول فى تحقيق النصرللجانب الذى يتمكن من تحقيقها ، وعلى ذلك فقد رأينا قوات جيش « ولسلى » تتقدم دون أن تراها دوريات الجيش العرابى أو طلائعه المتقدمة ، حـتى فاجأت الجيش على مسافة مئات الأمتار ، وهو أمر نادر الحدوث فى معارك الصحراء المكشوفة حيث يتسع ميدان الرؤية ويطول مجال البصر لعدة كيلو مترات وكان من الواجب أن يدفع قادة الجيش المصرى نقطا أمامية وطلائع متقدمة تكفل اعطاء الانذار للقوات المدافعة وتعمل على قتاله قتالا تعطيليا حتى توافيها القوات الرئيسية التى تكون قد دربت من قبل على القيام بالهجوم المضاد على القوات المهاجمة وردها على أعقابها ٠ ٠

ونستطيع أن نعدد الكثير من تلك الأخطاء العسكرية ، والتى تسبب فى وقوعها فى رأينا نشأة القادة أنفسهم وحـالة الجيش المصرى آنذاك ، اذ ينبغى لنا ـ حتى لا نبالغ فى ظلم عرابى أو قادته أن نعيد الى الأذهان ما كان عليه الجيش من سوء التنظيم والتدريب والقيادة ، حيث قام خلفاء محمد على باستبعاد المصريين من الوظائف القيادية فى الجيش ليولوا بدلهم الجراكسـة والألبـان والأتراك ، وأهملوا بالتالى تدريب الجيش على أساليب القتـال ، كذا تزويده بالاسلحة الحديثة ، الأمر الذى يبدو لنا واضحا حين نستعرض حالة الطوابى والحصون المصرية يوم ١١ يولية ١٨٨٢ ، فسنجد أن معظم مدافع تلك الحصون كانت لم تزل على حالها لم تبلغها يد التبديل

أو التطوير منذ عهد محمد علي قبل ٤٠ عاما .. ولعلنا نذكر كذلك أن توليه غير المصريين للوظائف القيادية في الجيش المصري كان بعنية العامل الرئيسي لقيام الثورة العرابية ذاتها .. !

لقد تجسد كل هذا الاهمال الذي يتحمل مسئوليته أمام التاريخ في شئون الدفاع والأمن ، خلفاء محمد علي الدين ظلوا ينظرون الى المصريين باعتبارهم طبقة أدنى من أن تحكم نفسها بنفسها . وسنتبين لنا ذلك بعد قليل ، ولهذا وجدنا أن معظم زعماء الثورة العرابية وهم أنفسهم قادة الجيش ، لم يتلقوا قسطا كبيرا من العلوم العسكرية وفنون الحرب - بما فيهم عرابي نفسه ويكفي أن نذكر هنا أن « طلبة عصمت » - قائد الاسكندرية الحربي يوم ١١ يولية - ثم قائد جبهة كفر الدوار والتل الكبير من بعدها لم ينل أي قسط من التعليم العسكري في حياته ولم يدرس فنون الحرب ..

ولكي نكون منصفين ، فقد كان على رأس الجيش - في بعض المعارك - قادة عظام على مستوى عال من الكفاءة العسكرية والخبرة القتالية ، نذكر منهم الفريق « راشد باشا حسني » - قائد معركة القصاصين التي أبلى فيها مع جنوده بلاء حسنا وأصيب خلالها وأخلى الى القاهرة ، لقد درس « راشد باشا حسني » فنون القتال في فرنسا ثم خدم في وحدات المشاة طوال خدمته العسكرية الطويلة التي عمل فيها في السودان والحجاز وكريت ، وأشترك في حرب البلقان (١٨٧٦) .

كذلك لا يمكن أن نغفل الاشارة الى الأميرالاي « محمد عبيد » الذي كان بكباشيا في آلاي حرس الخديوي قبيل الثورة العرابية وهو بذاته بطل واقعة قصر النيل ، الذي قام على رأس جنود الآلاية بالزحف على معسكرات قصر النيل ليطلق سراح زعماء الثورة العرابية الثلاثة الذين أعتقلهم وزير الحربية الجركسي « عثمان رفقي »

وهم أحمد عرابى وعبد العال حلمى وعلى فهمى ، واختتم البطل محمد عبيد حياته الحافلة بمقاومة باسلة أبداها مع مع جنوده فى « التل الكبير » ، أستشهد خلالها مع معظم الرجال الذين خاضـــوا معه القتال تحت علم مصر هناك بعد ملحمة بطولية ضد فرسان الجنرال « لو » .

وبعد .. أيها القارىء الكريم

هذه محاولة جادة لتسجيل صفحة من تاريخ مصر العظيمة .. مصر التى لم تعرف القتال الا دفاعا عن نفسها وعن شرفها ، ولم ترفع السلاح عبر العصور الا لتحارب من أجل الحياة وبناء الحضارة .. ولنذكر « عرابيا » دائما بكل الخير .. فكفاه أنه كان المصرى الفلاح الأول الذى تصدى فى شجاعة لظلم هؤلاء الحكام الاجانب عنا واضعا مصيره وحياته على كفة كى لا يموت صـــوت الحرية فى مصر كلها ..

ولنذكر دائما صيحة « عرابى » التى أطلقها من بعده نتوارثها جيلا بعد جيل :

« فلتعش الحرية فى مصر خالدة مؤبدة » .

محمد فيصل عبد المنعم

الفصل الأول

احمد عرابى فى دائرة الضـوء

تمهيد سياسى لا بد منه :

قبل أن نتناول أحداث الحرب العرابية بالتحليـل والتعليق ، نرى لزاما علينا أن نبدأ بهذه المقدمة التى لا بد منهـا ٠٠ لنلقى ضوءا مركزا على الأحداث السياسية التى سبقت اندلاع الحرب بين العرابيين وبين الجيوش البريطانية والتى انفجرت شرارتها صبيحة يوم الحادى عشر من شهر يولية عام ١٨٨٢ ٠

فـفى ٢٦ يونيـة ١٨٧٩ ، تقلد « محمد تـوفيق » منصـب الخـديوية فى فترة مظلمـة من تاريخ مصر ، بعـد أن أقصى أبوه « اسماعيل » عن الحكم بسبب فتحه باب التدخل الأجنبى لبريطانيا وفرنسا فى الشئون المصرية مصراعيه ٠٠ وبذلك هيأ للانجليز الاعداد لخطتهم المبيتة من قبل لاحتلال البلاد ٠

ولما كان الخديوى « توفيق » رجلا مستبدا ضعيف الشخصية فقد كان أول الأعمال التى قام بها عقب توليه السـلطة أن انتزع رئاسة الوزارة لنفسه بعد أن دفع « شريف باشا » الى الاستقالة ثم أعقب ذلك باصدار مرسـوم ــ فى ١٨٧٩/٩/٤ ــ باعادة الرقابة الثنائية وتعيين اللورد « كرومر » مفتشـا للايرادات ، والمسـيو « دى بليتيير » رقيبا على الحسابات والدين العمومى ٠

ولم يترك الخديوى رئاسة الوزارة الا بعد أن أسندها الى الرجل الذى يطمئن اليه وهو « مصطفى رياض » ، وذلك فى ١٨٧٩/٩/٢١

الذى زاد بدوره من سلطة الرقيبين وهيأ لهما مناخ التدخل في كافه شئون مصر الداخلية ٠

بداية ظهور الحركة العرابية :

وهكذا مهدت الأحداث والمظالم لظهور الحركة العرابية ، وذلك بالاضافة الى ما انتهجته وزارة « رياض » من ممارسة التفرقة في المعاملة بين الضباط المصريين والاتراك والشراكسة وتفضيلهم ومحاباة « عثمان باشا رفقي » ـ وزير الحربية آنذاك ـ لهم وتقليدهم أعلى المناصب وغير ذلك من الاسباب السياسية والاقتصاديه والاجتماعية وانعدام العدل والقانون ، الى جانب الاستخفاف بحقوق الشعب ٠

وقفة عابدين :

لقد بلغت الثورة الشعبية ـ والتى عبر عنها أحمد عرابى بمطالب الشعب والجيش فى وقفه عابدين الشهيرة ، والتى سيأتى ذكرها تفصيلا فى غير هذا المكان ـ بلغت الثورة الشعبية أوجها ، الأمر الذى نتج عنه سقوط وزارة « رياض باشا » وتاليف تلك الوزارة التى بادرت الى وضع اللائحة الأساسية او (الدستور) المصرى ٠

وهل يرضى ذلك دول الاستعمار ؟! :

وهنا بدأت الدولتان فى التحرك ، حين توجه السير (أدوارد ماليت) ـ معتمد بريطانيا ـ والمسيو سنكفكس ـ المعتمد الفرنسى الى سراى عابدين ليقدما سويا مذكرة مشتركة من دوليتهما الى شريف باشا ، مؤرخة بتاريخ ٧ يناير ١٨٨٢ وجاء فيها :

« ٠٠ كلفتم غير مرة أن تنهوا الى علم الخديوى وحكومته ارادة

فرنسا وانجلترا وعملها على تأييده للتغلب على الصعوبات المختلفة التى قد تعترض انتظام الشئون العامة فى مصر .

أن الحكومتين على تمام الاتفاق فى هذا الصدد وأن الحوادث الاخيرة ، وبخاصة الأمر الصادر عن الخديوى باجتماع مجلس النواب قد هيأت الفرصة لزيادة تلك الصعوبات .

فالمرجو أن تبلغوا الخديوى توفيق باشا بالاشتراك مع السير « أدوارد ماليت » الذى كلف بمثل ما كلفتم به ، بان الحكومتين الفرنسية والبريطانية تعتبران أن تثبيت سمو الخديوى على العرش طبقا لاحكام الفرمانات التى قبلتها الدولتان رسميا هو الضمان الوحيد في الوقت الحاضر والمستقبل لاستتباب النظام ولتقدم وسعادة مصر ورفاهيتها التى يهم انجلترا وفرنسا أمرها .

والحكومتان متفقتان اتفاقا وطيدا على بذل جهودهما المشتركة لمقاومة كل أسباب المشاكل الداخلية والخارجية التى قد تهدد النظام القائم في مصر ، ولا يخامرهما شك فى أن الجهر بعزمهما فى هذا الصدد سيكون له اثر فى انقاء الأخطار التى يمكن أن تستهدف لها حكومة الخديوى ، ومن المحقق أن هذه الأخطار التى يمكن أن تستهدف لها حكومة الخديوى ستلقى من فرنسا وانجلترا اتحادا وثيقا للتغلب عليها ، وتعتقد الحكمتان أن سمو الخديوى سيجد فى هذه التأكيدات الثقة والطمأنينة والقوة التىهو فىحاجة اليها لادارة شئون الشعب المصرى والبلاد المصرية .

محمود سامى البارودى يؤلف الوزارة :

وهكذا ظهرت نية الدولتين الاستعماريتين وكشفتا النقاب — ببساطة ووضوح — عن رغبتهما فى منع قيام نظام برلمانى يجسد ارادة شعب مصر ، فى ذات الوقت أشعار الخديوى « توفيق » بأنه مؤيد من قبل الدولتين الكبيرتين فى وقوفه ضد الجيش المصرى

والحركة الشعبية والوطنية ، وكان طبيعيا أن يستقيل شريف باشا فى ٢ فبراير ١٨٨٢ .. ووقع الاختيار على محمود سامى البارودى رئيسا للوزارة وكان هذا فى حد ذاته انتصارا حاسما للجيش المصرى وأقصاء تاما لسلطة الخديوى ، فقد أصبح « عرابى » وزيرا للحربية وصدر المرسوم الخديوى بالدستور فى ٧ فبراير والذى زاد بدوره من سخط بريطانيا وفرنسا ، وهنا بدات الأولى تدبير مخططاتها العدوانية ضد مصر .

لماذا فقد الاستعمار صوابه ؟! :

فى شهر أبريل ١٨٨٢ ، حدثت مؤامرة الضباط الشراكسة التى هدفت الى اغتيال « عرابى » والتى صدر فيها الحكم العسكرى بنفى ٤٠ ضابطا الى السودان وامتناع الخديوى عن التصديق على الحكم بناء على رأى قنصلى انجلترا وفرنسا ، وقد أدى هذا الحادث الى وقوع خلاف بين الوزارة والخديوى ، حيث رأى الوازراء أن الخديوى قد نزل على ارادة قناصل الدول وأهمل رأى الوزراء فقرر مجلس الورزاء دعوة النواب متحديا فى ذلك الخديوى ، ومتخذا الخطوات التى قد يترتب عليها خلع الخديوى اذا ظل متمسكا بموقفه ولقد أشار مسيو « سنفكس » فى برقية له الى وزارة الخارجية — فى ١٠ مايو ١٨٨٢ — قائلا : « عندما تكلم بعضهم مع عرابى عن الأمير حليم باشا صاح غاضبا بأنه من الواجب التخلص من أسرة محمد على كلها » .

بوارج الدولتين فى مياه الأسكندرية :

وكانت الانباء قد تواترت — فى أثناء تفاقم الخلاف بين الخديوى والوزارة — عن اعتزام انجلترا وفرنسا ارسال أسطوليهما الى الاسكندرية ، واستغلت الدولتان هذه الخلافات وتذرعتا بحجة حماية رعاياهما من الأخطار التى قد يستهدفون لها — والذين

يمثلون أغلبية الجالية الأجنبية (٩٠ ألفا) واتفقتا على أن ترسل كل منهما ست بوارج الى المياه المصرية ، وذلك على الرغم من انتهاء الخلاف بين الوزارة والخديوى فى ١٥ مايو ١٨٨٢ ٠

وتحولت لغة الدولتين الى التهديد والوعيد على أثر وصول الأسطولين ، وبدأتا بطلب استقالة وزارة البارودى وخروج «عرابى» من القطر المصرى فى بلاغ مشترك نهائى تقدمت به الدولتان الى الحكومة المصرية فى ٢٥ مايو ١٨٨٢ ٠

وانه لمن الأمور المثيرة للسخرية ٠٠ أن يوافق الخديوى « توفيق » على مطالب الدولتين فى سعادة وغبطة ، فى حين رفضت الحكومة المصرية اجابة هذا البلاغ ، لتعلن حكومة البارودى استقالتها يوم ٢٦ مايو احتجاجا على هذه المطالب الجائرة ، وعندما تكفهر الأمور ، يقوم الخديوى ــ مضطرا ــ باعادة (أحمد عرابى) الى وزاة الحربية رئيسا للجيش ، ليصبح بذلك المسيطر الأول على مقاليد الأمور فى مصر ٠

ويتضح للمسيو « فريسنية » ــ رئيس وزراء فرنسا ــ أن بريطانيا تبغى الانفراد بالعمل فى مصر لتنفيذ حلمها القديم فى احتلال البلاد ، فيدعو الى عقد مؤتمر دولى لبحث ما أسمى آنذاك بالمسألة المصرية ، وهنا لا يجد اللورد « جرانفيل » ــ وزير خارجية بريطانيا ــ مفرا من قبول تلك الدعوة الاجبارية ٠

وفى السابع من يونيو ٠٠ بينما الاحداث تتدافع فى اتجاه الأزمة الوشيكة ٠٠ وصل « درويش باشا » ــ المعتمد العثمانى السامى الى مصر ــ سعيا من الحكومة التركية لاعادة الامور الى نصابها فى مصر ولمنع تدخل بريطانيا فى أمورها الداخلية ٠

لماذا انضم « درويش » الى الخديوى ؟! :

وجاء « درويش باشا » الى مصر ليرى بعينى رأسه المياه المصرية

وهى تعج ببوارج الاسطولين البريطانى والفرنسى ، ولكن الجنيهات الذهبية [التى بلغت خمسون الفا] والتى منحها له الخديوى « توفيق » أثرت على أرائه وطمست بصيرته ، فانضم الى جانب الخديوى ، ووجه النصح الى « عرابى » بالذهاب الى الاستانة لمقابلة السلطان !

مذبحة الاسكندرية :

وسرعان ما تتطور الأحداث بعد ذلك .. اذ لم يكد يمض على حضور « درويش باشا » الى مصر بضعة أيام ، حتى حدثت مذبحة الاسكندرية (فى ١١ يونية ١٨٨٢) (١) وكانت نذيرا بأخفاق مهمته وعودته الى الاستانة فى ١٩ يولية ١٨٨٢ .

ويجدر بالذكر أن تلك المذبحة المشئومة حدثت لأسباب عديدة ليس هنا مجال اثباتها ، وأن كنا نرى أن وجود الاساطيل البريطانية والفرنسية فى مياه الاسكندرية وما نتج عن ذلك تكدس الجاليات الأجنبية فى الاسكندرية بالقرب من الاساطيل التماسا لحمايتها ، قد ساعد على أثارة مشاعر المصريين ضد الاجانب ، خاصة بعد أن قرر قناصل الدول الاجنبية فى الثغر البدء فى اقامة قوة دفاع أوربية فى الاسكندرية وامدادها بالذخائر والأعتدة من أوروبا استعدادا لخوض غمار الحرب ضد الأهالى والوطنيين .

ووسط هذا الجو المكفهر والمشاعر المضطربة ، حدثت مذبحة الاسكندرية التى قتل فيها أكثر من خمسين شخصا أجنبى ومصرى ، والتى أعقبها تدعيم قوات الجيش فى الاسكندرية ، حين أرسل اليها

---

(١) بدأت المذبحة فى صورة مشاجرة بين احد الوطنيين وبين مالطى من سكان الثغر من رعايا الانجليز وانتهت بقتل الوطنى ، مما ترتب عليه أصطدام الوطنيين بالاجانب ليسقط الكثير من الجانبين .

« أحمد عرابى الالآى الثانى والرابع بقيادة طلبة باشــا عصمت الذى تولى منذ ذلك الحين قيادة قوات الاسكندرية الدفاعية » .

الخديوى بعيدا عن شعبه ! :

من عجب أن يقوم الخديو « توفيق » بالتوجه الى الاسكندرية يوم ١٣ يونية أى بعد المذبحة بيومين فحسب ـ ليكون على مقربة من الأساطيل الأجنبية والتماسا لحمايتها ـ ولست أجد خيرا ممـا كتبه « مسيو فريسنييه » وقتذاك بهذا الخصوص ، يقول :

« ... كانت رغبة الخديو متجهة منذ وصول الأســاطيل الانجليزية والفرنسية الى الألتجاء للأسكندرية ليكون عـلى رأس حكومته قريبا من وزرائه ليتسنى له توجيه أفكارهم وملاحظتهم ، ولكن مذبحة الاسكندرية مثلت له فرصة يحقق فيها رغبته ، وقد زعم انه قصد ليها بحجة تدارك الخطر على الرغم من أن النظام والهدوء كانا قد عادا الى حالتهما الطبيعية » .

صورة النفاق البريطانى :

ظلت البلاد بلا وزارة ـ منذ استقالة وزارة البارودى فى ٢٦ / ٥ مما أضطر الخديو الى تأليف حكومة جديدة برئاسة « اسـماعيل راغب باشــا » الذى لم يعرف عنه الولاء للخديو ، وتألفت هــذه الوزارة بالفعل فى ٢٠ / ٦ وبقى فيها « عرابى » وزيرا للحربيـة والبحرية .

وفى ٢٣ / ٦ أنعقد بالآستانة مؤتمر يضـم سفراء الدول العظمى الست (انجلترا ـ فرنسا ـ المانيا ـ النمسا ـ روسـيا ـ ايطاليا) لبحث المسالة المصرية ، وفى ٢٥ / ٦ تم توقيع (ميثاق النزاهة) الذى جاء فيه :

« •• تتعهد الحكومات التى يوقع مندوبوها على هذا القـرار بأنها فى كل أتفاق يحدث بشأن تسوية المسألة المصرية ، لاتبحث عن احتلال أى جزء من أرض مصر ولا الحصـول على أمتياز خاص بها ولا على نيل أمتياز تجارى لرعاياها لايخول لرعايا الحكومات الأخرى •• »

ومن الغريب أن انجلترا فى ذات الوقت الذى وقعت فيه على هذا الميثاق ، كانت تعد العدة لأحتلال مصر غارقة ـ حتى أذنيها ـ فى أتخاذ الأجراءات الحربية لحشد أسـاطيلها المدرعة للأبحار الى مياه الاسـكندرية ، ويجدر بالذكر أنه لم يمض على توقيع « ميثاق النزاهة » هذا أكثر من ستة عشر يوما حتى كانت مدافع الأميرال « بوشامب سيمور » تقصف مدينة الاسكندرية فى قسوة ووحشية بالغة !

الفصل الثانى

انظار بريطانيا على مصر ؟!

ونتساءل هنا .. عن الأسباب الحقيقية التى دعت الدولتين : بريطانيا وفرنسا الى ارسال أساطيلهما الى مياه الاسكندرية فى هذا الوقت بالذات .. ونحاول فى الوقت ذاته تقديم أجابة موجزة بقدر ما يمكن قبل أن نبدأ التعرض للجانب العسكرى ..

خوف بريطانيا من يقظة مصر :

لم تكن بريطانيا قد نسيت بعد ما قامت به القوات المسلحة المصرية قبل ٤٠ عاما ـ فى عهد محمد على ـ من تسجيل انتصارات مدوية أذهلت أوروبا ولفتت الانظار بشدة الى هذه الدولة الفتية التى اقتحمت مسرح الأحداث فى آسيا الصغرى بجرأة وكفاءة شهد بها الجميع ، لقد ايقنت أوروبا انذاك أن هذه الدولة الفتية ـ مصر ـ يمكن أن تكون ذات تأثير بالغ فى مجريات الأمور والسياسة الدولية بأسرها فيما لو أحسن قيادتها وأستغلت قواتها المقاتلة لخدمة قضايا الحرية والاستقلال .

ولكن بعد أن أمكن لبريطانيا تحطيم الأسطول المصرى الحديث فى موقعه « نفارين » البحرية فى محاولة لقص أجنحة مصر ، تعاقب على حكم البلاد أبناء محمد على الذين أشاعوا فيها الفساد والأضمحلال وما اتبع ذلك من تفكك فى كافة شئون البلاد ومن ضمنها الحياة النيابية وشئون الدفاع .

لهذا لم يكن غريبا أن بدأت نذر العاصفة تتجمع ـ أعتبارا من عام ١٨٨٢ حينما بدأت الجماهير المصرية تتطلع الى الحرية والاستقلال

وتحقيق نوع من الحياة النيابية مع الرغبة في زيادة عدد الجيش والعناية بأمره وتقويته ، الى جانب التخلص من نفوذ الأجانب فى مصر ـ ذلك النفوذ الذى كان قد تزايد بصورة خطيرة فى أعقاب عزل « اسماعيل » عن العرش وتعيين مندوبين أحدهما بريطانى والآخر فرنسى لمراقبة الخزانة المصرية المفلسة ٠

وحقا ٠٠ كانت التركة التى خلفها « اسماعيل » مثقلة ٠٠ فالخزانة خاوية ، ونظام الجيش مضطرب تماما ، وطبقات المجتمع غير مستقرة من جراء ما يعانيه الفقراء من ظلم الحكام ، علاوة على كساد التجارة وسط هذا الخضم المضطرب ٠

« كرومر » يكشف عن مخاوف بلاده :

أن اللورد « كرومر » (١) يكشف عن مخاوف بلاده منذ بداية اليقظة السياسية والعسكرية فى مصر ، فيكتب :

« أن اعادة الطاعة التى ورثها المصريون عن آبائهم الأولين كانت قد تغيرت تماما حتى صار من الصعب تهدئة الغليان الذى فى نفوسهم وحتى أصبحت الحالة عام ١٨٨١ ـ تنذر بوقوع انهيار سريع وأصبح من المتوقع قيام ثورة فى البلاد حيث أصبح المصريون فى ذلك الوقت فى مفترق الطرق ، وحان الوقت لأن ينظروا فيما اذا كانوا يصبحون أحسن حالا اذا أشعلوا هذه الثورة لتحقيق ما تعذر عليهم تحقيقه من مطالبهم التى تشتمل على آمان وطنية ٠

سليل الفلاحين يتبنى مطالب الشعب والجيش :

يكتب اللورد كرومر :

أن أحمد عرابى المصرى سليل الفلاحين وقائمقام الآلاى الرابع

(١) فى كتاب (مصر المعاصرة) Modern Egypt

بالجيش هو الذى سارع الى قيادة هذه الحركة التى بدات بتقـديم عريضة المطالب الى « رياض باشا » ـ رئيس الوزراء ـ والتى اتهمت « عثمان رفقى باشا » ـ وزير الحربية ـ بظلم المصريين المستحقين للترفيه ومعاملاتهم كأعداء له (حتى كأن الله قد أرسـله ليصب نقمته عليهم) ، الى جانب فصلهم من الجيش دون تحقيق قانونى ، وهكذا ختم الشاكون العريضة بألتماس مطلبين : أولهما عزل وزير الحربية (لعدم صلاحيته لتبوأ مركزه الكبير) . والثانى : اجراء تحقيق للتثبت من أهلية الذين تمت ترقيتهم واسـتحقاقهم لهـا قائلين : « أن مناط الترقية هو الكفاءة والمعرفة .. وكفتنا فى هذه الناحية ترجع كثيرا كفة الذين ظفروا بها دوننا » .

ونقترب رويدا من الاجابة على التساؤل :

لا زلنا نتابع أقوال اللورد « كرومر » الذى يقول :

ففى ١٨٨١/٩/٩ صدرت الأوامر بنقل آلاى البيادة (المشاة) الثالث من القاهرة الى الاسكندرية ، فأدت هذه الاوامر الى العصيان وسار « عرابى » فى ألفين وخمسمائة جندى و ١٨ مدفعا الى ميدان « عابدين » ولجأ الخديوى ـ وكان وقتذاك فى سراى الاسماعيلية ـ التى تبعد ربع ميل عن قصر عابدين ـ الى أفضـل الحلول فى ذلك الظرف العصيب وهو استدعاء السير « أوكلند كولفين » ليقف الى جانبه ـ ذلك الانجليزى الذى يدين فى عمله بالمبدأ القائل (أن الماء الهادىء لا يوجد الا فى الأعمـاق) أن روح هذا الانجليـزى سمت عالية فى ساعة الخطر خاصة وأنها ليست المرة الأولى التى يسمع فيها عن تمرد أو عصيان .

وكانت مهمته واضحة .. أذ يجب عليـه أن يخاطر بروحه ويقف الى جانب الخديو فى مأزقه ليضفى عليه شيئا من هذه الروح الانجليزية التى كونت ـ على الزمن ـ عنصره المتسلط الممتازة ..

ويصف لنا « كولفين » (١) ماحدث فى وقفة عابدين الشهيرة قائلا:

« لقد طلب الخديو مشورتى ، فنصحته بأن يسبق خصومه فى العمل ٠٠ وبأن يستدعى الالآيين الموالين له (أى للخديوى) مع من يمكن جمعهم من رجال البوليس المسلحين ويقف على رأس هذه

القوة ثم يقبض على « عرابى » فور حضوره ، ولكن الخديوى أجابنى بأن رجال المدفعية والسوارى (الفرسان) مع « عرابى » وقد يطلقون النيران ٠٠ فرددت عليه بأنهم لن يجرؤوا على هذا وانه يجب عليـه امتلاك زمام المبادرة لينجح فى قهر العصاة والا فهو ضائع لا محالة وقد أيدنى « ستون باشا » الأمريكى بحرارة ووصل السير « تشارلز كوكسن » أثناء قدوم الخديو بعربته وعبر هو الآخر عن موافقتـه على آرائى ثم عاد الى الوكالة البريطانية ليبرق الى لندن بما حدث٠

٠٠ ركبت عربة خلف الخديو وركب الوزراء أيضا ٠٠ كمـا ركب خمسة أو ستة ضباط مصريون فى عربة « ستون باشـا » وذهبنا أولا الى معسـكر عابدين حيث خرج الاى الحرس هاتفا بأحر عبارات الولاء للخديو ثم أستأنفنا السـير الى القلعة وهناك رحب بنا آلالاى الموجود بها ترحاب آلاى الحرس ، وكانت الساعة وقتذاك قد بلغت الثالثة والنصف بعد الظهر ، فألححت على الخديو بالعودة الى القصر مستصحبا آلاى القلعة على ان يرأس هـذه القوة بعد ضم آلاى الحرس والبوليس الحربى اليها ، ولكنه سار قدما الى العباسية حيث عرفنا أن « عرابى » قد سـار بآلايه الى عابدين ، فرجعنا الى المدينة ودخل الخديو القصر من أحـد أبوابه الخلفية ، حيث قفزت من العربة ورجوته عدم البقـاء فيه والخراج توا الى

---

(١) المستشار البريطانى للمالية المصرية فى عهد الخديو ، عين بهـدف السيطرة التامة على شئون مصر المالية بحسب اهواء الاحتلال البريطـانى واغراضه دون مراعاة لمصالح البلاد .

الساحة فخرجنا اليها معا وجاء فى أثرنا خمسه من الضباط المصريين و « ستون باشا » وضابط أو أثنان من الضباط الأوربيين ·

يقول « كولفين » :

« كانت الساحة مكتظة بالجنود المصطفين حتى اطرافها ليذودوا عنها الجماهير ، ودلف الخديو فى شىء من الثبات متجها الى الضباط فى وسط الساحه ·· وكان بعضهم مترجلا والبعض الآخر راكبين ·· فقلت له (أذا وفد « عرابى » عليك فاطلب منه سيفه وأعط الأمر الى من معه بالتفرق والأنصراف ، ثم در حول الساحة وكلف كل آلاى بالانصراف على حدة) ·

ووصل « عرابى » على صهوة جواده :

« ... وهنا تقدم « عرابى » على صهوة جواده ·· فأمره الخديو بالترجل ، ففعل وتقدم لتأدية التحية العسكرية ومن خلفه عدد من الضباط وحارس شرع السونكى على طرف بندقيته ، وفى تلك الآونة همست فى أذن الخديو : (هذه لحظتك) · فأجابنى : (نحن بين أربع جدران) · فقلت له : (تشجع) ولكنه مال على ضابط مصرى ليأخذ رأيه ، وأذابه يكرر عبارته السابقة قائلا : « ماذا يمكننى عمله ؟ نحن بين أربع جدران ، ولاشك أننا مقتولون»

الخديو يطلب من عرابى اغماد سيفه :

ثم ألتفت الخديو الى (عرابى) طلب منه أغماد سيفه فأغمده ثم سأله عن معنى حركته · فأجابه « عرابى » بأن الجيش قد جاء الى هذه الساحة باسم الشعب الذى يمثله ، لذا فهو باسم الشعب

المصرى يصر على تحقيق مطالب ثلاثة لن ينصرف بقواته قبل اجابتها .

وهنا نظر الى الخديو قائلا : (هل سمعت ما يقول؟!) . فنصحته بالعدول عن مناقشة مثل هذه المسائل مع قائمقامات جيشه ، واقترحت عليه أن يرجع الى القصر ويتركنى لمعالجة الموقف فرضخ لرأيى ..

وناقشت « أحمد عرابى » :

يقول « كولفن » :

وبقيت أناقش « أحمد عرابى » محذرا أياه من خطورة الموقف بالنسبة له ولأعوانه موضحا ضرورة أنصراف الجنود قبل فوات الأوان .. وبعد ساعة تقريبا ، حضر المستر « تشارلز كوكسن » ووقف الى جانبى أثناء المناقشة .

أما مطالب « عرابى » الثلاثة التى أشار اليها فى حديثه مع الخديو ، فكانت : ـ أسقاط وزارة « رياض » بأكملها ، ودعوة البرلمان للانعقاد وأخيرا زيادة عدد الجيش الى ١٨ ألف جندى .

وبعد انتهاء المناقشة ، أستانفها « السير تشارلز » مع « عرابى » و (العصاة) بعض الوقت وأنتهى الأمر بموافقة الخديو على عزل الوزارة بشرط تأجيل المطلبين الباقيين الى ما بعد الرجوع بشأنهما الى الباب العالى ، فوافق « عرابى » على ذلك .

وقامت مشكلة جديدة ! :

« غير أنه قامت مشكلة أخرى حول الرجل الذى يرشح لرئاسة الوزارة ، وذلك لأن « عرابى » وأتباعه رفضوا اسما أو اسمين عرضهما الخديو عليهم ، ومع ذلك لم يكد هذا يبدى

استعداده لدعوة « شريف باشـــا » لتأليف الوزارة ، حتى قوبل تصريحه بالهتاف لحياته ، وســارع « عرابى » وزميلاه الى التماس مقابلة الخديو لتجـــديد ولاءهم له ، فأذن بذلك وانصرف الجيش عقب ذلك الى معسكراته فى هدوء » ٠

الى هنا تنتهى « وقفة عابدين » من وجهة نظر الدبلوماسيين البريطانيين : « لورد كرومر » و « أوكلند كولفن » ٠

وقامت قيامة الاستعمار ! :

ولكن وعـــلى الرغم من أن « كولفن » يقول فيما كتبه : أن الجيش قد انصرف من ميدان عابدين فى هدوء ، الا أن المطالب التى عرضها « احمد عرابى » هى التى أقضت مضجع بريطانيا العظمى ـ ومعها فرنســـا ـ وهكذا وجدت بريطانيا أنه لـكى تمنع تلك الانتفاضة الشعبية المدعمة بالجيش وقائده ، فلا ســبيل أمامها الا بالاتفاق ـ على مضض ـ مع فرنسا لارسال أســطوليهما الى مياه الاســكندرية ، وبذلك تظهر « العين الحمراء » لعرابى ورفاقه ممن أسمتهم منذ تلك اللحظة (العصاة) !٠

« كلفن » : فرصة لالتقاط الأنفاس ! :

ولأســـتعير هنا من كلمات « أوكلند كلفن » نوايا بريطانيا التى كان من المستحيل عليه اخفائها فى تلك المرحلة التى بدا له فيها نمو وتعاظم القوى الشـــعبية فى مصر والتى بدأت تحركها وتساندها قواتها المسلحة وعلى رأسها الزعيم « أحمـــد عرابى » الذى بدأ المصريون ينظرون اليه منذ تلك الآونة نظرة ملؤها الرجاء والأمل فى مستقبل أفضل بعيدا عن الاستعمار ومخالبه الحادة ٠

يكتب « كولفن » قائلا :

« ٠٠ ان رأيى فى الموقف كان يتلخص فى أنه أصـــبحت

أمامنا مجرد « هدنة » مؤقتة ، تسمح لنا بالتقاط الأنفاس واستكشاف ما يحيط بنا فى أعقاب ذلك الاتفاق الهش الذى تم بين الخديو وبين « عرابى » ، أما رأيى الشخصى فكان يتركز فى أن التوصل الى تسوية نهائية لن تتحقق الا بالاستناد الى ما يلى :

- تشتيت الجيش المصرى بنقل وحداته الى مناطق نائية ·
- حمل الأعضاء الأعيان على الاعتدال فى مطالبهم ·
- حزم الوزراء فى تعاملهم مع الجيش والأعيان على السواء ·

وفى يوم ١٨٨١/١٢/٢٦ ، يرسل السير « أوكلند كولفن » مذكرة الى حكومته يبدى فيها تخوفه من قيام حركة نيابية فى مصر ، قائلا : أنه إذا ظفر مجلس النواب المصرى بحق التصويت على الميزانية ، أو بمعنى آخر بحق الرقابة على مالية البلاد ، فان مركز رقابة الدولتين (انجلترا وفرنسا) سيضعف كثيرا وأن من واجبه (أى كولفن) أن يجعل « شريف باشا » - رئيس الوزراء آنذاك - يدرك تماما بأن واجبه هو عدم تشجيع أى (عدوان) من الوطنيين (المصريين) على الادارات الأوروبية ، بل ومقاومة مثل هذا التدخل المصرى اذا وقع ، حيث أن الدولتين لن تقفا جامدتين حيال أى نوع من العدوان !·

السيطرة على قناة السويس ! :

كذلك لا يمكننا اغفال أطماع بريطانيا فى تلك الحقبة التاريخية فى السيطرة على الضفة الشرقية لقناة السويس ، بعد أن تحكم السيطرة على الضفة الغربية لها فى مصر ، للدرجة التى اقترح فيها الكولونيل « ماينز تشاجن » - سكرتير اللورد اللنبى فى فلسطين - ضمن رسالة منه الى « لويد جورج » (عام ١٩١٧) ضرورة السيطرة على سيناء المصرية وضمها الى فلسطين

حتى تصبح القنـــاة تجرى « فى أرض بريطانية على كلا الجانبين الشرقى والغربى » ، باعتبـار أن ذلك يعطى بريطانيا مركزا قويا فى منطقة الشرق الأوسط مع وجود اتصال ســهل بين البحرين الأبيض والأحمر ، ولم ينس « تشاجن » أن يؤكد فى ختام تقريره الذى أرسله بناء على طلب رئيس الوزارة البريطانية ، على أن هذا الضم من شأنه العمل على احباط أية محاولة مصرية ترمى الى اغلاق قناة السويس فى وجه الملاحة البريطانية الى الهند ـ درة التـاج البريطانى وأكبر مستعمراتها فى الشرق ٠

الفصل الثالث

ضرب الاسكندرية
١١ يولية ١٨٨٢

حالة الدفاع عن مدينة الاسكندرية

أثناء الحملة الفرنسية (١٧٩٨) على مصر شيد الفرنسيون الحصون المختلفة على ساحل مدينة الاسكندرية لحمايتها من الاعتداءات الخارجية ، وفيما يلى بيانها :

الحصون :

١ ـ حصن « كوم الدكة » :

وكان قائما الى عهد قريب بجوار محطة السكة الحديد ، وسماه الفرنسيون « حصن كريتان » تخليدا لذكرى المهندس الحربى الفرنسى القائمقام « كريتان » الذى أشرف على بنائه ثم قتل فى معركة أبى قير .

٢ ـ حصن كوم الناضورة :

ولا يزال باقيا حتى اليوم وقد أطلق عليه الفرنسيون حصن كافاريللى وذلك نسبة الى الجنرال « كافاريللى » الذى كان مشرفا على الأعمال الحربية الهندسية ، وفقد احدى ساقيه قبل حضوره الى مصر ولذلك سماه المصريون « أبو خشبة » .

٣ ـ **حصن لوتورك :** وأقيم غربى الحصن السابق على شاطىء البحر (مكان طابية صالح فيما بعد) .

٤ ـ **حصن كليوباترة :**

وكان يقوم على المرتفعات التى يقوم عليها المستشفى الأميرى حاليا .

المدافع :

علاوة على تلك الحصون ، فقد أقام الفرنسيون أبان الحملة الفرنسية صفوفا من المدافع (البطاريات) وذلك فى المواقع التالية :

١ ـ بطارية رأس التين (مكان طابية الفنار فيما بعد) .

٢ ـ بطارية شمال رأس التين (مكان طابية سراى رأس التين فيما بعد) .

٣ بطارية « منهد » .

٤ ـ بطارية فى موقع (الأطة) الحالية .

حالة الدفاع عن الأسكندرية فى عهد محمد على :

وكان محمد على والى مصر بعد ذلك قد عهد الى « جاليس بك » مهمة القيام بتحصين المدينة ، ويمكن بالرجوع الى وثائق الملازم « نجنت NUGGNT » (من رجال البحرية البريطانية) أن نتبين حالة الدفاع عن المدينة فى عهد محمد على ـ عام ١٨٤٠ ـ وذلك على النحو التالى :

مسلسل	الحصون	مدافع	هاونات	الجملة
١	طابية السلسله	٦	—	٦
٢	طابية قبور اليهود	١٠	—	١٠
٣	طابية كوم الدكه	٦	٣	٩
٤	طابيه كوم الناظوره	١٢	٤	١٦
٥	طابيه قايتباى	٢٠	١٢	٣٢
٦	طابيه الاطه	١٠	١	١١
٧	طابيه راس التين	٤٦	١٧	٦٣
٨	طابيه فنار راس التين	٣٣	١٠	٤٣
٩	طابية صالح أغا	١٥	٣	١٨
١٠	طابية أم قبيبة	٣٠	—	٣٠
١١	طابية القمرية	١٠	٣	١٣
١٢	طابية الملاحة القديمة	١٠	—	١٠
١٣	طابية الملاحة الجديدة	٣٤	—	٣٤
١٤	طابية الدخيلة	١٠	٣	١٠٣
١٥	طابية جزيرة العجمى (المرابط)	٨	٣	١١
١٦	طوابى دائرة السور	٧٠	—	٧٠
	الجملة	٣٣٠	٥٩	٣٨٩

حسن باشا الاسكندراني يدعم طوابى الاسكندرية

وبعد عام ١٨٤٠ ، أزداد عدد تلك الحصون والطوابى الساحلية كما يتبين لنا من الاطلاع على القائمة المؤرخة فى عام ١٨٤٨ والتى قام بوضعها « حسن باشا الاسكندرانى » ناظر (وزير) البحرية المصرية ، والتى أيدها « اسماعيل سرهنك » (١)

(١) اسماعيل باشا سرهنك : (حقائق الاخبار عن دول البحار) – ج٢ ص ٢٥٩ وما بعدها

فى كتابه « حقائق الاخبار عن دول البحار » لتصبح على النحو التالى :

مسلسل	الحصن	مدافع	هاونات	الحملة
١	طابية الفنار	٥٧	٦	٦٣
٢	طابية الفنار الصغيرة	١	—	١
٣	طابية التراب	٦١	١٠	٧٣
٤	لاستبالية الجديدة	١٣	١٢	٣٣
٥	الاستبالية القديمة	٢٥	—	٢٥
٦	الاطـة	٥٧	٧	٦٤
٧	برج القلفر	١٠	٦	١٦
٨	ظهر منزل الفرنسيس (١)	٦	٦	١٢
٩	المحمسة (٢)	٨	—	٨
١٠	مسلة فرعون (٣)	٩	—	٩
١١	قبوراليهودالقديمة (٤)	١٠	—	١٠
١٢	قبور اليهودالجديدة (٥)	٢٠	—	٢٠
١٣	برج السلسلة (السان)	١٨	١	١٩
١٤	باب شرقى	٦	—	٦
١٥	برج الناضورة	١٠	١	١١

(١) كانت تقع على البحر خلف قنصلية فرنسا القديمة (محل ميدان سعد زغلول حاليا) ، ودمرتها نيران الاسطول البريطانى يوم ١١ يوليه ١٨٨٢ اثناء ضرب الاسكندرية •

(٢) كانت قائمة على شاطىء البحر شرقى الطابية السابقة عند نهاية شارع البورصة القديمة حاليا •

(٣) قرب مسلة فرعون بجوار محطة الرمل الحالية •

(٤) طابية قبور اليهود القديمة • كانت محل المستشفى الاميرى حاليا •

(٥) طابية قبور اليهود الجديدة ـ كانت بين شارع يوسف عز الدين وراس المسلة •

مسلسل	الحصن	مدافع	هاونات	الجملة
١٦	الدخيلة	٢	–	٢
١٧	انسلمية	٢٠	٢	٢٢
١٨	المكس	٤٠	٩	٤٩
١٩	القمرية	٩	١	١٠
٢٠	ام قبيبة	٥٦	٤	٦٠
٢١	الملاحة القديمة	١٤	١	١٥
٢٢	الملاحة الجديدة	٣٤	١	٣٥
٢٣	قلعة صالح اغا	١٣	–	١٣
٢٤	باب سدرة	٨	–	٨
٢٥	كوم الدكة	٩	٢	١١
	الجملة	٦١٧	٦٩	٦٨٦

« على باشا مبارك » يصف حالة الدفاع عن الاسكندرية :

ويصف « على باشا مبارك » حالة الدفاع عن مدينة الاسكندرية بعد هذه الفترة ، فيقول فى خططه (ج٧ – ص ٦٠) :

« ٠٠ وقد اشتغل ابراهيم باشا بمجرد استيلائه بأمور مهمة فى الاسكندرية وغيرها ذات منافع عمومية من ضمنها تكميل طوابى الاسكندرية واستحكاماتها على الوجه الذى أسست فى عهد والده وشحنها بالعسكر والاسلحة والآلات ، ومر بالساحل من اسكندرية الى رشيد ثم الى دمياط واستكشفه بنفسه ، ثم أمر فى ثغر اسكندرية بانشاء ٥٠ شلوبة طوبجية كل واحدة تحمل مدفعين لحفظ البوغازات والملاحات ٠٠ وكان مما وجه همه اليه « عباس الأول » زيادة تتميم الاستحكامات والطوابى والقلاع طبق ما رسمه رئيس هندسة الاستحكامات « جاليس بك » ، فاقام معظم حصونها وأضاف اليها بعضا من الحصون رأى أهميتها فأدخلها فى النقط المهمة ، ومن ذلك قلعة مقابر اليهود وقلعة « أبى قير »

و « العجمى » ، مع انشاء مبان ملحقة بتلك القلاع للوازمها فأنشأ فى قلعة « مقابر اليهود » جبخانة (ذخيرة) جسيمة تسع ٩٠٠ قنطارا من البارود وعمل فى قلعة « أبى قير » مخبزا وطواحين تدار بالهواء وأسبتالية لمرضى العساكر المقيمين بهذه القلعة وما جاورها من القلاع ، فكانت العساكر المقيمة فى تلك الجهات لا تحتاج لشيء يأتى من الخارج ،وبنى ورشة للطوبجية فى وسط المدينة فى شرقى « كوم الناظورة » طولها مائتى متر ومثلها عرضا تشتمل على جميع محلات النجارة والحداد والبرادة والسبك وغيرها كالمخازن ، وجلب لها جميع آلات التشغيل والعمل والمعلمين فصارت من أحسن ما يعمل من هذا القبيل ، وعمل بها عدة بطاريات يعمر بها كثير من آلات السواحل وغيرها ، ثم أبطل سعيد باشا كل ذلك وأمر ببيع أرضها للاهالى فبنيت المنازل وغير ذلك محلها ٠٠ »

ادخال المدفعية ذات الششخنة :

وتم بعد ذلك ـ فى عهد الخديوى اسماعيل ـ تعزيز حصون المدينة بالمدافع أحدث طرازا ، حيث كانت المدافع السابق تركيبها بدون (ششخنة) ـ فكان من اللازم التفكير فى اعادة تسليح هذه الطوابى والحصون بمدافع مششخنة لضمان سلامتها من الغارات الاجنبية ٠

شراء ٢٠٠ مدفع من طراز (ارمسترونج) من بريطانيا :

وهكذا تم ـ بين عامى ١٨٦٩ ـ ١٨٧٣ ـ شراء ٢٠٠ مدفع من طراز « أرمسترونج » البريطانى « عيار ٧ بوصة « زنة ٧ طن » وعيار ٨ بوصة وزن ٩ طن وعيار ٩ بوصة وزن ١٢طن وعيار ١٠ بوصة وزن ١٨ رطلا ـ وكانت هذه المدافع يتم تعميرها من الأمام ـ كما تم استيراد ٤ مدافع عيار ٤٠ رطلا من الطراز نفسه ولكنها تعمر من الخلف ، وقد تم نصب هذه المدافع الأربعة ، علاوة على ٤٦

مدفعا عاديا فى طوابى الاسكندرية بينما نصبت باقى المدافع (من طراز أرمسترونج) فى بقية الحصـون بالسـواحل المصرية حتى (بور سعيد).

الحصـــون :

حين نلقى نظرة على ساحل الاسكندرية فانه يسترعى انتباهنا للوهلة الأولى أنه يمثل سهلا منبسطا ليس به هضـاب او جبـال عدا بعض التلال الصناعية ـ ولهذا السبب نفسه فانه لايصـلح لاقامة القلاع الحصينة عليه •

حصن أم قبيبة :

وكان حصن (أم قبيبة) هو الحصن الوحيد المقام على مرتفع من الأرض بينما كانت حصون الاسـكندرية عام ١٨٨٢ هى ذات الحصون التى كانت موجودة فى عهد محمد على (١٨٤٠) مع فارق بسيط ـ وهو أنه عندما تم تسليحها بمدافع الأرمسترونج ، رفع ساترها وزاد سـمكها وفتح فيهـا (كوات) ـ طـاقات ـ جديدة تتناسب مع هذا التسليح الحديث ولكن جميع المدافع كانت موضوعة فى العراء دون ساتر للرأس • علاوة على وجودها فى أراض سهلية منخفضة مما يعرضها لأشد الأضرار بسبب تأثير الشظايا للاسطول المعادى وعلى الاخص بالنسـبة لمدافع (السربند) ـ الرشـاشات المنصوبة على ساريات السفن والتى بواسطتها يمكن اسكات مدافع هذه الحصون بقتل أطقمها وبغير حاجة الى اتلاف المدافع ذاتها •

حصن قايتباى :

وكان هو الحصن الوحيد الذى يمكننا اسـتثناؤه من هذه الحالة حيث كان فى طبقته السفلى المسقوفة مدفعية مستورة بطبقته العليا ولكن حوائطه لم تكن متينة بحيث تصمد لمدفعية الأسـطول

البريطانى الثقيلة مما أدى الى حدوث الكثير من الخسائر بين أطقم المدافع أثناء المعركة .

دهليز الى الموت :

ولقد دفع هذا الوضع القائد الأمريكى (جودريتش) (١) الى أن يقول فى تقريره — ص ٤٨ — : « أن هذه الحرب (يقصد بين الاسطول البريطانى والحصون المصرية) لم تكن الا دهليزا يؤدى الى مهاوى الموت السحيقة » .

المواقع نصبت لتكون هدفا للضرب :

وقد كان فى كل الحصون — دون استثناء —مبان عديدة مرتفعة عن ستائرها تستخدم كمستودعات للقنابل وثكنات ومخازن ... الخ وكانت هذه المبانى المرتفعة بهذه الكيفية كأنما نصبت لتكون هدفاً مباشرا لا تخطئه نيران مدافع الأسطول . كما كانت مستودعات البارود على الاخص غير مصونة الصيانة «الاخفاء» الكافي ولعل أكبر ما يؤيد ذلك انفجار مستودعى الذخيرة فى طابيتى (الأطة) و (الدخيلة) خلال المعركة يوم ١٨٨٢/٧/١١ .

حذف المدافع غير المششخنة والهاونات من الحساب :

وبنظرة موضوعية — وقبل أن نصل الى يوم القتال الفعلى — يوم ١١ يولية ١٨٨٢ — بين الاسطول البريطانى والحصون المصرية — يجدر بنا أن نحذف من احتمالاتنا جميع المدافع غير المششخنة والهاونات لعدم جدواها وقدم أطرزتها (ترجع معظمها الى عام ١٨٤٠) — وقصر مرماها وعدم امكان تدقيق التصويب بها كما لم تكن لمقذوفاتها قوة الاختراق المطلوبة لاختراق

(١) كان هذا القائد موجودا على ظهر السفينة الامريكية (لانكاستر) اثناء ضرب الاسكندرية يوم ١٨٨٢/٧/١١ وشاهد وعاين الحصون المصرية بعد الضرب ، كما تتبع تحركات الجيش البريطانى حتى التل الكبير وقدم بذلك تقريرا لحكومته .

مدرعات (بوارج) الاسطول البريطاني حيث كانت القذيفة تخرج من المدفع منخفضة السرعة ولذلك لا تحدث أي ضرر لخصم قوى لدولة كانت ملكة البحار في ذاك الوقت •

والدليل : سفينة بريطانية تصاب بـ ٦٠ قنبلة مصرية :

ولا يمكنني أن أقدم برهانا على صحة هذا القول أسطع مما وقع لسفينة القيادة البريطانية (الكسـندرا) • فقـد أصيبت هذه السفينة بستين طلقة من القذائف المصرية (وهذا يدل بلا شك على دقة التصويب والبسالة) ، ولكن نظرا لضعف التسليح وما سبق ذكره كانت النتيجـة قتل جنـدي واحد وجرح ثلاثه من الجنود البريطانيين ، ويمكننا أن نتخيل النتيجة لو أن هذه المدافع كانت أحدث طرازا وأبعد مدى •

المدافع العتيقة ينقلب بعضها أثناء الضرب :

ومن ناحية أخرى كانت عجلات هذه المدافع في حالة سـيئة فبعضها كان يتحطم عند انطلاق القذائف والبعض الآخر كان ينقلب من فوقها المدافع عند رجوعها للخلف أثر الاطلاق ، كما يجب أن نحذف أيضا من اعتبارنا المدافع (الأرمسترونج) الاربعة التي كانت تعمر من الخلف لصغر عيارها بحيث لم يكن في امكانها التأثير على الاطلاق في المدرعات البريطانية •

قوة الجيش المصرى قبيل ضرب الاسكندرية

كان الجيش المصرى عام ١٨٨١ ـ مكونا من ٦ آلايات مشاه وآلايين من الفرسان وآلاى من المدفعية البرية و٣ آلايات من مدفعية السواحل وكان مجموع هذه القوة (٢٢٢٣٤) ضابطا وجنديا (١) وعندما تولى (محمود باشا سامي البارودى) رئاسة الحكومة ـ في

(١) الجيش المصرى في يوم ١٢ سبتمبر ١٨٨٢ ـ القائمقام عبد الرحمن زكى ـ مستخرج من مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية ـ المجلد الرابع ـ العدد الثاني ـ مايو ١٩٥٢ •

٤ فبراير ١٨٨٢ - واستولى العرابيون على الحكم زادوا آلايات المشاة آلايين لتكون ثمانية أى فرقتين ، كما زادوا المدفعية البرية آلايا لتكون لواء ٠

كما تقرر أيضا جمع جنود الاحتياط رقم (١) و (٢) و (٣) لزيادة الآلايات جميعها ولكن لم يجمع منها فى عهد هذه الوزارة الا الجنود رقم (١) ، فبلغت قوة الجيش فى ذلك الوقت زهاء ٣٥ الف جندى ، وفى ٢٦ مايو ١٨٨٢ - استقال (محمود سامى البارودى باشا) من رئاسة الوزارة -وبعد ذلك بأيام قلائل رفع (عرابى باشا) الى الخديوى (توفيق) طلبا بتنفيذ الأوامر الصادرة فى عهد الوزارة المذكورة بجمع باقى جنود الاحتياط رقمى (٢) و (٣) ٠٠ فأجابه الخديوى الى ذلك لتبلغ قوة الجيش قبل يوم ١٠ يولية ١٨٨٢ زهاء (٤٥٠٠٠) من الجنود ، وتقرر فى الجلسة التى انعقدت فى هذا اليوم جمع (٢٥٠٠٠) جندى اخرين ، وقد تم ذلك بالفعل ٠

الموقف بعد اندلاع القتال مع الانجليز :

وبعد وقوع الحرب مع الانجليز ، قرر المجلس العرفى - يوم ١٢ أغسطس ١٨٨٢ - جمع ٢٥٠٠ نفر من خفراء البلد لتجنيدهم وقد نفذ ذلك أيضا ٠٠ وفى يوم ٣ سبتمبر ١٨٨٢ ، قررت نظارة الجهادية جمع ١٥٠٠ نفر آخرين ، فبلغت القوة المستجدة بذلك ٤٠٫٠٠٠ الف نفر ، لتصبح القوة كالآتى :

٤٥٫٠٠٠ قوة الجيش قبيل يوم ١ يولية ١٨٨٢ ٠
٢٥٫٠٠٠ تقرر جمعهم فى جلسة يوم ١ يولية ١٨٨٢
٢٥٫٠٠٠ تقرر جمعهم بقرار من المجلس العرفى فى جلسة ١٨٨٢/٨/١٢ ٠
١٥٫٠٠٠ تقرر جمعهم من نظارة بقرار الجهادية فى ١٨٨٢/٩/٣

١١٠٫٠٠٠ الجملة (١)

(١) كانت معظم قوات الآيات الفرسان التى استدعيت عقب الحرب مع الانجليز تفتقر الى الجياد ٠

برقية وكيل الجهادية تؤكد تلك الأرقام :

وأنه لكى نتثبت من صحة تلك الأرقام التى أوردناها ، نسوق للقارىء فيما يلى صورة برقية ارسلها « يعقوب سامى » ـ وكيل نظارة الجهادية بمصر آنذاك ـ الى اللواء « على باشا الروبى » ـ قائد فرقة مريوط ـ ذكر فيها أن عدد هذا الجيش قد زادا على المائة ألف وفيما يلى نص البرقية :

« صورة تلغراف من وكيل الجهادية بمصر الى قائد «مريوط» بتاريخ ٧ سبتمبر ١٨٨٢ الى سعادة قومنـــدان « مريوط » على الروبى باشا :

لايخفى على سعادتكم عدم وجود العبى الكبـابيد (البلاطى) بالمخـــازن حالة ما كانت القوة أحد عشر ألف نفر ، وفى الزمن القريب بلغت قواتنا المصرية بعناية الله الملك المعين زيادة عن المائة الف ٠٠ فيا أخى أعذرونى نظرا لبرودة « مريوط » التى نعرفهـا نحن وخلافنا • وقد جمعنا كافة الأحرمة الموجودة بسوق المغاربة بمصر • فبكل اجتهاد حصلنا على ١٩٠٠ حرام ، وهاهى مرسلين صباح باكر لادارة « كفر الدوار » ـ يتعين من طرف سعادتكم من يلزم لاستلامهم من هناك • افندم •

حامية الاسـكندرية

قبيل مذبحة الاسكندرية :

كانت حامية الاسكندرية البرية مؤلفة من الآلايين المشـــاة (البيادة) الخامس والسادس ، ٥ جى بيادة و ٦ جى بيادة كما كان يطلق عليهما آنذاك ، وهما الآلايان اللذان يتـألف منهمـا اللواء الثالث المشاة تحت قيادة اللواء « خورشيد باشا طاهر » ، وكانت كل قوات المدفعية والقوات البرية موضوعة تحت قيـادة الفريق « اسماعيل باشا كامل » •

بعد مذبحة الاسكندرية :

وبعد حدوث مذبحة الاسكندرية وما جرى من حضور « يعقوب باشا سامي » ـ وكيل نظارة الجهادية ـ وقدوم الاساطيل الفرنسية والبريطانية الى مياه الاسكندرية ـ كتب الى نضارة الجهادية لتعزيز هذه الحامية ، وفعلا تم تعزيزها علاوة على القوات التي أتينا عليها بارسال كتيبة مشاة (٢ جي بيادة) والكتيبة (٤ جي بيادة) بقيادة اللواء « طلبة باشا عصمت » • ومنذ ذلك الحين أصبحت جميع القوات المصرية في الاسكندرية من مدفعية (طوبجية) ومشاة (بيادة) تحت قيادة « طلبة باشا عصمت » بعد أن تنحى الفريق « اسماعيل باشا كامل » عن القيادة تحت ستار المرض •

وهكذا نقترب الى تقرير بيان جميع القوات المصرية التى كانت في الاسكندرية صبيحة يوم ١١ يولية ١٨٨٢ ـ وهو يوم المعركة التى تسببت نتائجها في الاحتلال البريطاني لمصر •

الالآى الثاني بيادة (مشاة) :

القائد : أميرلاى خليل بك كامل

وكيل القائد : القائمام أحمد بك عفت

بكباشي (قائد) الأورطة (الكتيبة) الأولى : محمد عارف

بكباشي الأورطة الثانية : محمد فودة

بكباشي الاورطة الثالثة : محروس شلش •

الالآى الرابع المشاة :

القائد : أميرلاى عيد بك حمد

وكيل القائد : القائمقام فودة بك حسين

بكباشي الأورطة الأولى : احمد عبد الرحمن
بكباشي الأورطة الثانية : رزق حجازى
بكباشي الأورطة الثالثة : حسن عاصم .
مجموع القوة من ضباط وجنود ١٨٨٥

الالآى الخامس المشاة :

القائد : أميرلاى مصطفى بك عبد الرحيم
وكيل القائد : القائمقام فرج بك عبد العال
بكباشي الأورطة الأولى : يوسف السيد
بكباشي الأورطةالثانية : عبد الرحمن سليم
بكباشي الأورطة الثالثة : سليمان تعليب

الالآى السادس المشاة :

القائد : أميرلاي سليمان بك سامى
وكيل القائد : القائمقام على بك عيسى
بكباشي الأورطة الاولى : على رمزى
بكباشي الأورطة الثانية : فرج يوسف
بكباشي الاورطة الثالثة : أحمد راغب
مجموع القوة من ضباط وجنود ١٨٩١

وهكذا يمكن أن نخلص من ذلك الى أن مجموع القوات المصرية من المشاة (البيادة) التى كانت فى الاسكندرية يوم المعركة

١١ يولية ١٨٨٢ ـ كان يبلغ تعدادها ٧٤٦٣ بين ضابط وضابط صف وجندى على النحو التفصيلى الذى اوردناه •

قوات مدفعية السواحل :

كانت قوات المدفعية الساحلية التى اشتركت فى المعركة بالاسكندرية تتألف من الكتيبة الاولى مدفعية سواحل (١ برنجى طوبجية سواحل) تحت قيادة الأميرلاى اسماعيل بك صبرى فى حين وضعت الكتيبة الأولى تحت قيادة البكباشى عبد العال أبو العلا والثانية تحت قيادة البكباشى سيف النصر والثالثة تحت قيادة البكباشى محمد شيرمى بمجموع القوات التى بلغت ١٧٦٢ ضابط وصف ضابط وجندى •

قوات الفرسان :

خصصت الأورطتان من السوارى (الخيالة)من الالآى سوارى تحت قيادة البكباشى محمد منيب ، وبلغت الأورطتان من الضباط وضباط الصف والجنود ٢٦٢ رجلا ، وبذلك تكون جملة القوات المصرية النظامية التى اشتركت فى معركة ضرب الاسكندرية يوم ١١ يولية ١٨٨٢ من مشاة (بيادة) ومدفعية (طوبجية) وفرسان (سوارى) وطوبجية سواحل (٩٣٨٧ ضابط وضابط صف وجندى •

توزيع الطوابى المصرية الساحلية :

كانت الحصون والطوابى المصرية القائمة على طول شاطىء الاسكندرية تنقسم الى ٣ مناطق بالنسبة لتعرضها لضرب الأسطول البريطانى وذلك على النحو التالى :

المنطقة الاولى :

وهى الواقعة شرقى المدينة وليس بها غير حصن (السلسلة) الذى لم يشترك فى القتال لعدم استكمال استعداداته قبل المعركة ، وأن كان قد قام باطلاق بعض الطلقات غير المؤثرة خلال القتال على السفن البريطانية التى كانت تهاجم طابية « قايتباى » .

المنطقة الثانية :

وهى المنطقة الواقعة شمالى المدينة وكان بها حصون « قايتباى » و « الهلالية » والأطة و « الاستبالية » و «ورأس التين» و « الفنار » .

المنطقة الثالثة :

وهى المنطقة الواقعة غربى المدينة وكان بها الحصون « صالح أغا » و « البرج رقم ١٥ » و « أم قبيبة » و « العجمى » و «المرابط» وكان حصن « العجمى » لم يستكمل انشاؤه بعد .

حالة الطوابي المصرية يوم الثلاثاء ١١ يوليو ١٨٨٢ (يوم المعركة)

	مدافع ارمسترونج مششخنة					المجموع	المدافع غير مششخنة	هاونات	الجملة
	تعمر من الامام				تعمر من الخلف				
	٧ بوصة	٨ بوصة	٩ بوصة	١٠ بوصة					
طابية السلسلة ...	—	١	١	—	—	٢	٢	١	٥
قلعة قايتباي ...	—	٢	٣	١	٢	٨	٣٨	٤	٥٠
طابية الملالية ...							٤	—	٤
طابية الاطة ...	—	١	٣	١	—	٥	١٤	٥	٢٤
الاستبالية	٢					٢	١٠	٥	١٧
رأس التين ...	—	٢	٢	١	١	٦	٢١	٥	٣٢
القنار	—	١	٤	١	—	٦	٢٨	٣	٧
صالح أغا							٢١	١	٢٢
برج رقم ١٥							٤	—	٤
أم قبيبة	—	٢				٢	١٦	٣	٢١
القمرية							٥	—	٥
المكس	—	٣	١	١	١	٦	٣٦	١٠	٥٢
الدخيلة							٤	—	٤
العجمي	١	—	٥	٣	—	٩			٩
المرابط			٣			٣	٢٦	٣	٣٢
الجملة	٣	١٢	٢٢	٨	٤	٤٩	٢٢٩	٤٠	٣١٨

ثانيا : الجانب البريطاني :

وفيما يلي نلقي نظرة فاحصة على الجانب الآخـر ـ وأعني به القوات البريطانية المهـاجمة التي قامت بالهجوم على الاسـكندرية وضربهـا يوم ١١ يوليـة ١٨٨٢ ، ذلك الهجـوم الذي كان بداية للاحتلال البريطاني لمصر والذي استمر نيفا وسبعين سـنة حتى تحررت منه البلاد بعد قيام ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ وتوقيع اتفاقية الجلاء في ١٩٥٤/١٠/٢٤ ، وبطبيعة الحال فان القوات البريطانية المهاجمة تركزت في قطع الاسـطول المدرعة والتي اعتبرت آنذاك أحدث القطع البحرية من حيث التسليح والتدريع وشدة البأس .

المدرعات الثقيلة :

كان الاسطول البريطاني يوم ١١ يولية ١٨٨٢ مشـكلا من ثمان بوارج مدرعة ثقيلة تحت قيادة الاميرال « بوشامب سيمور » وذلك على النحو التالي :

- البارجة (الكسندرا)
- البارجة (انفلكسيبل)
- البارجة (سلطان)
- البارجة (سوبرب)
- البارجة (تمرير)
- البارجة (انفسيبل)
- البارجة (مونارك)
- البارجة (بنلوب)

سفن المدفعية :

- (بترن)
- (كندور)

(بيكون)

(سيجنت)

- (ديكوى)

ويلاحظ انه عند المقارنة بين الأســــلحة المتضادة لكل من الجانبين البريطاني والمصرى ، سنقوم بحذف واســـتبعاد مدافع الاسطول البريطاني التي يقل عيارها عن عيـــار مدافع الطوابى (الحصون) المصرية كذا مدافع السفن الصغيرة الخمســـة (سفن المدفعية) وذلك فى مقابل المدافع العتيقة والهاونات المصرية التى استبعدتها من حساب الطوابى المصرية ، وأعتقد أن هذا الاستبعاد يعد فى صالح قطع الاسطول البريطانى .

الاسطول البريطاني في مواجهة الحصون المصرية :

القسم الاول ويطلق عليه « الاسطول الخارجى »

وكان مؤلفا من المدرعات الخمس (الكسندرا - أنفلكسيبل - سلطان - سوبرب - تمرير) .

وكان هذا القسم تحت قيادة الكابتن « هنت جرب » قائد المدرعة (سلطان) وكلف بالوقوف خارج الميناء فى عرض البحر لمهاجمة حصون المنطقة الثانية المصرية التى سبق الاشارة اليها .

أما القسم الثاني ويسمى بالاسطول الداخلى

فقد تألف من المدرعات الثلاث (أنفســـيبل - بنلـــوب - مونارك) تحت قيادة القائد الأعلى الاميرال « بوشامب سـســـيمور » نفسه ، وكانت مهمته الوقوف فى الجزء المتقدم من الميــنـــاء وبهـــا حصون المنطقة المصرية الثالثة . ، وبناء على ذلك انتقـــل الاميرال « سيمور » ليلة المعركة الى المدرعة انفسيبل لقيادة المعركة منها .

أما مهمة السفن الخمس الأصغر حجما

(سفن المدفعية) وهى غير مدرعة ، فقد كلفت بالوقوف خارج

مرمى الضرب للمدافع المصرية الى أن تحين الفرصة المناسبة التى تسمح لها بالاشتراك فى مهاجمة حصـون المنطقة الثالثـة ، وذلك بالنظر الى قصر عمق غاطس تلك السفن الخمسة :

وقد تلخصت الخطة العامة للاميرال « بوشامب ســـيمور . » والتى عرضها على قادته ليلة المعركة فى أن تقوم جميع البوارج المدرعة المشتركة فى القتال بعد اعطاء الاشارة لها ، بتصـــويب نيران مدافعها الثقيلة سويا وعلى حصـن واحد حتى يتم تدميره تدميرا تاما ، وبعد ذلك — وليس قبله — تصـوب مدافعهـا الى الحصن التالى حسب الخطة التفصيلية للقيام بنفس العمل وهكذا

الفارق بين حرب الحركة وحرب الثبات :

أننا عند القيام بمقـارنة القوى المتضـادة — البريطـانية والمصرية — قبيل المعركة التى سرعان ما نشبت فى صباح يوم ١١ يوليه كما سـنرى بعد قليل ، فانه لا بد من الاشـارة الى عامل عسكرى هام وحاسم من شأنه التـأثير بشـدة على مواقف أحد الطرفين ونعنى به عامل الثبات الذى فرض نفسه على بطاريات المدفعية الساحلية المصرية الملتصقة بالارض، وهو بنفسه العامل الذى وقف الى جانب القوات البريطانية التى كانت فى موقف يسمح لها بحرية الحركة والمناورة والانتقال من موقع الى موقع حسبما يقتضيه الموقف القتالى ، أن هذا الفارق وحدة كان كفيلا فى كافة الظروف بترجيح كفة الجانب البريطانى المهاجم الذى سرعان ما بدأ بعـد المعركة يتبجح بهذا النصر المؤزر الذى احرزه على بطاريات المدفعيـة السـاحلية المصرية الثابتة والتى كانت مدافعهـا من طرز قديمة وبالية من حيث قصر المدى أو قوة القذيفة ذاتها .

كذلك كانت مدافع « الأرمسترونج » المصرية الحديثة الى حد

ما والتى زودت بها بعض الطوابى مؤخرا وقبل القتال مباشرة ، تنقص آلات التنشين (آلات تقدير المسافة) عدا آلة واحدة كانت فى مدرسة المدفعية بالعباسية فى (البوليجون) واستحضرت ليلة ١١ يولية وسلمت الى سيف النصر بك قائد طابية الفنار ويتضح من ذلك بطبيعة الحال تعذر العمل على التصويب الدقيق بدون وجود هذه الألات التكميلية .

« جود ريتش » : تفوق نوعى لصالحنا :

ويذكر القائد البريطانى جود ريتش ـ بعد القتال ـ أن الحسابات كانت دون شك فى صالح البريطانيين وبخاصة من حيث تفوق عيارات المدافع البريطانية على المدافع المصرية ذات العيار الأقل ، بالاضافة الى التفوق النوعى بالنسبة لرجال المدفعية الانجليز والمدربين على أرقى المستويات الأوربية ، من حيث العمل على مدافع « الأرمسترونج » الحديثة ذات الشـشخنة والتى تعمر من الفوهة .

النسبة بين قوة الحصون المصرية وقوة الاسطول البريطانى :

كذلك كانت النسبة بين قوة البوارج المدرعة البريطانية التى هاجمت الطوابى والحصون المصرية صباح يوم ١١ يولية ١٨٨٢ لصالح القوات البريطانية تماما وذلك بسبب ما ذكرناه من حشد كافة البوارج المدرعة المتحركة للضرب على هدف ثابت واحد لايمكنه تغيير مكانه أو المناورة بأية حال ، ويبين لنا الجدول التالى هذه النسبة بالأرقام :

قوة حصن « قايتباى » بالنسبة للاسطول البريطانى الذى هاجمه ٤ : ٣٣

قوة حصن « الأطة » بالنسبة للاسطول البريطاني الذي هاجمه ٥ : ٣٣

قوة حصن « رأس التين » بالنسبة للاسطول البريطاني الذي هاجمه ٧ : ٢٦

قوة حصن « الفنار » بالنسبة للاسطول البريطاني الذي هاجمه ٤ : ٢٦

قوة حصن « المكس » بالنسبة للاسطول البريطاني الذي هاجمه ٥ : ١٦

ويبين الجدول التالى التسليح التفصيلي للبوارج البريطانية التي اشتركت في ضرب الاسكندرية ـ ١١ يولية ١٨٨٢

البوارج المدرعة	المدافع						
	بوصة ٧	بوصه ٨	بوصة ٩	بوصة ١٠	بوصة ١٢	بوصة ١٦ (١)	
الكسندرا				١٠	٢		١٢
أنفلكسيبل						٤	٤
سلطان			٤	٨			١٢
سوبرب				١٦			١٦
تمريو				٤	٤		٨
أنفنسيبل			١٠				٩
مونارك	١		٢		٤		٧
بنلوب		٨					٨
الجملة	١	٨	١٦	٣٨	١٠	٤	٧٧

(١) يبلغ وزن المدفع من عيار ١٦ بوصة ٨٠ طنا ، وقذيفته تزن ١٧٠٠ رطلا او مايوازى ٧٦٥ كيلوا جراما •

وفيما يلي نستعرض « البطــاقات الشـــخصية » للبوارج البريطانية المدرعة التي قامت بالهجوم على الاسكندرية فى صباح ١١ يولية من عام ١٨٨٢ ٠

البارجة المدرعة (أنفلسكيبل) :

تم صناعتها قبل ٦ سنوات فى عام ١٨٧٦ وتعــد من أهم وأقوى قطع اسطول البريطانى المسلح ، غاطسها تحت الماء ١٧٦ر١ مترا وجميع اجزاءها مدرعه ـ تحتوى عى ١٣٥ حجرة ـ برجاها معززات بمدفعين قطر كل منهما ١٦ بوصة (وزن المدفع ٨٠ طنا) ـ مبنيان على خط منحرف الزاوية بحيث يمكن اطلاقهما مرة واحدة باحكام او كل واحد منهما على انفراد ـ قوة الطاقم ٣٤٩ رجلا ـ الحمولة ٤٠٠ر١١ طن ٠

البارجة المدرعة (مونارك) :

صنعت فى عام ١٨٦٨ ـ فى وسطها برجان فى كل منهما مدفعان من عيار ١٢ بوصة (وزن المدفع ٢٥ طنا) ـ فى مقدمتها بطاريه مؤلفه من مدفعين عيار ٩ بوصة (وزن ١٢ طنا) في مؤخرها مدفع قطر ٧ بوصات (وزنه ٥ر٦ طن) ـ الطاقم ٥١٥ رجــلا ـ الحمولة الكلية ٨٣٣٠ طنا ٠

البارجة المدرعة (تمرير) :

صنعت عام ١٨٧٦ ـ ذات قلعة قائمة في وسطها ـ معززة بســتة مدافع ـ بأجنابها طاقات لافواه المدافــع ـ فى كل طاقة مدفعان من عيار ١١ بوصة (وزن الواحد ٢٥ طنا) ـ على سطحها مدفعان من عيار ١١ بوصة (وزن ٢٥ طنا) ـ الطاقم ٥٣٤ رجلا الحمولة الكلية ٨٤٥٠ طنا ٠

البارجة المدرعة (الكسندرا) :

صنعت عام ١٨٦٩ ـ مدرعة قوية ذات بطارية من طبقتين العليا بستة مدافع من عيار ٩ بوصة (وزن ١٢ طنا) ـ السفلى معززة بأربعة مدافع مرتكزة فى طاقات تنطلق منها ـ الطاقم ٤٥٠ رجلا ـ الحمولة الكلية ٦٠١٠ طنا ٠

البارجة المدرعة (سوبرب) :

صنعت عام ١٨٧٥ ـ فى وسطها بطارية مؤلفة من ١٢ مدفعا من عيار ١٠ بوصة (وزن المدفع ١٨ طنا) ـ بها ٣ مدافع من عيار ٦ بوصة (وزن ٧ اطنان) ـ منها اثنان يطلقان آليا ، اما الثالث فيدار وينقل ويطلق من طاقة يرتكز عليها ـ الطاقم ٦٢٠ رجلا ـ الحمولة الكلية ٩٠٠٠ طنا ٠

البارجة المدرعة (بنيلوب) :

صنعت عام ١٨٦٧ ـ فى وسطها بطارية مؤلفة من ٨ مدافع (من عيار ٨ بوصات) ـ يرتكز كل اربعة مدافع منها على طرف من طرفيها ـ علاوة على ٣ مدافع من عيار ٤٠ ليبرة (زنة ٣٥ طنا) الطاقم ٢٢٣ رجلا ـ الحمولة الكلية ٤٤٧٠ طنا ٠

سفن المدفعية (غير المدرعة) :

ـ السفينة (كوندور) :

بها ٣ مدافع (منها واحد زنة ٧ طن ـ ٢ عيار ٦٤ ليبرة) ـ الطاقم ١٠٠ رجل ـ الحمولة الكلية ٧٨٠ طنا ٠

ـ السفينة (بيترن) :

بها ٣ مدافع (زنة الاول ٧ طن ـ و ٢ من طراز أرمسترونج ٤٠ ليبرة) ـ الطاقم ٨٠ رجل ـ الحمولة الكلية ٨٠٥ طنا ٠

ـ السفينة (بيكون) :

بها ٤ مدافع ـ الطاقم ٧٥ رجلا ـ الحمولة الكلية ٤٣٠ طنا ٠

ـ السفينة (ديكوى) :

بها ٤ مدافع ـ الطاقم ٥٩ رجلا ـ الحمولة الكلية ٤٥٥ طنا ٠

مقارنة بين مدفعية الحصون المصرية ومدفعيه الاسطول البريطانى يوم ١١ يوليه ١٨٨٢

المدافع	مدفعية الحصون المصرية المدافعة				عدد المدافع	مدفعية الاسطول البريطانى الهاجمة				ملاحظات
	وزن المدفع بالبوصة	وزن المدفع بالطن	جملة العيار بالبوصة	جملة الوزن بالطن		عيار المدفع بالبوصة	وزن المدفع بالطن	جملة العيار بالبوصة	جملة الوزن بالاطنان	
٣	٧	٢١	٢١	٢١	١	٧	٧	٧	٧	
١٢	٨	٩	٩٦	١٠٨	٨	٨	٩	٦٤	٧٢	
٢٢	٩	١٢	١٩٨	١٠٨	١٦	٩	١٢	١٤٤	١٩٢	
٨	١٠	١٨	٨٠	١٤	٣٨	١٠	١٨	٣٨٠	٦٨٤	
					١٠	١٢	٢٥	١٢٠	٢٥٠	
					٤	١٦	٨٠	٦٤	٣٢٠	
٤٥			٣٩٥	٣٨١	٧٧			٧٧٩	١٥٢٥	

البحث عن ذريعة للحرب

شرع الاميرال « بوشامب سيمور » اعتبارا من أول يولية عام ١٨٨٢ ـ يتلمس الاسباب والذرائع التى تدعوه لبــدء القتــال وتحطيم تلك الروح المصرية الجديدة المتطلعة الى الحرية والاستقلال والتى مثلها الزعيم أحمد عرابى ٠ (١) ٠

وفى هذا يكتب اللورد « كرومر » فيما بعد :

« ٠٠ كان صبر بريطانيا ـ حكومة وشعبا ـ قد نفذ تمــاما ٠٠ فطوال عام ونصف كان كل انسان يرى أن شيئا ما يجب عمله بسرعة للقضاء على عرابى باشا » ٠

ففى يوم ٥ يوليه أنعقـد مجلس الوزراء المصرى الذى حمل فيه عرابى باشا حملة شعواء على سلطان تركيا واصدر أوامره الى جميع ضباط الجيش بالكف عن الاتصال بدرويش باشا ، وقبل ذلك وفى يوم ٣ يوليه ٠٠ كان اللورد الستر (الأميرال بوشامب سيمور) قد كلف بالعمل على وقف أعمال التحصينات المصرية ٠ فان لم تتوقف ، فأن عليه تدميرها وأسكات البطاريات اذا أطلقت النيران لقد أبلغ هذا الاتفاق الى فرنسا ودعيناها الى الاشتراك فى

---

(١) يذكر بعض المؤرخين أن الاميرال « سيمور » كان لديه سببا شخصيا يدفعه الى الاسراع فى البدء بالقتال بقدر ما يمكن ٠ ذلك ان اسطول بحر المانش كان قد تلقى الاوامر بالاقلاع الى البحر المتوسط للانضمام الى اسطول « سيمور » للمعاونة فى ضرب الاسكندرية ، ولما كان الاميرال « دويل » ـ قائد اسطول المانش ـ ارقى رتبة من « سيمور » ، فقد خشى الاخير من اشتراكه معه وبذلك تؤول اليه القيــادة العامة للاساطيل وينسب اليه (شرف) الانتصار المرتقب ٠

العمل كما أبلغت بقية دول أوروبا به ٠ وفي ٥ يوليه صرح المسيو « فريسينية » للورد « ليونز » بان حكومته لاتستطيع اصدا، تعليماتها الى الاميرال « كونراد » للاشتراك مع الاسطول البريطاني في وقف اقامة البطاريات ونصب المدافع بالقوة المسلحة لانها تعتبر هذا الاجراء عملا عدائيا لمصر وهو ما لا تستطيع الحكومة الفرنسية الاقدام عليه بغير مخالفة الدستور الفرنسى الذى يحرم القيام بالحرب بغير موافقة البرلمان ٠

يقول اللورد « كرومر » :

« ٠٠ ولما كان الرأى العام البريطاني والحكومة البريطانية قد اتفقت وجهة نظرهما قبل ذلك على الكف عن الخطط السياسية التى تشبه نسيج العنكبوت ، والتى كانت تقف دائما عقبة في طريق أى عمل مثمر ومكنت عرابى باشا من تحدى أوربا ، فان الفرصة قد سنحت لنا من تلقاء نفسها للقضاء عليه ٠٠ ففى تاريخ سابق هو ٢٣ يونية ١٨٨٢ ، وصل الى علم الاميرالية البريطانية بأن بطاريات السواحل المصرية يتم تجهيزها فى الاسكندرية لاستخدامها ضد الاسطول البريطانى ، وأن السلطان (سلطان تركيا) قد أمر بوقف هذه الاعمال فنفذ المصريون أوامره لبعض الوقت فقط ثم استأنفوا تجهيزها بعد شهر واحد ، الى جانب العمل على حشد حامية الاسكندرية وقيام عرابى باشا بتحريض زملائه على اثارة شعور الجماهير انتهى ما كتبه كرومر ٠

وثائق الكتاب الأزرق البريطانى لعام ١٨٨٢ تثبت نية العدوان والتحرش من الجانب البريطانى

وليسمح لى القارىء ـ دون أن أتدخل بالتعليق الا فيما ندر ـ أن أورد فيما يلى بعض ما أثبتته الوثائق الرسمية التى اصدرتها

الحكومة البريطانية فى كتابها الأزرق لعـــام ١٨٨٢ والتى تثبت بجلاء الغدر البريطانى الذى تمثل فى العمل بكل السبل للتحرش بالمصريين وضرب أحمد عرابى مثل الاتجـــاه المصرى الجديد نحو الحرية والتخلص من النفوذ الاجنبى ٠

« سيمور » : الاساطيل فى فخ عرابى ! :

ففى الأول من يوليه ـ وحسب الخطـة المتفق عليهـــا مع الأميرالية البريطانية والحكومة ، بدأ الاميرال « بوشامب سيمور » فى تنفيذ « التمثيلية » التى يمكن تشبيهها بقصة الذئب والحمل من أجل البحث عن الذريعة المناسبة للتدخل واحتلال الاسكندرية

وهكذا أرسل الاميرال « ســيمور » فى يوم ١١ يوليه ١٨٨٢ البرقية التالية الى الأميرالية البريطانية من الأسكندرية ، ويقول فيها :

« لقد شوهدت مراكب مشحونة بالمواد المفرقعة على مسافة قريبة من الجسر (يقصد قناة السويس) وفى هذا الموقع معسكر كبير للبدو ٠ ومعسكر الزقازيق تلقى أوامره بحشد ٣٠ ألف رجل مزودين بالفئوس والاجولة (مما يعنى أن النية معقودة على ســد قناة السويس) وتلقت الاهالى تعليمات بالتزود بالاسلحة ، وفى الاسكندرية وحصونها ما يربو على عشرة آلاف جنـدى ، وحركة الامداد بالعساكر الاحتياطية تدور باستمرار ، ويقول « عرابى » أن النبى يزوره كل ليلة ، ويأمل ان تقع الاساطيل المتحدة فى فخ ينصبه ٠ وذلك بأن يغرق مراكب محملة بالاحجار فى القناة » ٠

الاميرالية البريطانية : دمروا الحصون ! :

وتأتيه اجابة الأميرالية البريطانية والتى يمكن معرفة فحواها

من البرقية الصـــادرة من مجلس الأميرالية البريطانية الى الأميرال « سيمور » والمؤرخة فى ٣ يوليه ١٨٨٢ · وتقول فيها :

« امنعوا كل محاولة يراد بها غلق مدخل البوغاز الموصـــل للميناء (قناة السويس) ، واذا بوشر اعادة العمل فى الحصـــون أو نصبت فيها مدافع جديدة فاخبروا قائدها الحربى بأن لديكم أوامر بالحيلولة دون ذلك ، واذا لم يوقف العمـــــل فى الحال ، فدمروا الحصون وأسكتوا المدافع اذا أطلقت النيران ، وذلك بعد أن تعطوا الأهالى والســــفن التجارية أو الحربية الأجنبية المهلة الكافية » ·

« سيمور » : مهلة للأوروبيين للهجرة ! :

ويعاود الأميرال « سيمور » فى اليوم التالى — ٤ يوليـــه — أرسال برقية جديدة الى الأميرالية يقول فيها :

« نصب مدفعان جـــديدان فى قصر (قلعة قايتباى) فى الليلة الماضية كما قوى حائطه المواجه للبحر أيضا ، ويفضـــل القنصل الجنرال أن أوجل توجيه الأنذار الى صباح يوم الخميس لكى يجد الأوربيين فرصة للهجرة من القاهرة ·· ولم يحدث أى تغيير فى الواجهات المشرفة على البحـــر · وطلب منى الأميرال الفرنسى معلومات فوردت له الأجابة من القـــائد الحربى ب س « عرابى » الذين أرسلا الأميرال المصرى ليؤكد أنه ليس هنـــاك أية فكرة بعمل سد ما فى مدخل القناة » ·

انسحاب الأسطول الفرنسى :

وفى يوم الخامس من يوليـــة ١٨٨٢ ، أخبر موســـيو « فريسنييه » رئيس مجلس وزراء فرنسا لورد « ليونز » — سفير انجلترا فى باريس — الذى أبلغ بدوره لورد « جرانفيل » أنه قد وردت اليـــه فى الصباح برقيـــة من الأميرال « كونراد » — قائد الأسطول بمياه الأســـكندرية — عن التعليمات التى تلقاهـــا الأميرال « سيمور » من أجل النياب التى نسبت للحكومة المصرية

وقيل عنها أنها موجهة ضد الأسطولين الفرنسي والبريطاني ، ثم قال الوزير الفرنسي للسفير البريطاني أنه قد جمع مجلس الوزراء لبحث المسألة فقرر أن الحكومة الفرنســية لاتستطيع أن تعطى تعليمات للأميرال « كونراد » بأن ينضم للأميرال « سيمور » اذا وجه الأخير أنذارا نهائيا للمصريين فيما يختص بتحصيناتهم وأن يتراجع اذا صمم الأميرال البريطاني « سيمور » على القتال ٠

وهذا أصبحت بريطانيا ـ بعد انسحاب الأسطول الفرنسي من مياه الأســكندرية ـ مطلقة اليدين أمام مصر ، وهو ما كانت بريطانيا ـ في واقع الأمر ـ ترنو اليه من قبل لغزو مصر والقضاء على « أحمد عرابى » ٠

« سيمور » : لم يوضع أى مدفع جديد :

وفي السادس من يولية ١٨٨٢ ، يكتب « سيمور » من جديد الى الأميرالية البريطانية برقية يقول فيها ٠

« لقد أكد لى القائد العســكرى ردا على مذكرتى المؤرخة بتاريخ اليوم بأنه لم يوضع أى مدفع جديد فى الحصون المصرية ولم ينجز عمل ما ، وصادق « درويش باشا » على صحة ذلك ، ولم تحدث أية اشارة تدل على القيام بأعمال جديدة من بعد ظهــر أمس ٠٠ ويجوز أن ذلك انما كان امتثالا لأمر السلطان ، ولسوف لا أتردد في الضرب اذا واصلوا هذه الأعمال ٠ وقد تلقى الأميرال الفرنسي الأوامر من حكومته بالتراجــع هــو وبوارجــه اذ بدء العدوان » ٠

قناصل الدول الكبرى يناشدون « سيمور » :

وفي السابع من يولية ١٨٨٢ ، كان واضحا تماما لقناصل الدول الكبرى بالأسكندرية أن الأسطول البريطاني ما أتى الى مياه الأسكندرية الا لكى يدمرها ويحتل مصر ، وبخاصــة بعد أن تسرب اليها ومنها بعض المعلومات التى تؤكد نية بريطانيا العظمى في ضرب مصر والقضاء على نفوذ « أحمد عرابى » والقوة العسكرية المصرية الجديدة ٠

وهكذا أرسل قناصل الدول الأجنبية بالاسكندرية هذه المذكرة الجماعية التى وقعوها رسميا وجاء فيها :

« •• ان وفرة مصالح رعايانا الكثيرة العدد بالاسكندرية الآن والذين لهم أملاك كبيرة جدا تضطرنا الى أن نستعلم من جنابكم عما اذا كنتم تعتبرون أجابة الحكومه المصرية الخاصة بالتحصينات مرضية •• ونحن نرى انه فى مقدورنا أن نحصل على تأكيدات منها ترضيكم الرضاء التام اذا كان لم يزل يتراءى لكم أن الاجابه المذكورة غير وافية ، وسنكون شاكرين غاية الشكر اذا عرفتمونا أن هذه المسألة قد سويت وأنتهت ، أما اذا كان الأمر على غير ذلك فأفيدونا عمن نعتمد عليه فى ترحيل رعايانا ، وعلى أيه حال لا يمكن أن يتم ضرب الأسكندرية بدون ان يجر ذلك أخطارا جمة على المسيحيين والأهالى معا ، ولا بدون تدمير ما لا يحصى من أملاك الاوروبيين • وسنستقبل بمزيد السرور تكرمكم برفع هذه المذكرة الى حكومتكم قبل أن تنفذ أوامرها التى صدرت بشأن هذه المسألة » •

« سيمور » هدفى هو عرابى فقط !! :

ولا يجد الاميرال « سيمور » مفرا من الأعتراف لهؤلاء القناصل بهدفه الحقيقى وهدف حكومته ، فيكتب من على ظهر سفينة القيادة رسالة الى قناصل الدول الأجنبية يرد فيها على مخاوفهم التى أبلغوها له فى ذات اليوم ، يقول فيها :

سادتى

أتشرف بابلاغكم بوصول مذكرتكم الأجماعية التى بعثتم بها الى اليوم تسألوننى فيها عما اذا كنت مرتاحا من أجابة القائد العسكرى المصرى على خطابى الذى أرسلته اليه بالأمس •• وأنى أشكركم كثيرا على ما عرضتموه على بشأن الحصول من القائد العسكرى المصرى على أجابة مرضية اذا كنت أرغب فى تأكيدات منه أوفى من الاولى ، كما أرجو أن تقبلوا وافر شكرى على الاقتراح الذى تلطفتم بتقديمه الى ، فاذا كان نفوذكم لدى القائد العسكرى المصرى يمكن أن يحمله على التصرف باخلاص ويحول دون استمراره فى أعمال التحصينات ، فانكم بذلك تصيبون الهدف المقصود لأن التأكيدات

المكتوبة مهما تكن عباراتها فهى قليلة القيمة بالنسبة للمصالح التى اوئتمنت عليها •

يلزمنى أن أوكد لكم أنى لا أنوى ولا قلت مطلقا أننى أقصد أن أضرب الاسكندرية • فأن اعمالى الحربية اذا أمست ضرورية فستوجه الى الحصون ولا أرى سببا للخوف من وقوع تلف يصيب الأملاك الخصوصية التى أنتم فى وجل من أجلها •

وسأبلغ حكومة جلالة الملكة الملاحظة التى لفتم نظرى اليها فى الفقرة الأخيرة من خطابكم ويجب أن أحرص مع التدقيق على نص بلاغى الذى أرسلته الى القائد الحربى المصرى •

وعلى اية حال فسيعطى أنذار نهائى مدتة ٢٤ ساعةفقط ••وأتشرف بأبلاغكم تحياتى • ››

كارترايت : ترحيل الرعايا الأنجليز :

ويرسل المستر كارترايت من ظهر البارجة هيلكن الراسية فى مياه الأسكندرية برقية الى وزير الخارجية البريطانية فى نفس اليوم ــ ٩ يوليو ١٨٨٢• يقول له فيها :

• • سيدى اللورد

أتشرف بأخباركم أنه أتصل بالأميرال سيمور أن مدفعين جديدين قد نصبا صباح اليوم بحصن السلسلة القائم تجاه الميناء الجديدة •

والايستطيع الأميرال أن يلزم الصمت حيال هذا العمل العدوانى (!!) فقرر أن يطلق النار عند شروق يوم الثلاثاء الجارى • ولقد أخطرت فى هذا المساء القناصل الجنرالية (العامة) والخديو ودرويش باشا ، وسأعمل الترتيبات اللازمة لترحيل الرعايا الأنجليز على البواخر فى هذا المساء أو صباح غد •

وفى ذات اليوم ــ ٩ يوليه ١٨٨٢ ــ وجه قنصل انجلترا فى مصر برقية الى رعايا الأنجليز للتوجه الى السفن البريطانية الراسية بمياه الأسكندرية جاء فيها :

الى قناصل الدول :
أتشرف باخباركم أنه من المرغوب فيه أعلان كافة الأشخاص التابعين لحكومتكم بأن يكونوا في البواخر الراسية في الميناء خلال ٢٤ ساعة تمر من تاريخ هذا الاعلان ٠

قنصل بريطانيا : قطع العلاقات مع مصر :

وفي صباح يوم ١٠ يوليه ١٨٨٢ ، كانت الأحداث تتدافع في اتجاه الحرب بعد ان قام الاميرال « بوشامب سيمور » بتعليمات حكومته في لندن باعداد ساحة القتال وتنفيذ التمثيلية بدقة ٠ يرسل قنصل بريطانيا في مصر برقية عاجلة الى « درويش باشا » ـ مندوب السلطان العثماني في مصر يقول له فيها :

« ٠٠ الى صاحب السعادة درويش باشا :

بناء على بلاغ الأميرال « بوشامب سيمور » الذى وجهه الى قائد الاسكندرية الحربي في صباح هذا اليوم أرانى ـ بصفتي وكيل قنصل جنرال حكومة صاحبة الجلالة الملكة ـ مضطر الى أن اخلى وكالة جلالتها بالأسكندرية وأن أقطع ـ مؤقتا ـ العلاقات التى كانت الى الآن بيني وبين نظارة الخارجية المصرية ، ثم أخبركم بانني مكلف بأن أعلن سعادتكم بالضرورة الماسة لكفالة سلامة سمو الخديو في كل الظروف وان حكومة جلالة الملكة تأمل من سعادتكم أن تشملوا وقاية سموه وأسرته بكل أنواع الاحتياطات التى تستدعيها الاحوال بأستعمال نفوذكم المستمد من نيابتكم عن جلالة السلطان ، وأنكم لتعلمون أن سموه لا ينكص أمام الاخطار الجسيمة التى يعرض لها موقفه الحالى بسبب تحمله أوفر نصيب مما تفرضه عليه الواجبات ، فحكومة صاحبة الجلالة البريطانية كلفتنى بأن أعلم دولتكم بأن عليكم ـ بحسب رأيها ـ مسئولية وقاية سموه من كل خطر ودرء الاخطار التى يمكن أن تحيط بسموه في أثناء هذه الحوادث ٠

هل بدا صبر « سيمور » ينفذ ؟ ! :

في يوم ٧ يولية ١٨٨٢ ، بدأ صبر الأميرال « سيمور » في النفاذ ٠٠ نراه يرسل البرقية التالية من ظهر البارجة « أنفنسيبل » الى القائد الحربي المصري يقول فيها :

« أتشرف بأبلاغكم أني علمت عن طـريق رسمى أن مدفعين جديدين قد نصبا أمس ٧/٦ فى خطوط الدفاع المشرفه على البحر وان بعض استعدادات حربية على وشـك الانجاز فى مواجهـة الأسكندرية الشـمالية الغرض منها تهديد الأسـطول الذى تحت قيادتى فيجب على والحالة كذلك أن أعلنكم أن لم تأمروا بالاقلاع عن هذه الأعمال أو تكونوا قد أمرتم بالاقلاع عنها ، يكون من واجبى ضرب الحصون الجارى فيها البناء •

وأتشرف بأن أكون فى خدمتكم » •

القائد المصرى : أثق فى شريف عواطفكم !

ويرد اللواء « طلبة باشا عصمت » ـ القـائد الحربى المصرى لمدينة الأسكندرية ـ على برقية الأميرال المتعطش الى الحرب ردا يحاول فيه تفويت غرضه ، يقول له فيها :

الأسكندرية فى ٧ يولية :

عزيزى الأميرال الانجليزى :

أتشرف بأن أخبركم بوصـول خطابكم المؤرخ فى ٧ يولية والذى تذكرون فيه أنه أتصل بكم تركيب مدفعين وأن أعمـالا أخرى على وشك أن تقام على شاطىء البحر ، فردا على ذلك أريد أن أوكد لكم أن الأخبار المذكورة عارية عن الصحة وأن هـذه الأخبار مثل خبر التهديد بسد مدخل البوغاز الذى أتصـل بكم وتحققتم من كذبه •

هذا وأنى لواثق من شريف عواطفكم المتشبعة بروح الانسانية وأرجو قبول احتراماتى •..

الأمضـاء

طلبـة عصمت

لواء ـ قائد القوة

« سيمور » يستعد للقتال :

بعد ٤٨ ساعة ، وفى يوم ١٨٨٢/٧/٩ يرسـل الأميرال « بوشامب سيمور » البرقية التالية الى الأميرالية البريطانية والتى يكشف فيها فيها عن عزمه على تنفيذ المخطط المعد من قبل ويقول فيها :

« ايماء الى برقيتى المؤرخة فى ١٨٨٢/٧/٤ أقول أنه ليس هناك أدنى ريب فيما يتعلق بالتسليح ، وأنى سأخطر قناصـل الدول الاجنبية غدا عند شروق الشمس وأشرع فى الضرب بعـد ٢٤ ساعة أن لم تسلم الى الحصـون القائمـة على البوغاز والتى تشرف على مدخل المينـاء » •

اجابة متزنة من درويش باشا :

وفى نفس التاريخ ـ العاشر من يوليـة ـ يرسل « درويش باشا » ـ نائب السلطان بمصر ـ برقية متزنة الى القنصل البريطانى بمصر ردا على برقيته السابقة ، يقول له :

عزيزى نائب القنصل البريطانى :

تسـلمت خطابكم المؤرخ فى ١٠ الجارى والذى شرفتمونى بارساله الى ويمكننى أن أوكد لكم أنى بذلت غاية جهدى فى القيام بالمهمة التى تفضل جلالة السلطان وعهد بها الى • ولقد عز على أن أدرك السبب الذى من أجله أنساق الأسطول البريطانى فجأة منـذ أمس الى ابداء هذه النيات العدائية بعد أن لبث مـدة طويلة ملقية مراسيه فى ميناء الأسكندرية لم يظهر فيها الا ميولا سلمية •

أن العلائق الودية بين السلطنة العثمانية وبريطانيا العظمى مازالت باقية ، وحيث أن مصر هى احدى ولايات السلطنة فكان فى استطاعة جناب الأميرال أن يعرض أولا وجوه شـكايته التى استوجبت التدابير التى اتخذها بطريقة ودية • وكان فى استطاعته مراجعتها والنظر فى وسـيلة لملافاة الشر • ومتى ظهر مرتكبوا

الأعمال التى أوجبت الشكوى يكن فى الأســـتطاعة انزال العقاب بهم ـ ويبدو لى أننا لو تصرفنا بهذه الطريقة لكان الامر قد آل الى توطيد العلائق الودية بين المملكتين عوضا عن الأنسياق فى تيار العدوان ٠

ولقد اتاحت الفرصة لسعادة (راغب باشا) ولوكيل نظارة البحـرية أن يـؤكد لكم وللأميرال أنـه لم يخطر ببـال الحكومة المصرية أن تعمل أى عمل يكدر صفو هذه العلائق الحسنه ٠

ومن المهم البحث عمن تقـع عليه المسئولية اذا كان جواب تصريحات حكومة مشبعة بروح المحبة وحسن النية قد قدمت كل الوعود والتأكيـدات الضرورية هو القيـام بأعمال عدوانية لا تسـتند الى المبـادىء التي تسود العلائق بين دولتين متحابتين ـ أما التنبيه الذى وجهتموه الى أن أكفل بكل ما لدى من الوسـائل سلامة الخديو ، فيجب أن ألفت أنظاركم أنه ليس من الصواب ايجاد تمييز بين شخصية الخديو توفيق باشـا السامية وحكومته ، وأنه لمن الطبيعى جدا أن سموه ما زال يعنى بسلامة وهناء البلاد التى يحكمها أكثر مما يعنى بسلامة شخصة ٠

سيمور « يقدم انداره » النهائى :

أخيرا ٠٠ يبلغ الأميرال سير « بوشامب سيمور » الانـذار النهائى الذى كان يتحرق شـوقا الى تقديمه لبدء المذبحـة المروعة التى سرعان مابدأت بعـد قليـل ، ففى يوم ١٠ يوليو ١٨٨٢ ، أرسـل الأميرال البريطانى الأنذار التالى الذى وجهه الى « قائد الأسكندرية الحربى وجاء فيه ٠

من ظهر البارجة «أنفنسيبل» بالاسكندرية في ١٨٨٢/٧/١٠

صاحب السعادة :

اتشرف بأخبار سـعادتكم أنه نظرا لحدوث اسـتعدادات حربية آخذة فى الأزدياد منذ يوم أمس فى حصون (السلسلة) و (فاروس) ـ قايتباى ـ و (صـالح) ، وهذه الأسـتعدادات

موجهـة بالطبع الى الأسـطول الـذى تحت قيادتى ، فقد عقدت العزم على ان انفذ غدا – ١١ الجارى – عند شروق الشمس العمـل الذى أعربت لكم عنه فى خطـابى المؤرخ يـوم ٦ الجـارى آن لم تسلموا لى حلال قبل هذه الساعة البطـارية المنصـوبة على برزخ (ميناء) رأس التين وعلى شط ميناء الأسـكندرية الجنوبى لمنع التسـليح بها .

ولى الشرف أن أكون خادمكم المخلص

القنصـل البريطانى : أخلاء القنصلية :

وفى يوم العـاشر من يوليه ١٨٨٢ ، يوجـه القنصـل البريطانى برقية عاجلة الى « راغب باشا » – رئيس وزراء مصر – من ظهر البارجة « تنجور » يقول فيها .

.. سيدى العزيز :

بنـاء على البلاغ الذى قدمه الأميرال السـير « بوشـامب سيمور » فى هذا الصباح الى القائد الحربى بالأسـكندرية أرانى مضطرا الى أن أخلى قنصـلية صـاحبة الجلالة البريطانية وأن أقطع منذ الان العلاقات التى كانت بين سـعادتكم وبين شخصى بصفتى وكيل وقنصل جنرال بالنيابة عن جلالتها فى مصر .

ولى الشرف أن أكون فى خدمتكم .

رئيس وزراء مصر يقابل الأميرال « سيمور » :

عند وصول هذه الرسالة الى « راغب باشا » توجه برفقـة « عبد الرحمن بك رشدى » – ناظر المـالية و « تيجران بك » – سكرتير مجلس « النظار – الى البارجة » أنفنسيبل » حيث دارت مناقشـة طويلة مع الأميرال « سـيمور » كان من نتيجتها أن الأخير عدل عن انذاره لينحصر فى آنزال المدافع التى فى الحصون

المشرفة على البحر ، على أن يقوم بهذه العملية الجنود المصريون تحت أشراف الضباط الأنجليز •

وهكذا غادر « راغب باشا » ورفيقاه البارجة بعد أن وعد بأرسال الأجابة في المساء ، وتوجهوا في الحال الى قصر « رأس التين » وعرضوا الأمر على الخديو و « درويش باشا » مندوب السلطاني العثماني •

الخديو يدعو الى جلسة غير عادية :

وهنا طلب الخديو « توفيق » عقد جلسة « غير عادية » لفحص الموقف وتمحيصة (١) وكانت الجلسة حامية ودارت المناقشات الحادة جدا والتي سادت فيها الآراء المتضاربة الى حد بعيد •

« درويش باشا » : مقاومة الحصون :

يقول « أحمد باشا شفيق » في مذكراته :

ان درويش باشا قد توجه الى طابية الفنار مع محمد باور من ضباط الحرس الخديو لاختيارها وأختبار المدافع المنصوبة فيها ، وقرر بعد ئذ أنه بصفته من ضباط المدفعية يقرر أن الحصون والمدافع التي بها لاتستطيع مطلقا أن تقاوم المدرعات البريطانية ، وقال أيضا أنه لوكان واثقا من أن مصر تستطيع المقاومة لتولى بنفسه قيادة جيشها ، ولذلك نصح « عرابي باشا » بقبول طلبات الأميرال « سيمور » ••

(١) حضر هذه الجلسة كل من الخديو ((توفيق)) والمشير ((درويش)) ((باشا)) ـ قدرى بك سكرتيرة ـ أحمد اسعد عضو الوفد العثماني ـ اسماعيل باشا رئيس النظار ـ احمد باشا راشد ناظر الداخلية ـ عبد الرحمن بك رشدي ناظر المالية ـ احمد باشا عرابى ناظر الجهادية والبحرية ـ على باشا ابراهيم ناظر الحقانية ـ سليمان اباظة باشا ناظر المعارف ـ محمود باشا الفلكى ناظر الاشغال ـ حسن باشا الشريعى ناظر الاوقاف ـ لطيف باشا من نظار البحرية السابقين ـ حافظ باشا من نظار المالية السابقين =

أما « مرعشلى » باشا — مدير التحصينات العام السابق — والذى حضر هذا الأجتماع الحافل ، فقد كان له رأى آخر فى موضوع الأنذار البريطانى ، ولنستمع اليه ليعطينا صورة الماحدث فى ذاك الأجتماع ، يقول « المرعشلى باشا » ٠

« ٠٠ وسألنى حضرة الخديو عن موضوع الطوابى والأنذار ومدى تحمل هذه الطوابى لضرب الانجليز ٠٠ فقلت له : أن صاحب الوظيفة الآن (محمود باشا فهمى) هو الذى يوجه اليه مثل هذا السوءال ٠

وبتوجيه السوءال اليه أجاب طوابى الأسكندرية تقاوم مقذوفات الأسطول البريطانى لمدة ثلاثة شهور وهنا فهمت من أجابته أنها أما أن تكون على جهل منه او لغرض تقوية عزم العصاة (يقصد العرابيين) ٠

أما أنا فاجبت أن الطوابى لاتتحمل أكثر من ٢٤ ساعة :

٠٠ وعندما سألنى الخديو عن رأيى ، أجبت أن الطوابى لاتتحمل أكثر من ٢٤ ساعة اذا كان الضرب مستمرا و ٤ — ٥ ٠ساعات كافية لتخريب الطوابى وأغلب المدافع تلقى على الأرض من أصابة المقذوفات لكونها مكشوفة ويكون بداخل الطوابى مجزرة من العساكر القتلى والمصابين من الشرابنلات (القنابل) ومن أنتشار قطع الأحجار التى تتناثر فى الأبنية العالية ، وهذا لكون الطوابى المذكورة مبنية منذ زمن بعيد بالنسبة لمقاومة الأسلحة القديمة ٠ والاسلحة الجديدة لهاتأثير كبير عنالقديمة

= محمد باشا سلطان رئيس مجلس النواب — اسماعيل باشا أبو جبل عضو مجلس الشيوخ — محمد باشا سعيد عضو مجلس الشيوخ — محمد باشا كامل وكيل نظارة البحرية — قاسم باشا فن وكلاء نظارة البحرية السابقين — محمد باشا المرعشلى مدير التحصينات العام السابق — محمود باشا فهمى مفتش التحصينات العام — طلبة باشا عصمت القائد الحربى لمدينة الاسكندرية — « تيجران بك » سكرتير مجلس النظار ٠

والمراكب الخشــبية تغيرت بمراكب مدرعة ، وأمـــا تلك الطوابى فأنه لم يحصـــل فيها تغيير •

اقترحت خطة لحقن الدمـــاء :

« •• يستطرد » مرعشلى باشا « ـ مدير التحصينات العـام ـ يقول عن تلك الجلسة :

« •• فاذا كان التصميم على الضرب ، فالأحسن لأجل حقن دماء العساكر ، لا يلزم دخولها الطوابى وقت الضرب • حيث ان المدافع فى طوابينـا من الطراز القديم ، ولا يكون لهـا أدنى تاثير فى المراكب الانجليزيه ، وفضــــلا عن ذلك فان مدافع الانجليز وعساكرهم فى غرف من الحديد • أما عســـاكرنا ومدافعنا فانهم مكشوفين تنزل عليهم الشظايا الكثيرة مثل المطر وتتلفهم فى اقرب زمن ، وكان رأيى أن يختفى الجنود من الطوابى حتى يتم تدميرها بواسطة الأسطول البريطانى ثم نقاومهم أثناء النزول على السواحل بعساكرنا « بما أنهم ليســـــوا من الطير حتى يمكنهم أن يطيروا مسافة تبلغ نحو الألف وخمسمائة متر ويدخلوا الطوابى » لأنهم متى أرادوا أن يتوجهوا الى الطوابى يلزمهم تنزيل عساكرهم فى صنادل لأجل طلوعهم على الساحل ، وهنا يلزم على عساكرنا التى فى البر أن يستعدوا للمدافعة وعدم ترك الأنجليز لأن يطلعوا على البر وفى ذلك صعوبة جدا للمهاجمين بالنسبة لفن الحرب • فلم يقبل قولنا وطعن فى حقنا ونحن كذلك جاوبناه بما لزم ، وترتب على ذلك أن اكتسبنا زيادة عداوة مع المذكورين علاوة على العداوة الأصلية وكانت مجاوبتنا لهم بما ذكر لأجل تخويف العصـــــاه وارتجاعهم عن المقاومة وتنزيل المدافع بما أن ذلك أخف الضررين •

« مرعشلى باشا » : محمود فهمى يعارضنى ! :

يقول « مرعشلى باشا » :

وكانت معارضة « محمود باشا فهمى » لى شديدة حيث قال انه حضر حرب الصرب وأنه نظر تأثير الشرابنلات (القذائف) بكثرة وما كان يخاف منها •

كذلك عارضنى « طلبة باشا عصمت » بقوله :

« نحن يلزمنا أن نذبح بقنابل الانجليز تحت المدافع ولاتتركها بدون عساكر » ·

أما « عرابى باشا » ، فقد عارضنى كذلك بقوله :

« أنه لوتركنا الطوابى بدون عساكر ، فأن الأنجليز بعد أن يخربوها في الحال توضع بها بنديراتهم (أعلامهم) ، وقال أيضا: « هل قنابل الأنجليز تؤثر بطوابينا وقنابلنا لا تؤثر فى السفن ؟ ولم يقتنع هو أو غيره بحجتى التى سقتها عاليه ·

والى هنا تنتهى رواية « مرعشلى باشا » مدير التحصينات السابق عن الاجتماع العاصف الذى جرى فى أعقاب تسلم الحكومة المصرية الانذار البريطانى الذى وجهة الأميرال (سيمور) الى اللواء (طلبة باشا عصمت) قائد الاسكندرية الحربى ·

رواية اخرى عن اجتماع الحكومة :

رواية أخرى عن هذا الاجتماع يرويها المسيو « بيوفيس » في كتابه (الفرنسيون والأنجليز فى مصر) يقول فيها ·

« لقد كان الخديو » يرغب فى عقد أتفاقية صلح مع الأنجليز ، ولكن هذه الرغبة أثارت غضب المشير « درويش باشا » الذى ضرب المائدة بقبضة يده صائحا ·

« لاتنسوا أنكم جميعا عبيد السلطان الذى مقره الآستانة ·· وليس هنا محل المداولة ·· وتسريم الحصون المصرية أمر يكسو المسلمين ثوب الخزى والعار ·· »

مصر ترفض الأنذار البريطانى :

على أية حال ·· فقد رفضت الحكومة المصرية بعد هذا الاجتماع ، الأنذار الذى وجهه الأميرال « بوشامب سيمور » والذى

أصرفيه على ضرورة تسليم الحصون المصرية ، وأرسلت ردها فى يوم العاشر من يوليه ١٨٨ ، وفيما يلى نص المذكرة المصرية ٠

لم تعمل مصر شيئا يقضى بأرسال هذه الأساطيل المتجمعة ٠٠ ولم تعمل السلطة المدنية ولا السلطة العسكرية أى عمل يسوغ مطالب الأميرال الا بعض اصلاحات ضرورية فى أبنية قديمة ٠٠ والطوابى الآن على الحالة التى كانت عليها عند وصول الأساطيل ٠ ونحن هنا فى وطننا وبيتنا ٠٠ فمن حقنا بل من الواجب علينا أن نتخذ عدتنا ضد كل عدو مباغت يقدم على قطع أسباب الصلات السلمية التى تقول الحكومة الأنجليزية أنها باقية عليها ٠

ومصر الحريصة على حقوقها ، الساهرة على تلك الحقوق وعلى شرفها لاتستطيع أن تسلم أى مدفع ولا اى طابية دون ان تكره على ذلك بحكم السلاح ٠٠ فهى لذلك تحتج على بلاغكم الذى وجهتموه اليوم ٠ وتوقع مسئوليات جميع النتائج المباشرة وغير المباشرة التى تنجم عن مثل هجوم الاساطيل او عن أطلاق المدافع على الأمة التى تقذف فى وسط السلام القنبلة الأولى على الأسكندرية المدينة الهادئة مخالفة بذلك لأحكام حقوق الأنسان ولقوانين الحرب ٠

« عرابى » يتحرك :

بفشل كافة الجهود التى بذلت ابتغاء التوصل الى حل سلمى يمكن فيه تجنب القتال والذى تسبب فيه عناد الاميرال « سيمور » ، لم يبق الا تفويض الأمر للحديد والنار ٠

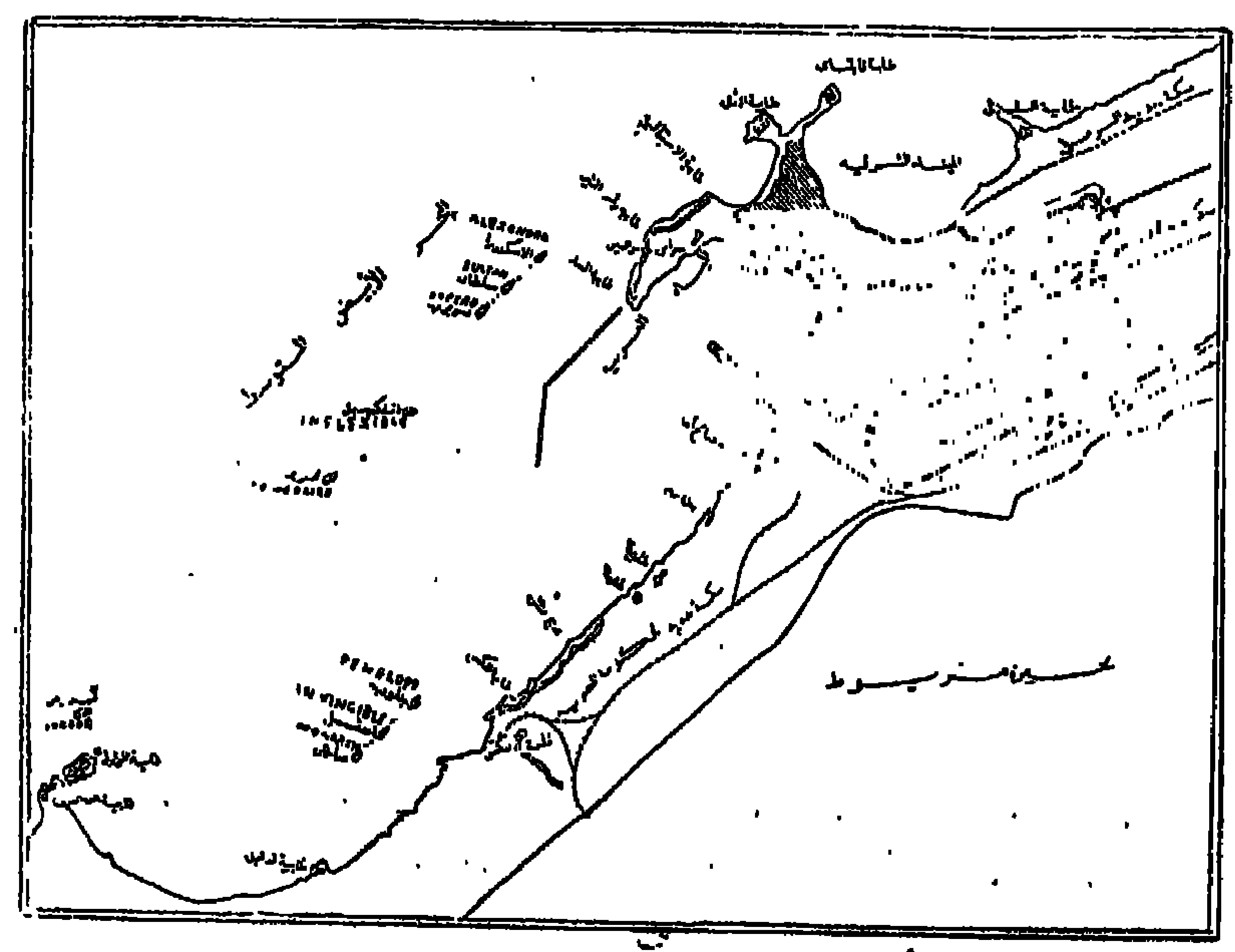
وفى ليلة ١١ يوليه ١٨٨٢ أرسل « أحمد عرابى » أمراء الآلايات « عبد بك محمد » ومصطفى عبد الرحيم وسليمان بك سامى « قادة برنجي طوبجية سواحل وقومندان حصون أسكندرية ، وكان « عرابى» وقتذاك بالترسانة برفقة « محمود باشا فهمى » « و » طلبة باشا عصمت قائد حامية الأسكندرية و محمد باشا كامل وكيل نظارة الحربية ٠

فلما جاء أسـماعيل بك صـبرى ، أخبره « عرابى » بأن الأسطول البريطانى سيضرب حصـون الأسـكندرية فى صبيحة اليوم التالى ، وأن المجلس فى « رأس التين » قرر عدم مجـاوبة الأسطول الا بعد الطلقة الخامسـة وأضاف « عرابى » : « ومن اللازم أن نصدر أمرا بأن المجاوبة لاتكون ألا بعد الطلقة العاشرة »٠

« عرابى » يصدر أوامر العمليات :

فى ذات الوقت أصدر احمد عرابى الأوامر التالية استعدادا للقتال :

الآلات الخامس مشـاة (٥ جى بيادة) بقيـادة أمير الآلاى « مصطفى بك عبد الرحيم » تتفرق خلف حصون المنطقة الثانيـة أى من قلعة قايتباى الى حصن الفنار مع الآلاى الرابع المشـاة بقيادة الأمير آلاى « عيد بك محمد » ، وعلى الآلاى الأخير أن يقيم بباب شرقى بصفة أحتياطى ٠



خريطة توضح مواقع الحصون المصرية والبوارج البريطانية يوم ١١ يوليه ١٨٨٢

الآلاى السادس المشــاه بقيادة أمير الآلاى « ســليمان بك سامى » تتفرق خلف الحصــون بالمنطقة الثــالثة (أى من حصن طابية صــالح الى حصن العجمى) ومعه الآلاى الثانى المشاه بقيادة أمير لآلاى (خليل بك كامــل) وعلى هــذا الآلاى الاخير أن يقيم بالقبارى بصفة احتياطى ٠

الأورطتين من ١ جى ســوارى (برنجى) تقومان بواجب الخدمة بصفة مراسلة بين مختلف الحصون والمراكز (كوســائل اتصال) ٠

الاميرال (سيمور) يصدر تعليمات القتال :

على الجانب الآخر ـ وجه الأميرال (بوشامب ســيمور) ـ بتاريخ ١٨٨٢/٧/١٠ ـ الى قادة وضباط البوارج البريطـانية التابعة لصاحبة الجلالة الملكة بالاسكندرية ، الأوامر التالية :
من البارجة (انفنسيبل) فى ١٨٨٢/٧/١٠ :

أنه فى حالة ما اذا لم أتلق جوابا مرضيا على الأنذار الذى أرسلته الى قائد الأســكندرية الحربى أطلب منه فيه أن يسلمنى مؤقتا (١) الحصــون على ساحل الميناء الجنوبى (حصون المنطقة الثــالثة من حصن صــالح الى حصن العجمى) وحصون (راس التين) ـ اذا لم أتلق جوابا مرضــيا يغير الأســطول بقيادتى على الحصــون عقب أنتها(الاربع وعشرين ســاعه وهى المهلة التى أمهلت بها المحايدين ليبا رحوا المدينة خلالها ـ وهذه المدة تنقضى فى الساعة الخامســة صباح يوم ١١ يولية ٠

---

(١) ألفت النظر هنا الى لفظ (مؤقتا) ـ وهذا يؤيد ان (سيمور) ما كان سيكتفى بذلك حتى لو وافقت الحكومة المصرية على اجابة طلبــاته الوقحة ، اذ كان سيتمادى فى طلبات اخرى حتى يرفض المصريون فى نهـاية الامر ، فيقوم بالهجوم على الاسكندرية واحتلالها حسب الخطة المبيتة مسبقا .

وسيكون الهجوم من ناحيتين :

١ - الناحية الاولى : داخل الميناء ، وتشترك فيه (انفسيبل) و (مونارك) و (بنلوب) .

٢ - الناحية الثانية : خارج حاجز الامواج : وتشترك فيه (سوبرب - تمرير - الكسندرا - انفلكسيبل) ويبدأ القتال عند صدور أشارة منى ، وفى هذه الحالة على السفينة الاكثر دنوا من ساتر التراب الذى اقيم اخيرا فى طابية (الاسبتالية) التى بجوار الحصن (الاطة) أن تصوب قذيفة الى هذا الساتر وعندما تجاوب الحصون الأسطول الخارجى باطلاق النار يجب على السفن بذل كل مجهودها وتدمير البطاريات القائمة على شبه جزيرة (رأس التين)

خصوصا حصن الفنار المطل على الميناء ، ومتى تم ذلك تتجه (سلطان - سوبر - والكسندرا) الى الشرق لتهاجم حصن (فاروس - قايتاى) وتهاجم حصن (السلسله) أذا كانت مهاجمته فى الأمكان .

وتتجه (أنفلسيبل) فى عصر هذا النهار نحو الموقع الذى يقرب البوغاز الصغير والذى عين لها أمس وتستعد لضرب مدافع خط (المكس) ومساعدة الأسطول الداخلى عندما تعطى الأشارة بالضرب وتاخذ (نمرير) و (سلطان) و (الكسندرا) فى ضرب حصون (رأس التين) من الجنب . أما السفن الصغيرة فتبقى فى الخارج بعيدة عن منطقة القتال الى أن تجد الفرصة المناسبة للهجوم على (المكس) .

- ويجب على السفن أن تراعى فى تنفيذ هذه المهام كلها دواعى الظروف مراعاة كبيرة بمراعاة الحالة التى يجب أن تقاتل وهى فيها ، فأما أن تقاتل وهى راسية فى مراسيها أو تقاتل وهى متحركة ، واذا كانت الحالة تدعو الى قتالها وهى ملقية مراسيها يجب حينئذ أن يزداد حبل من الفولاذ ، وعلى الجنود أن يتناولوا أفطارهم فى منتصف الساعة الخامسة صباحاً . وأن يرتد واملابس العمل الزرقاء ، وسيكون الأسطول الداخلى

تحت قيادتى الشخصية والأسطول الخارجى تحت قيادة الكابتن (هنت جرب) قائد البارجة (سلطان) .

وتقوم السفينتان (هلكن) و (كندور) بوظيفة سفن الأعادة وبالجملة ينحصر الغرض من الهجوم فى تخريب الحصون وتدمير البطاريات المنصوبة على واجهة بحر الأسكندرية .

ومن المحتمل أن هذا العمل لا يمكن أتمامه فى اقل من يومين أو ثلاثة ، فيجب استعمال المقذوفات مع الحرص ، وعلى كل حال من المرتقب قدوم الباخرة (همبر) الى هنا فى ٧/١٢ وعليها مقدار كبير من الذخيرة .

واذا وصلت البارجه (انشلز) فى الوقت المناسب ـ يجب عليها أن تهاجم حصن فاروس (فايتباى) والوقوف فى الموقف الذى يأمرها قائد الأسطول الخارجى أن تتخذة .

وتقف (سلطان) على بعد ١٧٥٠ ياردة تجاه منتصف المسافة بين حصنى (الفنار) و (رأس التين) بينما تقف (سوبرب) على بعد ١٩٥٠ ياردة تجاه حصن (الفنار) .

أما (بنلوب) و (مونارك) فتقفان على بعد يتراوح بين ١٠٠٠ ـ ٢٠٠٠ ياردة فى الشمال الغربى من المكس .

الامضاء

« أميرال وقومندان القيادة »

« بوشامب سيمور »

أدلة دامغة على سوءنية الاميرال (سيمور) :

وبنظرة مدققة وموضوعية ـ يمكننا أثبات سوءنية بريطانيا وأداتها (الأميرال سيمور) ـ وأن كنت اعتقد أنها ليست بحاجة الى أثبات ـ وذلك فيما يلى .

اولا : سيمور يرفض ابداء حسن النية من قبل الحكومة المصرية :

ففى محاولة لحقن الدماء ـ قامت الحكومة المصرية بواسطة رئيس نظارها (راغب باشا) بارسال برقية الى الأميرال

(سيمور) فى ١٠ / ٧ / ١٨٨٢ ـ تخبـــره فيها بأن الحكومة المصريه لا يمكنها قبول تسليم الطوابى للانجليز ـ ولكنها حقنا للدماء ـ يمكنها أن نقوم بانزل ٣ مدافع من البطاريات التى أشار اليها (سيمور) فى انذاره « للبرهنة » على ميولنا السليمه ورغبتنا فى تلبيه حسبكم على قدر الامكان على حد تعبيـــر (راغب باشا) الذى اضافه فى نفس البرقيه يقول : واذا ننتم نصـرون ـ رغم هذه التقدمه ـ على اطلاق النار فالحكومة المصرية تحفظ لنفسها الحق ونلقى مسئولية هذا العمل العدائى على عاتقكم ٠

ولكن سيمور رد على هذه الدعوة الى الســـلام ردا فاترا سلبيا جاء فيه :

« اتشرف باخباركم بوصول المؤرخ فى ١٠ / ٧ وانى آسف ان اخبركم أنه ليس فى استطاعتى أن اقبل ما عرضتموه فى هذا البلاغ » ٠

ثانيا : ترتيب وضع البوارج :

ومن تعليمات القتال التى اصدرها (سيمور) الى بوارجه يوم ١٠ / ٧ ـ يؤخذ من ترتيب هذه البوارج (عـدا البارجتين انفلكسـيبل وتمرير) ووضعها فى هـذه المواقف ان الاميرال (سيمور) اراد أن تكون المسافة التى يطلق منها هذا الأسطول قذائفه (وخصوصا الاسطول الداخلى) قصـيرة وقريبـة من الحصون ـ على الرغم من بعد مرمى مدافع سفنه الضـخمة ، وهذا يعنى أن المخاوف التى كان يرددها الاميرال (أو التى كان يتظاهر بأنه يخشى منها) كانت فى حقيقة الامر مخاوف مختلقة لا أساس لها من الصحة ـ فقط أراد بها تبرير عمله الاجرامى ٠

ثالثا : ان هذا الاميرال لم يكن يخشى ضررا كبيرا من المدفعية المصرية التى بالحصون ، ولذا اقترب منها هذا الاقتراب الكبير لمعرفته التامة بقصر مرمى المدافع المصرية وضعف تأثير مقذوفاتها٠

رابعا : علم الاميرال (سيمور) التام بأن هذه الحصون كلها (عدا قلعة قايتباى) كانت مدافعها فى العراء بلا وقاية تقى جنـودها

والدليل على ذلك أنه أمر باستعمال مدافع أسلحته الصغيرة (الرشاشات) المنصوبة فى الطبقات العليا من البوارج بغرض الفتك بأطقم الجنود الطوبجية - وهذا ما حدث فعلا بالنسبة لجميع الحصون عدا الطابية المذكورة ·

المعركة

الاميرال سيمور يعطى اشارة البدء بالضرب

فى الساعة السابعة من صباح يوم الثلاثاء ١١ يولية عام ١٨٨٢ اعطى الاميرال (سيمور) اشارة بدء القتال ، وبذلك دخل التاريخ بوصفه احد مجرمى الحرب غير مبال بحقوق الشعوب أو سيادة الدول واستقلالها ·

البارجة (الكسندرا) تطلق القذيفة الاولى :

وتنفيذا لتعليمات الاميرال السابق الاشارة اليها ، أطلقت (الكسندرا) - التى كانت اقرب البوارج الى حصن (الاسبتالية) القذيفة الاولى على ذلك الحصن واقتدت بها بقيه البوارج فاطلقت مدافعها ·

الطوابى المصرية تجيب على النيران بعد الطلقة الخامسة :

وقد بدأت البوارج الانجليزية فى ضرب الحصون حسب الخطة الموضوعة من قبل ، فضربت أولا حصون الفنار ورأس التين والاستبالية وكانت ثلاث منهن متحركة وهى (سلطان - سوبرب - الكسندرا) أما البارجه (أنفسيبل) فكانت ملقية مراسيها فى الممر الصغير لتعاون الاسطول الداخلى مصوبة مدفعين من مدافعها (زنة المدفع ٨٠ طنا) لضرب الحصون سالفة الذكر - ومدفعين فى برجها الخلفى لضرب حصون المكس ·

البارجة (تمرير) تشحط في الرمال :

أما البارجة (تمرير) فقد شحطت (غرزت) في الرمال اثناء المناورة — ولكنها واصلت الضرب وهي مكانها الى ان جاءت البارجة (كندور) لتعويمها ٠

وقد قاومت الحصون المصرية — رغم الحالة التى كانت عليها مقاومة فاقت كل ما كان يتوقعه الانجليز ، وأبدى جنود المدفعية المصريون مهارة في اطلاق القذائف أذهلت البريطانيين مما دفع بالبوارج الى القاء مراسيها لانها وجدت أن ضربها غير محكم وهي تتحرك وبذلك حققت المسافة المضبوطة التى تفصلها عن الحصون وأخذ ضربها يزداد أثره تبعا لذلك ٠

اسكات حصون رأس التين والفنار والاسبيتالية بعد ست ساعات ونصف ساعة :

وبانضمام البارجتين (انفلكسبيل) و (تمرير) الى هذه البوارج الثلاث أمكنها اسكات الحصون سالفة الذكر في منتصف الساعة الواحدة بعد الظهر بعد قتال جهنمى دام ست ساعات ونصفا — ولقد ظل أحد المدافع في حصن (الاسبتالية) يطلق قذائفه حتى الساعة الخامسة مساء رغم اصابة أفراد أطقمه ٠

القائد البريطاني (جودريتش) : جنود المدفعية المصرية أظهروا بسالة عجيبة :

يعلق القائد البريطانى (جودريتش) على المعركة — غير المتكافئة — فيقول :

ان جنود المدفعية المصريين جاوبوا على نيران الاسطول الانجليزى الجهنمية مجاوبة مدهشة لم تكن متوقعة تماما ، وأظهروا بسالة عجيبة رغم التفاوت الجسيم من حيث اعداد المدافع

واعيرتها ·· ولقد كانت البارجة (أنفلكيسيبل) عنـــدما تطلق مقذوفاتها الذى تزن القـــذيفة منهـــا ١٧٠٠٠ رطـــــل على حصن الفنار وتصطدم بساتره الضخم تثير الاتربة والشظايا الى ارتفاع الفنار نفسه ويتخيل المرء عنـــدما يرى ذلك أنه ليس فى استطاعة البشر أن يعيش تحت هذه النيران ، ولكن عندما ينقشع التراب والدخان بعد بضعة دقائق ـ يرى جنود المدفعية المصريين فى مواقعهم يطلقون النيران من مدافعهم على خصمهم الرهيب ·

البوارج البريطانية تتحول الى حصن (الأطة) :

فى منتصف الواحدة بعد الظهر،وبعد اسكات الحصون الثلاثة المذكور انجهت البوارج الثلاث نحو حصـــن (الاطه) بعـد ان انضمت اليها البارجة (انفلكسيبل) و (تمرير) للمشاركة فى القتال ، وهكذا ظلت البوارج الخمسة تصوب نيرانها دفعة واحدة الى الحصن المنكود الذى دافع عن نفسه دفاعا عجيبـا أمام أقوى قطع الاسطول البريطانى ·

الكابتن (وولتر جود سول) : لقد عجبت لهذه البطولة الرائعة :

ولقد سلك هذا الحصن مسلكا باهرا غاية فى البســـالة والاقدام جعلا شاهد العيان الكابتن البريطانى (وولتر جودسول) قائد الباخرة (تشتلرن) والذى شاهد المعركة يومئذ يقول :

لقد عجبت من هذه البطولة التى لا يمكننى ان ادرك كنهها والتى كانت تسيطر على هولاء الجنود المصريين الدين كانوا يطلقون مدافع (الاطة) ، كما عجبت اشد العجب من الموقف الدى وقفه قائد هذا الحصن قرب سارية علمه وهو بمفرده والمنظار فى يده ينظر من خلاله الأثر الذى تحـدثه المقـــدوفات التى كان يأمر باطلاقها ·

كان القائد المصرى حقا رجلا شجاعا :

لقد كان حقا رجلا شجاعا مزدريا عدد المقذوفات التى كانت تلقى على حصنه ـ ذلك الحصن الدى كان يجاوب هذه المقذوقات

باطلاق مقذوفاته كلما مرت عشر دقائق ، ثم رفعت البارجة (انفاكسيبل) مرساتها وشرعت تصوب قنابل مدافعها الضخمة الى هذا الحصن ، ويظهر انها دكت أساسه ودمرته تدميرا - وفى منتصف الساعة الثانية بعد الظهر سددت قذيفة الى مخزن ذخيرته ولابد أنها أصابته لأنه أنفجر في منتصف الساعة الثالثة ونصف تماما ولابد أيضا أنه قد قتل جنود كثيرون في هذا الحصن لأن عددا كبيرا منهم طار أما القائد المصرى الذى كان واقفا فيه وقفة الأسد فى عرينه ، فقد طار هو الآخر في الفضاء هو وصارى علمه !

البوارج تتحول الى حصن قايتباى :

وعقب ذلك أتجهت البوارج الخمسة الى قلعة (فاروس) قايتباى وظلت تصليها نيرانا حامية الى الساعة الخامسة مساء - وهى الساعة التى اعطى فيها الاميرال (سيمور) اشارة ايقاف الضرب .

القلعة المصرية تستمر فى القتال رغم تدميرها :

ولقد أصيبت هذه القلعة اصابات جسيمة ، ولكنها - رغم ذلك - ظلت تطلق النيران على البوارج البريطانية الى أن نفذت جميع الذخائر الموجودة بها .

الهجوم على حصون (أم قبيبة - ملكس - الدخيلة) :

أما بالنسبة لمنطقة المكس والدخيلة ،فقد عينت للتعامل معها البوارج الثلاث (أنفسيبل - بنلوب - مونارك) - تحت قيادة الاميرال سيمور مباشرة وقد تمكنت البوارج المذكورة من اصابة مخزن الذخيرة الذى يقع خلف حصن الدخيلة ، وذلك أثر قذيفة من قذائف البارجة (مونارك) فدمر عن آخره .

الأميرال يأمر بالاقتراب من الشاطىء وسحق رجال المدفعية :

وعقب ذلك مباشرة أشار الاميرال (سيمور) الى البـارجة (مونارك) للاقتراب من الشاطىء بقدر ما يسمح به عاطسـها لتقوم - بواسطه الرشاشات الموجوده بها - بقتـل من تبقى من الجنود فبدات في مباشرة هذه المهمة الجهنميه على الفور .

القائد البريطاني : لقد اجدت العمل أيها الجندى المصرى :

ولقد كان من ضمن القادة البريطانيين خـلال هذا اليوم الطويل الماجور (تلك Tullok) احد رجال قلم المخابرات - على ظهر البارجة (أنفسيبيل) أمام حصن المكس - يقول هذا القائـد (١) :

لقد كان حقا من العجب أن ارى هولاء الجنود - رغم شـدة الضرب - واقفين في أماكنهم ملازمين لمدافعهم ، وقد رايت اكثر من مرة قذيفة من قذائفنا تدخل في احدى فتحات مدافعهم فاقول في نفسي لقد قضى على هذا المدفع وامسى في حيز العـدم ، ولكنني لا البث بعد ذلك حتى أقول كلا ثم كلا .. فقد كان الضرب من هذا المدفع يستمر في الوقت المناسب ، وقد أتى مرة من المرات بسرعة فائقة جدا ، حتى لم أتمالك نفسي ووثبت الى حافة البـارجه . ورفعت يدى صائحا : لقد أجدت العمل أيها الجندى المصرى ...

تدمير حصن المرابط :

ولقـد رأت البارجة (كندور) انحصن المرابط يطلق مدافعه على البوارج البريطانية باحكام فاقتربت منه وبدأت تواجمه لتدميره، وحينئذ أمر الاميرال (سيمور) السفن الأربع الصغيرة (سفن المدفعية) بمعاونة (كندور) في الهجوم ففعلت وتم تدمير الحصن تماما .

---

(١) فى كتابه « ذكريات اربعين عاما في الخدمة » : ص ٢٧٧.

حصنى (القمرية والمكس) يتاهبان مرة أخرى :

وفى منتصف الساعة الرابعة اخبرت البارجة بنلوب الاميرال سيمور بما أبلغته البارجة (موناركى) بعودة جنود حصن (المكس) تاهبا للضرب فامر بتدميرهما تماما ـ وهكذا بدأت البارجتان الضرب على الحصنين المذكورين حتى الساعة السادسة والنصف مساء حيث توقف الضرب •

القائد العام لا يستطيع اخفاء اعجابه من شجاعة (هؤلاء المصريين) :

ويصف الماجور (تلك Tullok) فى كتابه المشار اليه (ذكريات اربعين عاما فى الخدمة) انطباعة عقب المعركة فيقول ـ ص ٢٨٦ :

« وبعد أن نزلت الى البربوقت يسير طفت حول البطاريات القريبة من رأس التين ، فوجدت مشاهد البعض منها يتفطر منه الفؤاد ـ كما سمعت فيما بعد من مصدر وثيق أن الخسائر فى الارواح بالنسبة لجنود المدفعية والمشاة الذين كانوا بالحصون تزيد عن ٨٠٠ قتيل وقد وسقت القتلى بالعربات فى أثناء القتال ولكن لما كان عدد القتلى فى نهاية المعركة كبيرا جدا ، فقد فتحت لهم حفرة واسعة فى رأس التين وألقيت أجسادهم فيها ثم ووريت التراب ، ومع هذه المواراة يستطيع الأنسان فى عدة مواضع من هذه المقبرة أن يرى الطبقة العليا من الاجساد ظاهرة على وجه الأرض •• وقد سقط ساتر الحصن على بعض الجنود فازهق أرواحهم وبقيت أجسادهم تحت الانقاض دون ان يستطيع أحد اخراجها ، ووجدت جثة ضابط مصرى وجثث ستة من الجنود البواسل تحت مدفع انقلب بقذيفة بريطانية •• وفى رايى أنه لايستطيع الا القليل من الناس أن يؤدوا واجبهم بمثل ما اداه ولئك الجنود الذين كانوا فى الحصون فى

ذلك اليـــــوم ، وليســـ فى مقـــــدور الانســـان أن يخفى دهشـــته واعجـابه من أن هولاء الجنود فى الحـالة التى كانوا فيهـا تحت النيران الكثيفة المنصـــبة عليهم من جانب ارادوا أن يرفعوا المدافع من سقطته التى سقطها .. وفى حالة أخرى وهم في معمعة القتال ــ حاولوا أن يرفعوا مدفعا آخر الى مكانه وهم تحت وابل من النيران .

وفى (المكس) كان يوجد ســاتر سميك من الرمال تتوارى خلفه جنود المدفعية ، ولكن على طول امتداد البطاريات الشرقية لم يكن يوجد الآســتائر عتيقة من الأحجار فى قليل من المواضـع ، وأن الأنقـاض التى انهارت منها لابد أن تكون قد احدثت خسائر جسيمة فى الارواح .

وكيل الجمارك البريطاني : لقد ثبت المصريون ثبات الابطال :

كما يقول البارون (دكيوزل De KusEL) ــ وكيل الجمارك المصرية والذى كان على السفينة (تنجور) تجاه الاسكندرية (١) :

لقد ثبت جنود المدفعيـــة المصرية فى مواقعهم أمـــام نيران البوارج البريطـانية الهـــائلة الفتــاكة ثباتا دل على بسالتهم وبطولتهم ، وظلوا يطلقون قنابلهم باستمرار فتصـــيب أهدافهم ، وليس هناك أدنى شك فى بطولة الجنـــود المصريين فقـد قاتلوا مستبسلين .. ولم ينته الضرب الا فى منتصف الساعة الثانية من صباح يوم ١٢ يوليو لأن المصريين اذا كان لديهم مدفـــع فى أى موضع لم يكن قد سقط أســـتعملوه الى أن يكره هذا المدفع على السكوت اكراها .

---

(١) فى كتابه (ذكريات رجل انجليزى عن مصر ــ ص ٢٠٠)

وكيل قنصل اليونان : هؤلاء الشــجعان يمثلون الابطــال الذين يدفعون غارات الجبابرة .

ويقول مسيو (سكوتيدس skofidis) (١) ـ وكيل قنصل اليونان في الأسكندرية :

وعند الطلقة الخامسة جاوبت بطاريات البر بنشــاط واحكام ادهشا الانجليز ، وتقدمت البوارج البريطانيه الضــخمة ببطء واتخذت لها مواقعا أمام الحصــون وصوبت اليهــا نيران مدافعــها في مركز واحد وقد كانت قذائفها الهائلة تدعو الى الظن بانها ستدمر تدميرا ، ولقد كانت هــذه القذائف تحطم المدافــع الضخمة وتقلب قوعدها وتنسف مستودعات الذخيرة وتحفر حفرا يقع فيها المصريون التعساء وعندئذ تقترب شيئا فشيئا لتضعف قوة هولاء المصريين بغمر حصــــونهم بطوفان من قذائف مدافع (السربند) المقامة على ساريات السفن ، وكانت قذائف المدفعية المصرية تسقط في البحر وهي في منتصف المسافة (٢) فتثيرعجاج الماء ، والبعض الآخر يصطدم بمدرعات الانجليز الضــخمة فترتد عنها كأنها جسم من المطاط وتغوص في البحر .

ومع ذلك فلاينبغي الا الأعجاب بما أبــداه جنــود المدفعية المصرية من بطولة وبســالة وثبات في مواقعهم ، ولقد كنت اشعر برثاء لأولئك الضحايا الذين راحوا طعمة للنــار حيث كان معظم الحصــون بلا ساتر فقلبت القنــابل مدافعها ممــا كان له أكبر الأثر في حدوث الخســائر فأحاطها بمئات من جثث القتلى ، ومن خلال الدخان الكثيف الذى كان يبعــده الهواء في بعض الاوقات كنت أرى هولاء الجنود الشجعان الذين كانوا يســـتطيعون أن يخدموا وطنهم في ظروف أخــرى ـ والذين كانوا يمثلون ـ بحق ـ الابطال الذين يدفعون غارات الجبابرة .

---

(١) في كتابه (مصر المعاصرة وعرابي باشا) ـ ص ١٦٨ ـ ١٦٩ .

(٢) نظرا لقدم اطرزتها وصغرا عيرتها وبالتالى قصر مراميها .

شـــاهد عيان يصف المعركة :

ويصف « ســـليم خليل النقاش » (١) المعركة ومقدماتها ، فيقول ·

كان الجهـاديه (الجيش) قـد جعلوا على أســطح المنازل العالية ديادبه (مراقبين) من ضباطهم يرقبون حركات الاسـطول الأنجليزى ، وعند الساعة السابعة من من الصباح أطلقت السفينه « أنفليكسيبل » المدفع الأول ، ثم تلتها السفن الاخرى فأجابتهـا القلاع والحصون المصرية فاشتبك القتـــال وحمى الوطيس فكان يوما عظيما ضارعت فيه لعلعة المدافع قصف الرعود وحكى لمعـان السلاح وميض البروق وكانت السفن البريطانية تمخر عباب البحر كأنها براكين تقذف من فوهاتها نارا تصب على الناس موتا أحمر ·· ودامت هــذه الحال الى أن كانت الســاعة الحادية عشرة حيث عجزت بعض الحصــــون عن المقاومة ، فأن الســـفن كانت تطلق قنبلة المدفع فتصيب بها مدافع القلاع فتعطلها وأســتمر الأمر على هــذا المنوال فى مدة القتال الى أن أبطلت الســفن عمل مدافـع الحصون فتغلبت عليها ــ وكان على كل ســفينة شبكة من الفولاذ مدلاة من أعلاها الى أســفلها تحمى جوانبهـا وتميت تأثير المدافع المصرية فان القنبلة كانت قبل أن تصل الســـفينة تصـيب تلك الشبكة المدلاة فتضعف قوتها ولا تؤثر فى الدارعة (البارجة) ·

وكانت المدافع أثناء دورانها تحشى بالقنابل حشوا لا يبقى ولا يذر ، فاذا أطلقت تصاعد من السفينة دخـــان كثيف يحجبها عن أعين الراصدين ·· وكثيرا ما أنطلق من الحصون قنـابل لم تصل الى السفن لبعد المســافة ·

وعلى الرغم من شدة نيران المدفعية المصرية فأن مقذوفاتهـا كانت تسقط فى المـاء قبل أن تقطع ثلث المسافة ، وكان الدخان يخيم على الحصــون بحيث أصـــبح الأنجليز لا يعرفون كيف

---

(١) فى كتابه (مصر للمصريين) ــ الجزء الخامس ــ طبعة عام ١٨٨٣ م

يقذفون كراتهم والى اية جهة يطلقونها ، وهو ما أوقعهم حينـا فى الأرنباك ٠

اما مدافع الأسطول فكانت تطلق قنابل كثيرا ما تجاوزت القلاع بمراحل لقوتها وشدة اندفاعها ٠ وفى اثناء اطلاق المدافع على الاسـكندرية ، اى فى نحو الساعة الثامنة ـ ركب « عرابى » عربته والى جواره « طلبة باشا عصمت » وتجولا في شوارع المدينة يتفقدان احيانها ويرسـلان بعض الضباط والجنود الى منـازل الأجانب مستطلعين خشـية أن يكون فيهم من يخـابر السـفن الانجليزية بالتلغراف أو التليفون أوبأشـارات متعارفة بينهم ، كان بعض العساكر يصعدون الى السطوح ويقطعون الأسـلاك التليفونية والتلغرافية خصـوصا وأنهم كانـوا قد علموا أن الأميرال « سيمور » وصل الأسلاك التلغرافية البحرية بأحدى سفنه قبل انتشاب الحرب بنحو ٢٠ يوما ورسا بالسفينة التى وصل بها الأسلاك خارج البوغاز وجعلها مثل محطة التلغراف يخابر منها قبرص ولوندرة (لندن) مخابرة تلغرافية بالأسلاك الممدودة تحت الميـاه وأنه وصل أيضا أسلاك التلفون بتلك السفينة بحيث صار فى الأمكان أن يخابر الأسـكندرية مخابراته شفهية ، وأن له ـ عدا ذلك ـ جواسيس من الاجانب فى البر أقاموا فى المدينة أثناء القتال ليبلغوه الأخبار باشـارات أصطلح عليها الفريقان ٠

القتال في غاية الشدة : -

لازلنـا نتابـع ماكتبه « سـليم خليل النقاش » فى كتابه (مصر للمصريين) عن شهوده للمعركة التى نشبت بالأسكندرية صباح يوم ١١ يوليه ١٨٨٢ ٠

وأستمر أطلاق المدافع الى السـاعة العاشرة صباحا بغاية ما يكون من الشدة والتعجيل حتى تعطلت القلاع والحصون ـ عـدا قلعتى العجمى والأطة ـ فانهما ثبتتا ثم انخفضت حدة النيران وقل أطلاق المدافع بعد أن تحطمت القلاع والحصون وقتل عدد كبير من طوبجيتها ٠

أما حصن « المكس » ، فقد أصلته البارجة (تمرير) نارا حامية لوجود أربعة مدافع فيه من عيار كبير والذى رد بدوره بضرب البارجة القائدة (أنفنسيبل) وأحكم أيصال مقذوفاته اليها مرات متعددة ، ولكن فى الساعة العاشرة والنصف أطلقت البارجة (مونارك) قنبلة دمرت مخزن الحصن المذكور فكان لصوته دويا هائلا .

عرابى يعلن الحرب على بريطانيا :

واخبر بعض الثقاة أن « عرابى » وجماعته كانوا أثناء أطلاق المدافع – أى قبل الظهر بساعتين – مجتمعين فى قلعة « كافاريللى » بمحرم بك ، وهناك نظموا منشورا قرروا ارسالة بالتلغراف الى جميع المديرين فى داخلية البلاد – ومآل هذا المنشور أن الحرب انتشبت بين انكلترة ومصر ، وأن على الحكام جميعا أن يمتثلوا لأوامر ناظر الجهادية والبحرية وأن يلبوه فيما يطلبه من أرسال الجنود والنقود والميرة (الأطعمة) وغير ذلك مما يرى لزوما لأستخدامة .

الخديو ينتقل من قصره رافعا العلم الأبيض :

وفى الساعة الرابعة والدقيقة ٥٠ يوم الخميس ١٣ يوليه ، مر الخديو – فى غربة مكشوفة – والى جانبه « درويش باشا » ووراء عربتهما عربة فى مقدمتها ثلاثة من الغلمان ، وعربة نقل عليها بعض الأمتعة الخاصة بالخديو – وكان موكب الخديو مؤلفا هذه المرة من (٦٠ – ٧٠) فارسا تتقدمها طائفة من الحرس بسيوف تعلو رؤوسها أعلام بيضاء أشارة الى المسالمة .

الى هنا ينتهى ما كتبه « سليم خليل النقاش » عن معركة ١١ يوليه ١٨٨٢ .

القس « لويس » يصف شجاعة المصريين :

أما القس « لويس صابونجى » – فيكتب الى صديقه (ولفرد بلنت) رسالة بعد القتال يصف فيها واقعة ضرب الاسكندرية ،

وقد كان خلال القتال مستقلا سفينـة فى موقع يمكنه من رؤيـة المعركة ،

يقول القس :

« فى صباح الثلاثاء وفى الساعة السابعة صباحا انبعثت أول طلقه على الحصون • وقد كنت على ظهر السفينة «سعيد» على مقربة من الاسطول البريطاني • لقد غادر « درويش باشا » الأسكندريـة بمجرد ان بدأ الضرب وأبحر الى حيث لا يدرى أحد مكانه ، ومن بين ١١٧٠ شخصا كانوا معي هذا الصباح وشهـدوا الضرب ، كنت أنا وحدى الذى رجوت الله حظا سعيدا لعرابى وأنصـاره ، وعنـدما انبعث أول طلقة تموجت فى الهواء القبعـات والمنـاديل والأيـدى مشفوعة بالهتافات وعلامات الرضاء ! •

وكان الرجال والنساء وفيهم القساوسة على أختلاف درجاتهم فرحين يتنبأون بسقوط الحصون خلال ساعتين •• ولكن شعورهم بالخيبة ما لبث أن ظهر ••فالساعة الآن الواحـدة والنصف بعـد الظهر ولم تتوقف النيران من الجانبين ••والدفاع المصرى لا يزال حتى الآن فائقا ولا يمكن لأحد أن يتنبأ بما عسى أن تكون النتيجة •

أكتب اليك من فوق ظهر السفينة وأنا أشاهد الضرب وأثبت ما أستطيع أن أراه ••ولكن ماذا عسى المرء أن يرى خلال سـحب كثيفة الدخان سوى الرعد والبرق من المدافع ؟ ولم يكن أصدقاؤنا وكذلك لم يكن حتى القناصل واثقين من عزم انجلترا على الحرب ، وكذلك لم أكن أنا واثقا من ذلك •

جون نينه : ادهش المصريون خصومهم ! ! :

أما « جون نينه » ــ عميد الجالية السويسرية بمصر ــ فيصف ما شاهده بعينى رأسه يوم القتال فى كتابه « عرابى باشا » فيقول:

« ••وكان رجال المدفعية المصرية يطلقون قذائفهم بأحكـام وحماسة أدهشا خصومهم الذين استمر عملهم الجهنمى متصلا عشر

ساعات ونصف الساعة دون أن يستطيعون المباهاة بنصر حاسم ..
وكانت تغطى المدينة أثناء الضرب طبقات من الغبار والدخان ، كما كان قصف المدافع يصم الآذان ، وكنا حين تتبدد الرياح والسحب من الدخان نشاهد قذائف المدافع المصرية تسقط فى البحر فى منتصف المسافة بينها وبين سفن الأسطول البريطانى .. لقد أدى رماة المدافع المصريين عملهم على خير ما يرام على الرغم من أن مدافعهم كانت أقل من مثيلاتها البريطانية فقد أصابوا سبع بوارج بريطانية إصابات بعضها خطير .

وكانت القذائف البريطانية تزيد عن المتر طولا ، وسقطت أولاها فى قلعة (رأس التين) دون أن تنفجر فنظر اليها المصريون وقال أحد الضباط مشيرا اليها : « هلم أيها الأخوان لنشهدوا مثلا من انسانية انجلترا » .. وقد قال عبارته بلهجة تنم عن الذكاء والسخرية ، فضحك أخوانه جميعا وظلوا يواجهون ما يلقى عليهم باسمين .. !

مجزرة وحشية متعطشة للدماء :

ولا يسعنا ألا أن نعترف بأنها كانت مجزرة وحشية لا موجب لها ولا مسوغ ، ولم يكن الباعث عليها ألا الشهوة الوحشية المتعطشة للدماء .

وكنت أتوق الى أن أسأل أولئك الذين يطلقون نيرانهم على الحصون المصرية : «هل يستطيع الأنجليز حينما يعودون الى بلادهم ويجتمعون حول موائد الشاى فى بيوتهم أن يتحدثوا الى ذويهم عما فعلته تلك المجازر البشرية بالفتك والتخريب ؟ ! .

أنى لفى شك من هذا .. فأية أهانة لحقت الامة البريطانية حتى تثأر من مصر على هذه الصورة البشعة ؟ !

ومع هذا فما كان أروع منظر أولئك الرماة المصريين الذين كانوا خلف مدافعهم المكشوفة كانما هم فى استعراض حربى لا يخافون الموت الذى يحيط بهم .. وكانت معظم الحصون بلا سواتر ولا

متاريس ، ومع هذا كنا نلمح هؤلاء البواسل من أبناء وادى النيل خلال الدخان الكثيف كأنهم أرواح الابطال الذين سقطوا فى ساحة الوغى ، وقد بعثوا ليناضلوا العدو وليواجهون نيران مدافعه وكان القادة يمرون على الحصون يستحثون الرجال وهكذا أدى الجميع واجبهم — رجالا ونساء — كبارا وصغارا ٠

لا أوسمة أو نياشين :

يقول « نينيه » فى رسالته :

ولم تكن ثمة أوسمة أو نياشين تستحث أولئك الفلاحين على أداء واجبهم ٠ وأنما كانت تثير الحماس فى نفوسهم عاطفة الوطنية والثورة على ما تعرضوا له من فظائع وهم فى مواقعهم يمثلون الناس المجهولون الذين لم يفكر أحد فيما تحملوا من آلام ٠

وقد بدأ نقل الجثث القتلى — منذ العاشرة صباحا — وظلت عربات النقل حتى هبط الليل تحمل الجثث من الحصون وتخترق المدينة الى شارع محطة الرمل حيث المستشفى العسكرى ، وهناك كانت تدفن بعد المعاينة دون أحتفال فى المقابر المجاورة للمستشفى ٠

أما الجرحى ، فقد كانوا ينقلون الى المستشفيات فى عربات النقل ، وكان مما يؤلم النفس حقا منظر تلك العربات التى تقل الواحدة منها عشرين أو ثلاثين قتيلا من الجند أو الأهالى ٠ وقد شدت بالحبال على ألواح من الخشب فوق العربات والدماء تقطر من أجسادهم ٠

الأمهات يلعن من تسبب فى المجزرة :

ويختتم « جون نينيه » رسالته الى المستر « بلنت » قائلا :

وكانت بعض الأمهات يحتضن أبناءهن وهم يلفظون أنفاسهم، بينما كانت بعض النسوة يجرين خلف العربات نادبات صائحات يلعن من كانوا سبب هذه المجزرة البشرية ٠

وخيم السكون الرهيب على هذه الشـــوارع التى كانت من قبل عامرة بالناس زاخرة بالحياة ، حتى غدت كانما هى سـوارع مدينة أودى بأهلها الوباء ٠

أنتهت رسالة « جون نينيه » الى صديقة ولفرد بلنت يصف له فيها ماشاهده يوم ١١ يوليه ١٨٨٢ ٠

التقرير الرســـمى للاميرال (سـيمور)

قاتل المصريون قتال الابطال باقدام ثابتة :

وبعد انتهاء الضرب ، قام الاميرال (سـيمور) بارســـال ثلاثة تقارير عن ضرب حصون الأســكندرية وفيما يلى نص التقرير الأول منها ــ وهو أهمها ــ حيث اشـتملت المعلومات الواردة فى التقريرين الثانى والثالث على وصف تفصـــيلى لأعمال رجال الأسطول البريطانى وطلب الترقيات ٠٠٠ الخ ٠

نص التقرير الاول

من ظهر البارجة (انفنسيبل) فى ١٨٨٢/٧/١٤ :

الى سكرتيرية الأميرالية ٠

« ســـيدى » :

لى الشرف أن التمس أن تتفضلوا وتخبروا اللوردات مندوبى الأميراليه اننى لم أتمكن فى هذا الوقت مع الاسف من ارســال تقرير مفصـــل عن الهجوم على حصون الأسكندرية بسبب انشغالى بهذه المهمة الشـــاقة ٠

أنه بسبب اخفاقى فى طلب بترضية عن المســائل التى كنت كلفت بطلبها من حكومة مصر ، هاجمت فى ١١ الجارى البطاريات المنصوبة على واجهة الأسكندرية الشمالية والاستحكامات المقامة فى الشمال الغربى ، ونجحت فى اسكات الحصـــون فى منتصـــف الساعة السادسة مســاء ، وهو الوقت الذى أعطيت فيه الاشـــارة بالكف عن الضرب ٠

وفى صباح يوم ١٢ أمرت (تمرير) و (أنفلكسيبل) بان تهاجما حصن (فاروس) — وبعد اطلاق مدفعين أو ثلاثة رفع علم الهدنة على حصن (راس التين) فارسرت عندئذ ضابط اركان حرب الاوبورابل (هدروث لامبتن) وكلفته باستجلاء السبب ، ويؤخذ من تقريره أن كل مافى الامر خديعة تافهة عملت لاكتساب الوقت بلا مراء ٠

وبما أن المفاوضات قد فشلت لان طلبى هو تسليم البطاريات الحاكمة على ممر البوغاز — اطلق مدفع على سطح بطاريات ثكنات (المكس) — وعندئذ رفع علم الهدنة مرة أخرى ٠ فارسلت ضابط اركان حرب المذكور ومعه القومندان (موريس) الى الميناء على ظهر السفينة (هليكن) ولما ذهب الى يخت الخديو (المحروسة) وجدان طقم هذا اليخت قد رحل — وعند ايابه بعد دخول الليل أعلن أنه يعتقد أن المدينة قد أخليت من السكان ٠

وأمس صباحا توغلت فى الميناء على ظهر البارجة (انفنسيبل) ومعى المدرعتان (بنلوب) و (موناركـ) وأنزلت الى البرفرقة لتضع يدها على (رأس التين) ، الا اننى متأسفا لاضطرارى أن اخبركم أن مدينة الأسكندرية قد أصيبت بأضرار بالغة من الحريق والنهب ، وفى الساعة الرابعة و ٤٥ دقيقه بعد الظهر وصل سمو الخديو الى سراى (رأس التين) وخصصت لحمايته ولاحتلال شبه الجزيرة سبعمائة بحار ويجب على أن اعرب عن إعجابى الزائد بالسلوك الذى سلكه الضباط ورجال الأسطول عند تادية مهامهم وأن أثنى عليهم الثناء الجم وأخص منهم بالذكر الكابتن (وولتر هنت جرب) ربان السفينة المدرعة (سلطان) وهو أقدم الضباط ، ولقد قاتل المصريون قتال الابطال باقدام ثابتة ، وكانوا يجاوبون النيران الشديدة التى تصبها على حصونهم مدافعنا الضخمة الى أن قتل عدد كبير منهم ، وسارسل عما قريب — على قدر الامكان — تقريرا مفصلا وأرفقه بصور المراسلات ، وتجدون رفق هذا بيانا بعدد القتلى والجرحى ٠

ولى الشرف أن اكون خادمكم المخلص ٠

بوشامب سيمور
اميرال ورئيس القواد

قائمة القتلى والجرحى فى هذا القتال :

القتلى (٥) : ١ من (أنفنسيبل) ـ ١ من (الكسندار) ـ ١ من (سوبرب) ٢ ـ من (سلطان) • الجرحى (٢٨) : ٢ من (أنفنسيبل) ـ ٣ من (الكسندرا) ـ ١ من (سوبرب) ـ ٨ من (سلطان) ـ ٦ من (أنفسيبل) ـ من (بنلوب) •

بوشامب سيمور

مقتطفات من التقرير الثالث :

ولا يسع (سيمور) فى أجزاء من تقديره الثالث الذى كتبه وأرسله بتاريخ ١٨٨٢/٧/٢٠ الى حكومته الا أن يعتـــــرف بعنف المقاومه المصرية وبطولة رجال المدفعية المصريين حين يقول •

وقد كانت حركات بطاريات حصن (الاسبتالية) من البداية الى النهاية تدار بطريقة موفقه جدا ، مع أن هذا الحصن سحت وقتـا ما على اثر ضربة بقذيفة من المدرعة (انفلكســـيبل) فان جنوده لم يتخلوا عن مدافعهم •• وكانت بطاريات (رأس التين) تســـتخدم المدافع الفرنسية من عيار وطراز قديمين بالاضـــافة الى أن تلك المدافع الفرنسية كانت من عيار ٣٦ ـ وهذه المدافع مشتراة من عهد محمد على ، وكان التصويب من جانب المصريين يدعو للاعجاب ويمكن أن يقال ذلك أيضا عن مدافع خطوط (المكس) لولا أنهـا استخدمت أكثر المدافع من عيار ٣٦ ومدفعا أو اثنين من عيار ١٥ بوصة (مششخنة) فضلا عن المدافع عيار ١٠ بوصة و ٩ بوصة من مدافع الششخنة ذات المرمى البعيد عيار ١٠ بوصة ، وكان كل منهما يرمى قذائفة تلو الاخر فى اتجاه الاسطول الراسى قريبـا من الشاطىء بكيفية تدعو للاعجاب ••

قائد المدرعة (سلطان) : ان رجال المدفعية المصرية لا يستهان بهم :

كما يعترف القومندان (هنت جرب) قائد المدرعة (سلطان) فى تقريره الرسمى للاميرال (ســـيمور) ••• ولما وجدت أن

الحصون أقوى مما كان يظن قبلا وأن جنـود المدفعيـة المصرية لا يسـتهان بهم وأنهم فى الواقـع يحكمون الضرب ، رأيت من الصواب أن ألقى المراسى لكى أحصل على المسافة اللازمة بالدقة .

شجاعة الاهالى ومساعدتهم لقواتهم المسلحة :

وانه لما يذكر بالفخر ما اظهره سكان المدينة من البسـالة والحمية وخاصة النساء والاطفال ، ويشير (عرابى) الى ذلك فى مذكراته (١) ـ بقوله :

فى أثناء القتال تطوع كثير من الرجال والنسـاء فى خدمة المجاهدين ومساعدتهم فى تقديم الذخائر الحربية واعطـائهم الماء وحمل الجرحى وتضميد جروحهم ونقلهم الى المستشفيات ...

أما الامام الشيخ محمد عبده فيقول :

« ... وتحت مطـر القنابل ونيران المدافع كان الرجال والنساء من أهالى الاسكندرية هم الذين ينقلون الذخائر ويقدمونها الى بعض بقايا الطوبجيـة الذين كانوا يضربونها وكانوا يغنون بلعن الاميرال ومن أرسله (٢) .

محمود باشا فهمى : بعض الاهالى كان يعمر المدافع ويضربها :

ويقول محمود باشا فهمى (٣)

« ... ورأيت فى ذلك الوقت بعينى ما حصـل من غيرة الاهالى بجهة (رأس التين) و (أم قبيبة) وطوابى (باب العرب)

---

(١) مذكرات عرابى (كشف الستار عن سر الاسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية فى عامى ١٨٨١ و ١٨٨٢) ـ بقلم زعيم الثورة العرابية (احمد عرابى) ـ الجزء الثانى .

(٢) تاريخ الاستاذ الامام ـ ص ٢٥٠ .

(٣) البحر الزاخر فى تاريخ الاوائل والاواخر ـ ص ٢٢٠

وهمتهم فى مساعدة عساكر الطوبجية من جلبهم المهمات والذخائر والخراطيش والبارود والمقذوفات هم ونساؤهم وأولادهم وبناتهم ؛ والبعض من الاهالى كان يعمر المدافع ويضربها على الاسطول » .

القائد (جودريتش) : اجاب المصريون اجابة مدهشة تستحق الاعجاب :

يقـول القائد الامريكى (جودريتش) من رجـال البحرية الامريكيـه والذى كان على متن السـفينة الحـربيه الامريكية (لانكاستر) ورای کل ما حـدث بعینی رأسـه فی تقریره الى حكومته ـ ص ٣٦ :

« ... وجاوب المصريون ـ رغم التفاوت الذى كان بينهما من ناحية العدد ومن ناحيه عيار المدافع على النيران المتدفقه من أفواه المدافع البريطانية اجابة مدهشة لم تكن متنوعه يتاتا وبشـجاعة تستحق الاعجاب وعندما كانت المدرعة (انفلكسيبل) ترسـل مقذوفات زنة كل منهما ۱۷۰۰ رطل على حصـن الفنـار وتصيب ساتره فتثير الانقاض والانقاض والاتربة الى ارتفاع الفنار نفسه ، ويتخيل المرء عندما يرى ذلك أنه ليس فى الامكان أن يعيش أى انسـان تحت نيران كهذه النيران ، لا يلبث بعد بضـع دقائق وحالما ينقشـع الغبار ـ أن يرى جنود المدفعية المصرية ملازمين مواقعهم يطلقون قذائفهم على خصمهم الرهيب .

التلف الذى حل بالحصون المصرية (١)

١ ـ حصن السلسلة :

قذف هذا الحصن البارجة (تمرير) ببضع قـذائف محكمة التصويب ، بينما كانت تهاجم قلعة (قايتباى) ولم تجاوبه البارجة المذكورة فبقى الحصن سليما بعد انتهاء القتال •

٢ ـ قلعة قايتباى :

أصيبت واجهتها الشمالية الغربية باصابات شـديدة من مقذوفات الاسطول ، وهدمت حوائطها فى عدة مواضع ، كمـا دخلت بعض قذائف الاسطول من فتحاتها المعدة لاطلاق المدافـع ، وانفجرت داخلها فقلبت أربعة من مدافعهـا ، كما أتلفت ثلاثة مدافع اخرى ومدفع عيار ١٠ بوصة من مدافع بطارية الطبقة العليا بسبب انهيار انقاض القصر العتيق الذى كان هذا المدفع مسـتندا اليه ، كما قلبت قذيفة اخرى من قذائف الاسطول مدفعا اخر عيار ٢٥ سم من الطراز القديم •

أما الواجهة الغربية فقد دمـرت تماما وفتحت فيها ثغرة واسعة كشفت المدافع وجعلتها فى العراء مما تسبب فى تدميـر مدفعين تدميرا تاما •

ولم تشترك مدافع الواجهتين الشرقية والجنوبية فى القتال وبالرغم من ذلك فقد سقط مدفعان من مدافع الواجهة الجنوبيـة بضربة جانبية •

---

(١) رغم قيـام (جلاسـتون) البريطـانية ـ بتدبير معركة ضرب الاسكندرية لاتخاذها ذريعـة لاحتلال مصر كلهـا بعدئذ ، فقد قام المسـتر (جون برايت) ـ احد اعضاء الوزارة البريطانية بالاحتجاج على هذا الاعتداء ، فاستقال احتجاجا عليه بعد ان وصف الضرب بانه (انتهـاك صارخ لقانون الاخلاق) •

٣ ـ حصن (الاطـــه) :

لم تشترك واجهته الشـــمالية الشرقية فى القتــال وبذلك لم تصب بضرر ، وقد اصيب أحد المتاريس المشرفة على واجهــته الشمالية ـ الغربية بنحو ٢٠ قذيفة منها ١٢ دخلت دخولا عميقـا ولكنها لم تنفجر ، بينما انفجرت الباقيات فأحدثت تلفا هائلا ، وأصيب مدفع (أرمسترونج) عيار ١٠ بوصة بقذيفة فانقلب ، كما أصيب مدفع آخر من عيار ٢٥ سم ، بينما اقتلعت قنبلة مدفعـا من بطاريته الوسطى ودمر مدفع آخر انهارت فوقة الانقاض ، كما اصيبت الواجهة الجنوبيه من الحصن بقذيفة مرت فوقه ففتحت ثغرة واسعه ـ أما مخزن ذخرته فقد أصـيب اصابة مباشرة الامر الذى ادى الى انفجاره مما نتج عنه اخلاء هذا الحصن .

٤ ـ حصـــن الاسبتالية :

وقد اصيب اصــابات كثيرة ، فتهدم خاصــة من وجهتــه الشـــمالية ـ وبالرغم من ذلك ظل يطلق قذائفه وقد شـوهد بعد المعركة على أحد مدافع هــذا الحصن أكثر من ٤٩ اثرا من اثار الشرابنل (١) وكانت معظم هــذه الآثــار يزيد عمقهــا على ٢٥ سنتيمترا .

٥ ـ حصن راس التين :

وقد اصـــيبت بطاريته الوســـطى بقذائف كثيرة كان من ضمنها ٧ قذائف دخلت من فتحــاته ، وأصـــيب مدفع من طراز (أرمسترونج) عيــار ١٠ بوصــة بقذيفة حطمت محور عجلته ، كما أصــيب مدفــع آخر من نفس الطراز عيــار ٩ بوصــة ، وقد أصيبت بطاريات برجه بست قذائف دخلت من فتحــاته وأصابت

---

(١) الشرابنل : طراز من دانات المدفعية فى الجو قبل اصـــطدامه بالهدف فيصيب لافراد بالشظايا ..

احداها مدفعا من طراز (أرمسترونج) ورغم ذلك ظل يواصل اطلاق النيران ، وأصيب مدفع آخر من نفس الطراز كما دمر مدفعان آخرين •

٦ ـ حصن الفنار :

أصيبت الواجهة الغربية منه بعطب شديد من نيران الأسطول الخارجى ، فقد اصطدمت هذه الواجهة بقذيفة أحدثت فيها ثغرة عرضها (٥ر٤ متر) وعمقها (٥ر١) متر ، وحفرت ٤ قذائف حفر قطرها نحو ثلاثة أمتار ، كما صدمت أربعة قذائف أخرى (المزاغل) ـ أى فتحات أطلاق النيران ـ كما أصابت قذيفة منخفضة قمة الساتر الترابى فأطارته بينما أحدثت ١٤ قذيفة اضرارا مختلفة ، وأصيبت خمسة مدافع باصابات مختلفة جعلتها غير صالحة للاستعمال •

٧ ـ حصن صالح اغا :

ولقد هاجمت هذا الحصن الواقع فى الداخل البارجتان (مونارك) و (بنلوب) فترة قصيرة فى آخر اليوم فأصيبت ستائره باضرار طفيفة ، كما تفكك مدفع قديم من مدافعه •

٨ ـ حصن ام قبيبة :

وقد قامت بمها جمته البارجة (انفلكسيبل) على بعد ٣٥٠٠ متر واصابته بثلاثه عشر قذيفة الحقت به اضرارا جسيمة ، كما أن الاحجار والاتربة التى نتجت عن انفجار القذائف غطت المدافع ، كما شطرت احدى القنابل مدفعا عيار ١٦ سم نصفين ، وبعد المعركة وجد فى فناء هذا الحصن عدد كبير من المقذوفات التى لم تنفجر •

٩ ـ حصن المكس :

دمر به أربعة مدافع تدمير كاملا ، كما لحق التلف بمبانيه القائمة فى الخلف أكثر من غيرها ، وبعد جلاء جنوده عنه نزل

بعض الجنود الانجليز الى البر ومعهم أدوات النسف ، ونسفوا مدفعية الضخمين كما أتلفوا مدافعه الآخرى ٠

١٠ ـ قلعه المكس :

اطلقت عليها مقذوفات كثيرة العدد ، فدمر مدفع من طراز (أرمسترونج) كما أصيب عدد كبير من اطقم المدافع ٠

١١ ـ حصن الدخيلة :

لم يصبه ضرر ما ، غيران مدفعين من مدافعه انقلبا أثناء القتال كما نسف مخزن الذخيرة خلفه.فدمر عن آخره ٠

١٢ ـ حصن المرابط :

وكانت مهمة ركنه الشمالى الشرقى تنحصر فى مقاومة البارجة (كندور) والبوارج المهاجمة ، وقد أصيب بعدد ضخم من القنابل ، كما وجد بفنائه عقب المعركة عدد كبير من القذائف لم يتفجر ٠

١٣ ـ حصن العجمى :

لم يشترك فى القتال ٠

خسائر المصريين فى الافراد

يقول الأنجليز أن قوة الدفاع المصرية التى قادها (طلبة باشا عصمت) لم تكن تقل عن ٢٠٠٠ جندى مدفعجي : وكان الأنجليز على علم تام بأوضاع الدفاعات المصرية ، وعلى بينة بأماكنها التفصيلية وقوتها ، فقد كانوا يعرفون مثلا أن طابية المكس يقودها صاغ وتحت قيادته يوزباشي وثلاثة ملازمون و١٥٠ جندى ، وقد أصيب من تلك الحامية الصغيرة ضابط بجراح خطيرة كما قتل خمسون وجرح ثمانية وأربعين ٠

وتعرضـــت طابيـة أم قبيبة لنيران (انفنســيبل) طيلة الصباح ، وكانت مكونة من ٧٥ مدفعجي يعاونهم كثير من المتطوعين المدنيين وقد جرح ١٨ من هذه الحامية · وبلغ مجموع خســائر المصريين فى القسم الجنوبى الداخلى من طابية (صـالح اغـا) الى (المرابط) ٦٥ قتيلا ونحوا من ١٥٠ ـ ٢٠٠ جريح وفى الخط الشمالى للدفاعات فى (رأس التين) وفى قلعة ، اطة ،قتـــل مـا لا يقل عن ٥٠ وجرح أكثر من ١٥٠ ، وقتلت القنابل من الأهالى نحو ٢٠٠ مصرى ·

وقد قدر (جون نينيه) عدد القتلى المصريين بنحو ٨٦٠ ـ كما قـدر الجنرال (ستون) الذى كان يعمــل كرئيس لاركان حرب الخديو الخســائر المصرية بنحو ٧٠٠ قتيل ·

ضرب البريطانيين كان انتقاما وحشيا :

ولقد اسرفت البوارج البريطانية فى اطلاق قذائفها على الحصون المصرية وعلى المدينة ذاتها بشكل منقطع النظير أو بشكل فريد فى التاريخ ، حيث تبينت ان الفريسة سهله بعد القضـــاء على كافة وسائل الدفاع المصرية بواسطة أسطول حديث جبار كالأسـطول البريطانى المدرع مما يوحى بأن هذا الضرب الغاشم كان انتقــاما وحشيا لهزيمة سابقة لحقت الجنود الانجليز فى مصر أثر حملتهم الفاشلة عـام ١٨٠٧ ـ الجـدول التالى يوضــح مبلغ الاسراف الهائل فى اطلاق القذائف البريطانية على المدينة يوم ١١ يوليــة ١٨٨٢ ·

جدول يبين اسراف الأسطول البريطانى فى اطلاق القذائف على الحصون المصرية يوم ١١ يولية ١٨٨٢

	عادية	باليس	شرابنل	سيجمند	قنابل فارغة	اصابة		المجموع		لورد فنلدت	جاتلنج	صواريخ
الكسندرا	٣٧٩	٢٣	١	—	—	٤	—	٤٠١	—	٤٠٠٠	٤٣٠	—
سوبرب ...	٢٥٧	٨٣	٢٥	٣٤	-	١١	—	٤١١	—	١١٦١	٨٨٠	—
سلطان	٢٤٧	٢٤	٣	٤٤	١٠	١٠	—	٣٣٨	—	١٨٠٠	٢٠٠٠	—
بنيلوب	٢٤١	—	٤٥	٣٢	—	٦٢	—	٣٨٠	٥٠٠٠	١٦٧٢	—	—
مونارك	٢٢٧	٥	١٢٩	—	—	٦	—	٣٦٧	١٨٠٠	٣٤٤٠	٢٦٨٠	١
تمرير	١٣٩	٧٠	١٣	٦	—	—	—	٢٢٨	—	١٦٠	—	—
انفنسيبل	٢٢١	—	٢٥	—	٢	٢	—	٢٥٠	٢٠٠٠	٢٠٠٠	١٠٠٠	—
انفلكسيبل	١٣٨	٢١	١١	٣٧	—	—	—	٢٠٨	—	٢٠٠٠	—	—
بيكون	٢١	—	—	١	٦١	١٨	—	١٠١	٣٢٠	—	—	٣
كوندور	١٦٢	—	٨	—	٣١	—	—	٢٠١	١٠٠٠	—	٢٠٠	١٣
بيترن	٦٦	٧	١	—	—	١٢	٣	٨٩	—	—	—	—
سيجنت	٧٢	—	—	—	٧١	—	—	١٠٤٣	—	—	—	—
ديكوى ...	٦٩	—	—	—	—	—	—	٦٩	٤٠	—	—	—
هيلكون	٦	—	—	—	—	—	—	٦	—	—	—	—
المجموع	٢٢٤٦	٢٣٣	٣٦١	١٥٤	١٧٥	١٢٦	٣	٣١٩٨	١٠١٦٠	٦٦٢٣٣	٧١٩٠	١٧

خسائر الاسطول البريطاني

١ ـ المدرعة (سلطان)

اصيبت بثلاث وعشرين قذيفة وكانت اصابات مدخنتهـــا وساريتها شـديدة ، كما أصـــابت بعض القذائف دروعها في موضعين ٠٠ كما احدثت واحدة منها في أسفل قنطرة بطاريتهـا شرخا يبلغ قطرة (٤٥ سم) بينما اخترقت قذيفتـــان أو ثلاث جدرانها غير المدرعة ـ بلغ عدد قتلاها اثناز والجرحى ثلاثة ٠

٢ ـ المدرعة (سوبرب):

فاقت خسائرها خسائر باقي المدرعات ٠٠٠ فقد أصـيبت جدرانها بعشر اصابات بينما اخترقت قذيفتان درعهـــا ٠٠ وفي احد مواضع اصابتها انتزعت القذيفة عند انفجـــارها جزءا من درعها ٠٠ كما اصيبت مدخنتها كذلك ٠

٣ ـ المدرعة (انفنسيبل) :

اصيبت بثلاث عشرة قذيفة في جدرانها وآلاتها كما اخترقت ست منهم الجزء غير المدرع منها ٠

٤ ـ المدرعة (الكسندرا) :

اصيبت بثلاثين اصابة في جدرانها وآلاتها وباربع وعشرين اصابة اخترقت جدراتها في اجزائها غير المدرعه فحدثت بها أضرار بالغة في القنطرة الداخليه وفي غرفها واصـــابتها ايضا قذائف وقنابل كثيرة في الجزء المدرع منها ، ولكنهـــا ـ على كثرتها ـ لم تحـــدث فيه ضررا يذكر كما تلف مدفعـــان من مدفعها دون أن يصابا من جراء كثرة استعمالها في الضرب ٠ أحدهما من عيار ١٠ بوصة (وزن ١٢ طنا) ـ والاخر عيـــار ١١ بوصة وكانت خسائرها في الافراد قتيل وجريحان ٠

٥ ـ المدرعة (بنلوب) :

سقط احد مدافعها كما جرح من جنودها اثنان .

٦ ـ المدرعة (انفلكسيبل) :

اصيبت بقذيفة فى جزئهـــا الغاطس (تحت خط الماء) من مدفع (أرمسترونج) ـ عيار ١٠ بوصة (وهو اكبر عيـــار كان متوافرا بالمدفعية المصرية الســاحلية) ـ وقد توجهت بعد المعركة الى جزيرة (مالطة) لاصلاحها (١) ـ وقد بلغت خسائرها قتيل واحد وجريحين (٢) .

---

(١) لم تذكر اصابتها هذه التقارير الرسمية التى قدمت لى الحكومة البريطانية ـ ولكن الاميرال (سيمور) قدم عنها تقرير سرى للاميرالية ولم يذع رســــميا ..

(٢) لعل من أقوى الادلة التى تثبت كذب (ســـــيمور) فى دعواه بان العرابيين والاهالى هم الذين اضرموا النيران فى الاسكندرية وهى الشهادة التى جاءت فى مذكرات الجنرال السير (باتلر) ـ احد قادة الجيش البريطانى الذين شاهدوا الحرب البريطانية ـ المصرية عام ١٨٨٢ حيث يقول :

« ان المدافع البريطانية هى التي احرقت مدينة الاسكندرية بعد ان هدمت القلاع وقد ظنت الوزارة البريطانية انها بهدمها القلاع ستقمع الثورة ولكنهـــا أخطات فى ذلك اذ ما كدنا ننتهى من تخريب الاسكندرية حتى كان عرابى بجيشه فى مختلف المواقع بالبلاد مستعدا لملاقاتنا وتحمس الوطنيون حين سمعوا بضرب الاسكندرية وانضموا الى العرابيين متفـــــانين فى الدفاع عن بلادهم بعد هذا العدوان ، فظهر للحكومة البريطانية من ذلك انها اذا ارادت ان تبطش الوطنيين فلا يلزمها اقل من جيش كامل لمحاربتهم فى وسط البلاد ، وعند ذلك عرفت ان الاسكندرية لا يمكن ان تكون قاعدة حربية لنا » .

شهادة القس لويس صابونجي للتاريخ :

تمنينا النجاح لعرابى !!

نورد هنا شهادة القس « لويس صابونجي » ـ مساعد المستر الفريد سكاون بلنت الايرلندى الذى قدم كتابه الوثائقى الهام (التاريخ السرى لاحتلال بريطانيا لمصر) ، وسجل فيه الحقائق فى موضوعيه وصدق ، حيث اعتمد فى تاريخه على مشاهداته الشخصية واتصالاته الواسعة مع الساسة الانجليز فى لندن ، كذا صلاته الوثيقة بالزعيم « احمد عرابى » ومعظم زعماء الثورة على الرغم من أن المرجع الذى أشير اليه هنا يعد من المراجع التاريخية القليلة التى اعطتنا خلفية موضوعية لكافة أحداث الثورة العرابية منذ حادث مذبحة الاسكندرية وحتى ما بعد الهزيمة التى حاقت بعرابى ورفاقه وبمصر كلها بعد الانكسار العسكرى فى واقعة (التل الكبير) ، فقد آثرت أن اقتصر هنا على التعرض للجانب العسكرى فحسب ، تاركا الجوانب السياسية للمختصين فى شئون السياسة علهم يجدون ما يرفع هامه ذلك الزعيم المصرى الذى قام يطالب بالحرية لبلاده ، فقامت عليه قيامه الاستعمار البريطانى واذنابه من حكام مصر الاجانب • واعنى بهم احفاد محمد على وعلى رأسهم الخديو الخائن محمد توفيق الذى لابد أن التاريخ المصرى سوف يضعه فى مكانه المناسب الجدير به من الازدراء والتحقير •

واقتطف هنا ما سجله القس لويس صابونجي فى رسالته الى مستر « الفريد بلنت » بتاريخ ٥ يولية ١٨٨٢ ، لنتعرف على أعمال الزعيم أحمد عرابى قبيل ضرب الاسكندرية ، تلك الاعمال التى يتبين منها أن الرجل كان يتصرف ـ لا كما يرجف المرجفون بل كرجل دولة على أرقى مستويات ذلك العهد •

يقول القس لويس صابونجي فى رسالته الى بلنت :

كنت ليلة أمس مع عرابى باشا حتى منتصف الليل ، ولما دخلت غرفة الاستقبال وجدتها مزدحمة بالباشوات وغيرهم من

الضباط وكانوا قد اجتمعوا هناك ليهنؤه بالوسام المجيدى الاميرى (الذى حاول الخديو اسكانه ورشوته به) . وعند الساعة الحادية عشرة انصرفوا وبقينا نحن أربعة وحدنا بالغرفة وأخذنا نتكلم فى حرية فى مختلف المسائل .

وعندما جاء ذكر اسم درويش باشا ، هز عرابى رأسه وكأنه يقول : نحن نعرف هذا ثم قال لى :

أما عن ذهابى الى الاستانة ، فليقل الناس ما يشاءون ، فانى ولدت فى أرض النيل وستظل الاهرام قبرى ولن يحاول الباب العالى أن يخرب أحدى الممتلكات العثمانية . ومن الامثال العربية لا يجدع أحد أنفه بيده ، وسيفكر السلطان مليا قبل ان يسوى دعوتى الى الاستانة أو ارسال جيوش تركية الى مصر .

ويكتب « صابونجى » فى مذكراته يوم ٨ يولية ١٨٨٢ :

توجهت صباح اليوم لأرى « عرابى باشا » فاخبرنى أنه استقبل سيدة أمريكية من فيلادلفيا رجته أن يوقع لها بأسمه فى دفتر التذكارات (الأوتوجراف) ـ وقال أنه كتب لها باللغة العربية ، ورجانى أن أترجم ماكتبه الى اللغة الأنجليزية ، وأخبرنى أيضا أنه كان منذ يومين آتيا من القاهرة الى الأسكندرية فوجد فى المحطة خمسمائة أيطالى يستعدون لمغادرة مصر ، فشرع فى محادثتهم وتشجيعهم على البقاء بالبلاد وفى ديارهم لأنه لاخطر عليهم مطلقا وانه يضمن لهم أرواحهم وممتلكاتهم ، وسلامة كل أنسان على أرض مصر ، وقد شجعت كلماته أولئك الأشخاص الذين كان الرعب قد تملكهم ، فأندفعوا اليه رجالا ونساء ليقبلوا يده ويشكرونه .

---

(١) كان « درويش باشا » ـ مندوب السلطان العثمانى الى مصر ـ قد عرض قبيل ضرب الاسكندرية على (احمد عرابى باشا) ان يذهب الى الاستانة بمرتب شهرى قدره ٢٥٠ جنيها ، فاجابه عرابى بانه حتى لو رضى هو نفسه بالذهاب ، لحال الشعب المصرى بينه وبين الوصول الى السفينة لمنعه من السفر

وكان بينهم رجل مسن فى طول « عرابى » نفســه ، شـق لنفسه طريقا بين هذا الجمع ، ولما وصل اليه وضع كلتا يديه على كتفيه وقال له بالأيطاليه ما معناه : « الله يباركك وينصرك ياعرابى وكانت نتيجـــة هذه المقابلة أن عـــاد ثلث الجمـــع الايطالى الى بيوتهم فى القاهرة ٠

وبينما كنت مع « عرابى » ، تسلم خطابا من رجل أيطالى يرجوه فيه أن يقبله بصفة متطوع فى الجيش المصرى ، وقال له أنه كان فيمـا مضى جنـديا فى الجيش الأيطـالى تحت قيادة « غاريبا لدى » وأنه الآن يود لو أتيحت له الفرصة للقتال من أجل حرية مصر ٠

يصلون من أجل « عرابى » فى مكة :

يقول القس لويس صابونجى :

ومنذ يومين كنت مع « عرابى » ، فأتاه رجل عربى بخطاب ففتحه وتلاه على وعلى الضباط الاخرين ، وقد كتبه حافظ الكعبـــة الملحق بشريف مكة ٠ وكان الخطاب مكتوبا بأسلوب راق وفيه مدح كثير ٠ يقول فيه كاتبه أن جميع الناس فى مكه يدعون الله أن ينصر « عرابى » ٠ وأن الصلوات تقام من أجله ومن أجـــل نجاحه فى الكعبة وعند قبر أسماعيل وزمزم وعرفات ومنى وفى كل مكان مقدس فى الأراضى المقدســة ، ولم يتردد الكاتب فى منـح احمد عرابى لقب (حامى حمى الاسلام) ٠

كما جاء فى الرســالة أن الحجاز كله مع « عرابى » ، وأن شريف مكة لم يشأ أن يكدر علاقاته بسـلطان تركيا ، لذلك فقد كلف أحد رجال حاشيته بكتابته وهو « عباس أغا زمزم » ٠

لماذا لعن الأسرائيليون الحكومة البريطانية ؟ :

ويكتب صابونجى « فى مذكراته ليوم ١٠ يوليو ٠

وكان النـاس ـ أعنى القليلين الذين كانوا قـد بقوا حتى اللحظات الأخيرة ـ يهرولون فى سرعة كبيرة نحو البواخر المختلفة

التى كانت راسية فى الميناء تستقبل المهاجرين • ولست أظن أن هجرة الأسرائيليين من مصر تدانى مارأيت بعينى رأسى ، فأن الرجال والنساء والاطفال الرضع الباكين بين أذرع الأمهات والشيوخ الذين لا يقدرون على السير والمرضى الذين لا يستطيعون حمل أنفسهم من الأسرائيليين ، هؤلاء جميعا كانوا يندفعون صوب البحر فى رعب يذكر الأنسان بيوم القيامة ، وكان هؤلاء الناس البائسون لا يجدون ما يفرج عنهم همهم فى ذعرهم ويأسهم سوى لعن القناصل والحكومة البريطانية التى جاءت لمصر بهذه النكبة •

كان الوقت يمضى أثناء ذلك ، وقد قرب انتهاء الساعات الأربع والعشرين (المحددة فى أنذار الأميرال سيمور الى قائد الأسكندرية الحربى) • وجال بخاطرى أن أتوجه الى احدى البواخر ولكنى سمعت أنها مزدحمة ، وكان أحد بحارة القوارب مشغولا بحمل حقائبى الى قاربه ، فعرض على أن يأخذنى الى القارب البريطانى « تانجور » ، ولكنى رفضت لأن جميع الرعايا البريطانيين والقناصل ومراسلى الصحف — وأكثرهم يعرفوننى — كانوا فى البواخر ، لذلك لم أجد من الحكمة أن ازج بنفسى بينهم وعزمت على البقاء على الشاطىء وأن أكون آخر من يغادر الاسكندرية ولكن الساعات الأخيرة كانت قد دنت وكانت القوارب الأخيرة تروح وتجىء •

فى هذه اللحظة •• قابلت فرنسيا كان على وشك الأبحار مع زوجته ، فدعانى لأن أذهب معه الى الباخرة « سعيد » ، فتوجهت اليها وهأنذا أكتب فيها هذا الخطاب ، بعد أن تركت شركة التلغرافات الشرقية مدينة الأسكندرية ونقلت أدواتها الى بارجة الأميرال البريطانى •

ولما رأيت « الجماعة » (يقصد عرابى وزملاؤه) منذ ساعتين ، وجدتهم ثابتين ومتأهبين للقتال والمقاومة الى آخر نقطة من دمائهم مهما كلفهم ذلك •

١١ يوليو ـ ساعة « عرابى » الخطيرة ! :

فى صباح اليوم ـ الثلاثاء ـ عند الساعة السابعة تماما أطلق الاسطول البريطانى أول طلقة أشارة الى ضرب الحصون ، وكنت على ظهر الباخرة « سعيد » على بعد مسافة قصيرة من الأسطول وقد حانت ساعة « عرابى » الخطيرة ، وأما « درويش » فغادر الأسكندرية عقب ابتداء الضرب وأبحر الى حيث لا يدرى أحد •

ومن بين ١١٧٠ شخصا كانوا معى هذا الصباح يشهدون ضرب المدينة ، كنت الوحيد الذى يتمنى حسن الحظ والنجاح لعرابى ورفاقه •

ولما أطلقت أول طلقة لوح فى الهواء بالقبعات والمناديل والأيدى مع الهتاف والنداءات الداله على الرضا ، وكان الرجال والنساء والاساقفة والقساوسة والرهبان والراهبات فى سرور وجذل يتنبأون باستسلام الحصون المصرية بعد ساعتين •• ولكن استياءهم بدأ بالفعل • والساعة الآن الواحدة والنصف ولم ينقطع أطلاق النيران من الجانبين • وقد كانت المقاومة المصرية حتى الآن باهرة وبعض طلقات المدافع المصرية يتخطى الأسطول والبعض الاخر لا يصل اليه لبعد المسافة • ولكن لا أحد يستطيع حتى الآن التنبوء بالنتيجة • وأجلس الآن فوق ظهر الباخرة أرقب الضرب واكتب كل ما استطيع رؤيته • ولكن ماذا يمكن للأنسان أن يراه على البعد ووسط سحابة من الدخان المعتم سوى أبراق المدافع ورعودها ؟ •

لقد مزقت الطلقة الأولى التى انطلقت من البارجة البريطانية القائدة جميع المعاهدات قطعة قطعة ، وأرسلت ملايين « روتشيلد» الى الجحيم ، وأبعدت الرجل الذى اتفقت انجلترا وفرنسا على توطيد سلطته (يقصد الخديو توفيق) وستمتلىء قناة السويس فى بضعة أيام بمائة ألف رجل من الفلاحين والبدو الذين دربوا على كيفية أداء مهمتهم من قبل ، هذا اذا لم تكن قد دمرت الآن بالفعل •

الفصل الرابع

معارك الجبهة الغربيــــــة

(كفر الدوار)

خطط الجانبين بعد احتلال الاسكندرية

الخطــة المصرية :

كان زعماء الثورة العرابية يعتقدون أن الأنجليز لن يتخدوا قناة السويس ميدانا للزحف أو للحركات الحربية وذلك أحتراما لحيدة القناة من وجهة النظر الدولية ، وعلى هذا الأســـاس ، اتجهت أنظارهم الى القطاع الغربى ونعنى به منطقة كفـــر الدوار والطرق الموصلة من الاسكندرية الى القاهرة ٠

وهكذا عين « عرابى » المهندس محمود باشــا فهمى رئيســا لأركان الجيش المصرى ، فوضع خطط الدفاع عن البلاد وتتلخص فى اتخاذ خمسة مواقع دفاعية رئيسية : ثلاثة منها فى القطـــاع الغربى (كفر الدوار) وأثنين فى القطـــاع الشرقى (الممتد من الأســـماعيلية الى التل الكبير) وذلك على النحو التالى ٠

١ ـ المواقـــع الأول : فى منطقـــة كفـــر الدوار غربى مدينـــة الأسكندرية ٠

٢ ـ الموقع الثانى : فى رشيد ٠

٣ ـ الموقع الثالث : بين « رشيد » وبحرة البرلس ٠

٤ ـ الموقع الرابع : فى دمياط ٠

٥ ـ الموقع الخامس : فى « الصالحية » و «التل الكبير » ٠

محمود فهمي : منع المياه العذبة عن الشرق :

وقد أشار المهندس « محمود باشا فهمي » في بداية الحرب بسد ترعة الاسماعيلية لمنع وصول المياه العذبه الى مدن القناة، كما أشار في الوقت ذاته بسد قناة السويس ذاتها لمنع الانجليز من اتخاذها قاعدة عسكرية .

ولكن « عرابى » لم يستمع الى تلك النصيحة وخشى عواقبها ، حيث ظن أن الانجليز سوف يحترمون حيدة القناة فلايتخذونها قاعدة للزحف ، وقد ساعده على ذلك الاعتقاد المسيو « فرديناند دى لسبس » الذى أكد له استحالة دخول الانجليز للقناة ، فكان لهذا الخداع أثر كبير في اخفاق خطة الدفاع المصرية ، حيث اكتفى « عرابى » بناء على ماتقدم ـ باقامة معسكر فى « التل الكبير » ليضع معظم قواته فى « كفر الدوار » وعلى سواحل البحر المتوسط .

وفى الحقيقة .. فانه يمكننا أن نعتقد فى سداد راى محمود باشا فهمي الخاص بسد القناة ومنع المياه الحلوة من الوصول الى الميدان الشرقى ، حيث أن العمل العسكرى من اجل الدفاع عن الوطن ضد الغزو الأجنبى يجيز فى رأينا اتخاذ مثل هذا الأجراء أو غيره ، وبالفعل قام الانجليز فى ٣٠ يوليه ١٨٨٢ بارسال أسطول حربى مكون من ٤ سفن حربية الى السويس ، وفى ذات الوقت رسى الأميرال « هوسكس » بثلاث سفن حربية فى منطقة بور سعيد ، وبذلك تم للبريطانيين السيطرة على قناة السويس ومدنها من الشمال للجنوب باسم الخديو الخائن « محمد توفيق » ، وهو الأمر الذى كان له أبعد الأثر فى نجاح الخطط الحربية البريطانية الرامية الى احتلال مصر فيما بعد .

الاجراءات الدفاعية المصرية في الميدان الغربي :

بادر الزعيم « أحمد عرابى » ـ بعد احتلال الأسكندرية ـ الى تعزيز مواقعه فى المنطقة الشرقية كما تقدم ، فانشأ عددا من المواقع الدفاعية القوية فى منطقة « كفر الدوار » وعدد آخر من

المواقع بينها وبين منطقة الرمل وخاصـــة فى المنطقة المســتطيلة الواقعة بين بحيرة « أبوقير » وبحيرة « مريوط » ، وقـد امتازت مواقع هذه الدفاعات ببعدها عن مرمى مدفعية الأسـطول البريطانى وتعذر الأقتراب نحوها الأبحذاء جسر الخط الحديدى ، هذا بالأضافة الى وقوع منطقة الدلتا بمواردها الغنية ومواصـــلاتها الجيدة مع القاهرة خلف هذه المواقع الدفاعية •

وقد تمكن الجيش المصرى من الأحتفاظ بهذه المواقع الدفاعية قرابة خمســـة أسابيع دافعـا بكل هجوم بريطانى على أعقـابه ، الى جانب ذلك فلم يكن بقاؤه سـلبيا بل دأب على ازعاج القوات البريطانية بالقيام بعدة هجمات محلية مضادة بين الحين والحين •

كان « محمود باشـا فهمى » ـ بذكاء ملحوظ ـ قد وضـع بمعاونة الأميرالاى « محمد بك شكرى » تصـــميما لثلاثة خطوط دفاعية متتالية يفصـــل كل منها عن الآخر (٤ ــ ٥) كيلو مترات ، يسترها خندق بعمق ١٥ قدما ، كما أقيمت الأوكار الدفاعية على جميع المرتفعات والآكام ، وجهزت بنحو ٥٠ مدفعا ، وبذلك أمتدت ســلسلة الدفاعات فى منطقة « كفر الدوار » أبتداء من « عزبة خورشيد » حتى » كفر الدوار » نفســـها ، وأنشىء الخط الدفاعى التخلفى فى « كفر الدوار » فى المنطقة الممتدة من ترعة المحمودية • الى الملاحة ، فى حين عززت المنطقة الرمليـــة بين ترعة المحمودية وسد « أبى قير •

اقامة سد ترعة المحمودية :

ولقد أقام العرابيون ســـدا على ترعة المحمودية عند « كنج عثمان » وأحدثوا بشاطئها وعلى قرب من الســـد تجاه مواقعهم قطعين كبيرين مما أدى الى أحداث نتيجتين كبيرتين / : أولاهمـا قطع المياه العذبة عن الأســكندرية ، وثانيهما أحداث فيضـــان صناعى غمر جبهة الموقـــع الدفاعى كله تقريبا ، كمـا أدى حلول الصيف الى جفاف بحيرة « مريوط » تدريجيا وتغيير طبيعة المواقع الدفاعية بالأســـكندرية •

وبذلك أرتكزت المواقـــع المصرية على بحيرتى « أبوقير » و « مريوط » وأدى ذلك الى مناعتها وقوتها ، وقد ســاهم أكثر من ٥٠٠٠ رجل فى تشييد واقامة هذه الدفاعات التى صمدت فى وجه القوات البريطانية المهاجمة حتى نهاية الحرب ٠

« توفيق » يصرح باحتلال الأسكندرية :

وكأنما كانت الأقدار تهيىء لشعب مصر مصيبة جديدة ٠٠ تمثلت فى هــذا الخديو الخائن الـذى لا يشــعر بأى تعاطف مع الشعب الذى كان يعتبره من « عبيد أحساناته » ، ففى صـــباح يوم ١٣ يوليه ١٨٨٢ ، أوفـد هذا الحاكم المحسوب على شـــعب مصر ظلما وبهتانا مندوبه « زهران بك » الى الأميرال « سيمور » معلنا له بأسم الخديو استعداد الأخير لمؤازرته ، وبذلك دق هذا الخديو الخائن الأسفين العميق الذى تسبب فى تقسيم البلاد الى معسكرين : معسكر « عرابى » من « العصـــاة » كما أطلق عليهم أنذاك ، ومعســكر الخديو الذى يســبح بحمد الأنجليز والغزاة خمس مرت فى كل يوم مع كل صلاة ٠

بعد ذلك انتقل الخديو الى سراى « رأس التين » ليستقبل الغازى الأنجليزى الذى نقع على رسه ورأس حكومته دماء الشــهداء المصريين الذين ووروا التراب توا وقتلوا فقط لأنهم أحبوا الحرية لوطنهم ودافعوا كالرجال عن ترابه ، لقد أعطى الخديو « توفيق » فى ذلك اليوم والأيام التالية الدرس الأول فى النفـــاق والتفكك وشراء الذمم لشعب مصر الذى وقف بغالبيته العظمى الشريفـــة مع الرجل الذى أضحى منذ هــذه اللحظة القــائد والزعيم : البطـــل « أحمد عرابى » ، الذى وقف فى ذلك اليوم ليطلق صـــيحته الخالدة : « فلتعش الحرية فى مصر خالدة مؤبدة » ٠

وفى نفس اليوم ، وصلت الأميرال « ســـيمور » برقية من الخديو تخلوله نزول بحارته ومشـــاة البحرية الى المدينة « لاعادة النظام بها » ٠ وبعد الظهيرة وفى المساء نزلت الى البر مشـــاة البحرية من المدرعات « سوبرب ـ أنفلكسنيبل ـ تمرير ـ أشيل ـ

سلطان » ، وتولى الكابتن « فيشر » من المدرعة أنفلكسيبل قيــادة القوة كلها فى المدينة ، فى حين تحركت المدرعات « أنفلكسيبل ــ تمرير ــ أشيل » الى مكان من البحر يواجه الرمل بغية السيطرة على طرق الأقتراب البريــة المؤدية الى الأســـكندرية من الجنوب والغرب .

توزيع القوات البريطانية بالأســكندرية :

وقد تم توزيع القوات البريطانية فى مدينة الأسكندرية على التالى :

مشاة بحارة المدرعة « مونارك » فى محطة الرمل ، ومشــاة بحارة المدرعة « تمرير » عند بوابة رشيد ، ومشاة بحارة المدرعة « الكســندرا » عند بوابة محــرم بك ، ومشــاة بحارة المدرعة « سلطان » عند بوابــة حصن « كوم الدكة » . وبحــارة المدرعة « سوبرب » عند بوابة « عمود بومبى » ، وبحارة من « أشيل » عند بوابة القبارى ، وبحارة ألكسندرا » عند محطة ســكة حديد القبارى ، أما عند الضبطية و « الترسانة » ، فقد تم توزيع بحارة المدرعة « أنفنسيبل » .

وفى ١٥ يوليه وصلت المدرعة « مينوتور » بقيــادة الأميرال « دويل ــ قائد أسطول المانش ــ ونزل منها لواء من مشــاة البحرية الى المدينة ، كما احتل بعض جنود مدفعية الأسطول حصن نابليون واحتل مشاة البحرية قلعة « كوم الدكة » ، وقامت جماعة من المدرعة « ألكسندرا » بنسف طابية (السلسلة) ، فى الوقت الذى بدأت فيه عملية واسعة لنسف جميع المدافع المصرية المنصوبة على الساحل ، كما نزلت قوات من السفن الألمانية والأمريكية التى كانت موجودة بمياه الأسكندرية الى المدينة للمعــاونة فى أعادة النظام ، وعين اللورد « تشارلس بيرسفورد » مديراً للبوليس بها .

وفى اليوم التالى أصدر الأميرال « بوشامب سيمور » أوامره الى البحارة الأمريكيين والألمان واليونانيين بالعودة الى سفنهم بحجة عدم الحاجة اليهم .

لماذا حاول الخديو استدراج « عرابى » ؟! :

فى يوم ١٥ يولية أرسل الأميرال « سيمور » ـ بناء على اقتراح من الخديو « توفيق » ـ سفينتين الى « أبى قير » للسيطرة على المنطقة هناك اذا ما حاول « أحمد عرابى » سدها أو غمرها بالمياه

وفى ذات الفترة ، حاول الخديو ـ بأيعاز من السلطة البريطانيه ـ أيقاع « عرابى » فى الشرك ، فأرسل اليه ـ فى ١٧ يولية ـ برقية يلقى فيها بمسئولية العدوان البريطانى على استمرار الاعمال الجارية فى الطوابى وتركيب المدافع ، ويعلن فيه أن الأميرال « سيمور » لا يضمر العداء لمصر ، وأن الحكومة البريطانية ليس بينها وبين الحكومة المصرية خصومة أو حرب ، وأن «سيمور» مستعد لتسليم مدينة الأسكندرية الى جيش منظم ومأمور ، ولذلك اذا احضرت عساكر « شاهانية » (من طرف السلطان العثمانى) فالحكومة الأنجليزية تحترمهم وتسلم اليهم المدينة • فليست بينها وبين مصر حالة حرب ، كما يأمر الخديو فى نفس البرقية بالحضور على الفور الى سراى « رأس التين » « لأعطائه »«التنبيهات الشفهية المقتضبة » على حسب أمر الخديو ، وأن ذلك هو ما استقر عليه رأى مجلس النظار •

« عرابى » : لازالت الحرب قائمة :

ومن نافلة القول أن الخديو كان يهدف الى القبض على « أحمد عرابى » وتسليمه للبريطانيين ، وهو الأمر الذى تنبه اليه الزعيم أحمد عرابى ، فأرسل الى الخديو أجابة أعلن له فيها أن الأسباب التى توجب استمرار الدفاع لازالت قائمة ، وأن قرار المجلس أجمع على رفض مطالب « سيمور » ولو أدى ذلك الى الحرب وزيادة ٢٥ ألفا من الجنود صدرت بها الأوامر الى المديريات بطلبهم ، وأن هذه القرارات انما أتخذت لتمسك الخديو « درويش باشا » بها ، وأن حالة الحرب تعد قائمة تستوجب استمرار الأستعداد وأنه ـ أى عرابى ـ لا يمكنه العودة الى الأسكندرية والقوات البريطانية

تحتلها ، وأنه يستحسن حضور الوزراء أو رئيس الوزراء الى مركز الجيش للمداولة حتي يمكن على ضوء الحقيقة نفسها صرف الجنود والكف عن الأستعدادات الحربية والحضور الى الأسكندرية ٠

ولم يلبث « عرابى » بعد هاتين البرقيتين المتبادلتين بينه وبين الخديو أن فطن الى ما يضمره من الحيانه لمصر ولشعبها ، فقام بأعلان خيانته وأرسل تحذيرا الى جميع المديريات والمحافظات من الوقوع في حبائله ، كما طلب من « يعقوب باشا » ـ وكيل وزارة الحربية ـ عقد جمعية عمومية من الذوات والأعيان والعلماء لأصدار ما تراه فى هذا الشأن الجلل ٠

الخديو يعزل « عرابى » ! :

أجاب الخديو « توفيق » على رد « عرابى » بالمبادرة الى اصدار فرمان ـ فى ٢٠ يولية ١٨٨٢ - يقضى بعزل « أحمد عرابى» من وزارة الحربية وتعيين « عمر باشا لطفى » ـ محافظ الأسكندرية بدلا منه ٠ فى ذات الوقت الذى قام فيه بأرسال منشور ناشد فيه الشعب الأنضمام تحت لوائه ومناصرة الجيش البريطانى والامتناع عن معاونة العرابيين ٠

سلطان تركيا يعلن عصيان « عرابى » :

ويتبين لنا موقف سلطان تركيا من « عرابى » مما سجله سليم خليل النقاش (١) ، يقول :

« ٠٠ كان « عرابى » أثناء قتاله ضد الأنجليز يعتمد على موقفه الوطنى وعلى تعضيد السلطان ومساعدته له فى مشروعه ٠٠ ولكن خاب أمل « عرابى » فى الحصول على تلك المساعدة أثر صدور المنشورات الخديوية وأتصال الخبر به أن القوم فى دار السعادة

---

(١) فى كتابه « مصر للمصريين » ـ الجزء الخامس ـ طبعة ١٨٨٤ م ـ ص ٢٠٠ وما بعدها ٠

عدوه عاصيا نابذا لطاعة الخليفة ونائبه فى مصر - يعنى الخديو توفيق - ولم يمضى على ذلك بضعة أيام حتى تحقق ذلك بالمنشور الذى أصدره الباب العالى • وفيما يلى نصه :

أولا : أن الدولة العلية السلطانية تعلن أن وكيلها الشرعى بمصر هو حضرة فخامتلو دولتلو محمد توفيق باشا •

ثانيا : أن أعمال « عرابى » كانت مخالفة لأرادة الدولة العلية ثم التمس من جناب الخديو العفو عنه وناله ونال ايضا العفو من الحضرة السلطانية •

ثالثا :أن الشرف الذى ناله أخيرا من الحضرة السلطانية (٢) أنما كان من تصريحه بالطاعة لأوامر مولانا السلطان المعظم الخليفة الأعظم •

رابعا : قد تحقق الآن رسميا أن « عرابى باشا رجع الى زلاته السابقة وأستبد برئاسة العساكر المصرية بدون وجه حق • فيكون قد عرض نفسه لمسئولية عظيمة لاسيما انه « يهدد » اساطيل حليفة للدولة العلية السلطانية •

خامسا : تصرف الدولة العلية السلطانية بالنظر الى « عرابى باشا » ورفاقه واعوانه يكون بصفة أنهم (عصاة) •

سادسا : يتعين على سكان الأقطار المصرية حالة كونهم رعية مولانا وسيدنا الخليفة الأعظم أن يطيعوا أوامر الخديو المعظم الذى هو فى مصر وكيل الخليفة ، وكل من يخالف هذه الأوامر يعرض نفسه لمسئولية عظيمة •

سابعا : أن معاملة « عرابى » باشا وحركاته وأطواره مع حضرات السادات والأشراف هي مخالفة للشريعة الأسلاميه الغراء ومضادة لها بالكلية •

---

(٢) فور حضور « درويش باشا » - مندوبا عن السلطان - الى مصر فى يونيه ١٨٨٢ ، قام بتوزيع النياشين والانواط على العرابيين ، فمنح « عرابى » الوشاح الاكبر والنيشان المجيدى وذلك فى محاولة لاحتوائه والسيطرة على الثورة .

خطط الجانب البريطانى

فى ٢١ / ٧ أرسل (أرشيبالد اليسون) آلايين من المشاة وكتيبة من الفرسان خارج منطقة الرمل فى اتجاه المواقع الدفاعية المصرية ، وتقدمت تلك القوة حتى تل (وابور المياه) وهو موقع مشرف على المنطقة ويمكن منه رؤية الخطوط المصرية فى (كفر الدوار) .

أما طريق الاقتراب المتجه من منطقة (أبو قير) فقد سيطرت عليه نيران الاسطول سيطرة تامة وسدت دفاعات (القبارى) - طريق التقدم من ناحية (المكس) .

وبذلك يكون احتلال الانجليز لتل الرمل قد أتم سلسلة الدفاعات عن الاسكندريه وبدات قواتهم تحكم قبضتها على المنطقة وعلى ذلك بدأت فى تعزيز مواقعها ، متخذين من نقطه (وابور المياه) والفنطاس القائم خلفه على التل المرتفع مركزا للدفاع عن الاسكندرية ووضعوا فى الوابور قسما قويا من قواتهم وأنشأوا رئاستهم فى الموقع الثانى كما حفروا الخنادق ووضعوا فيها عددا من المدافع (منها ٥ عيار ٤٠ رطل - ٢ عيار ١٢ رطل - ٢ عيار ٩ رطل) كما وضعت قوة بريطانية قوية فى قصر « انطونيادس » على ترعة المحمودية للسيطرة على طريق الاقتراب من ناحية جسر السكة الحديد .. وفى ذات الوقت أنشئت كبارى مؤقتة على ترعة المحمودية .

أراد الانجليز فى بداية الامر أن يقوا جانبهم الأيمن باستخدام العوامات أو القوارب المسطحة غير أن قلة المياه وهبوط مستوى بحيرة (مريوط) أدى الى استحالة استخدامها ، ولحل هذه المشكلة أنشأ الكابتن (فيشر) قطارا مصفحا كان له أثره وقيمته فى المعركة حيث تكون هذا القطار فى بادىء الأمر من عربتين مصفحتين بألواح حديدية وأكياس معبأة بالرمل مسلحتين

بمدفع (نيوردفلت) ومدفعين (جاتلنج) ، كما جهزت أحــدى العربتين بمدفع ٩ رطل مجهز بونش يمكن به خفضــه في الحال بينما احتل باقى العربات ٢٠٠ جندى مسلحين بالبنادق خلف أكياس الرمل والالواح الحديدية المانعه لنفوذ الرصاص .

اصلاح الخط الحديدى :

وفى منطقه مواصلة (الملاحة) ـ تم فى ٢٩ / ٧ اصــلاح الخط الحديدى الذى دمرته النقط الامامية للجيش المصرى العرابى وقد تمت هده العمليه بتشكيل قوة صغيرة من المشاة الراكبــة وسريتين من مشاة البحرية وسرية مشاة يعاونهم القطــار المدرع المشار اليه الذى تقدم يوم ١٨ / ٧ الى أقــرب نقطــة من النقط الخارجية المصرية لاغراء كل القوة المرابطه بها على فتح النيران .

المصريون يضربون القطار المصفح بالصواريخ :

وقد كانت القوة المصرية مكونة فى بادىء الأمر من كتيبــة مشاة وكتيبتين من الفرسان ، سرعان ما عززت بكتيبتين اضافيتين وبعض الفرسان وجاء المصريون بمدفع صاروخى وصــوبوا بعض الطلقات على القطار مما أحدث به ضررا بليغــا ، الا أن البريطانيين تمكنوا من اصلاحه يوم ٢٩ / ٧ وبذلك أمكن تسيير عدد كاف من القطارات دائريا على الخط الرئيسى بين (محــرم بك) على خط القاهرة ـ الاسكندرية الحديدى والموقع الامامى بالرمل .

وتبين البريطانيون فائدة القطار المدرع فزادوا من تحسينه باضافة عربتين فى مقدمته علاوة على تجهيزه بمدفع عن عيــار ٤٠ رطلا مع القاطرة فى منتصف القطار ووقايتها بحائط سـميك من أكياس الرمل والقضبان الحديدية .

مناوشات الاعراب ضد الانجليز :

وفى ليلة ٣١ / ٧ قام بعض الاعراب بمهاجمــة المواقــع الامامية البريطانية بالرمل ، وعاودوا هجومهم فى الليلة التالية ،

على احد مواقع المشاة الامامية على ترعة المحمودية واجبروا تلك النقطة على الانسحاب نحو محطة (الطلمبات) ـ على مسافة ميل للخلف ـ الا أن البريطانيين تمكنوا من استعادته بعد القيام بهجوم مضاد قوى .

معارك الميدان الغربى
(منطقة كفر الدوار)

فى ٢٠ أغسطس تقدم السير أرشيبالد مورى بقوة كبيرة نحو المواقع المصرية بمنطقة كفر الدوار ويقول التاريخ الرسمى البريطانى تغطية لما منيت به هذه العملية من فشل بأن السير (أرشيبالد مورى) لم يقم بهذا الهجوم الا ليتحقق بنفسه من صحة التقارير التى وصلته عن عزم « عرابى » على الانسحاب من منطقة (كفر الدوار) ، وليلقى فى روع المصريين أن الهجوم البريطانى الحقيقى سيوجه اليهم من الاسكندرية .

الخطة البريطانية (عن المصادر البريطانية) :

وقد أصدر السير (أرشيبالد) أوامره بتأهب القوات المعدة للهجوم مواقعها اعتبارا من الساعة ٣٠ ٤ مساء لتتقدم فى طابورين :

١ ـ الطابور الأيسر : بقيادة اللفتنانت كولونيل (تاكويل) وكان مكونا من : الكتيبة الاولى (ساوث ستافورد شير) (نصف كتيبة) الكتيبة الثانية (دوق أوف كورنول) مشاة خفيفة (نصف كتيبة) .

الكتيبة الثالثة (كنجز رويال ريفلز) + المشاة الراكبة + مدفع بحرى ٩ رطل ، وتبلغ مجموع تلك القوة ١٠٠٠ مقاتل .

وكان واجب هذا الطابور السير بمحاذاة خط الترعة الى أن يصل الى منزل قائم وسط الاشجار فى المنطقة التى يكون فيها خط السكة الحديد فى أقرب مواضعة من ترعة المحمودية .

٢ ـ الطابور الأيمن : تحت القيادة المباشرة للسير (أرشيبالد اليسون) وكان مكونا من :

مدفعية مشاة البحرية الملكية .

المشاة الخفيفة لمشاة البحرية .

٢ مدفع بحرى ٩ رطل .

وكانت هذه مجموعها أيضا ١٠٠٠ مقاتل .

وكان واجب هذا الطابور التقدم بالقطار الى مواصلة الملاحة يسبقه القطار المصفح الذى كان عليه أن يقف فى مواصلة الملاحة لينزل منه مشاة البحرية ويتقسمون بمحاذاة السكة الحديد يعززهم المدفعان ٩ رطل ويغطى تقدمهم مدفع ٤ رطل المجهز به القطار المصفح المشار اليه .

بداية القتال :

فى الساعة ٤٥ر٤ مساء تقدم الطابور الأيسر بمحاذاة جانبى ترعة المحمودية بينما تقدم الطابور الأيمن بمحاذاة الطريق الحديدى ، وقد سعى كل طابور أثناء تقدمه الى تهديد أجناب النقط الامامية المصرية ، ورغم الدور الكبير الذى قام به القطار المصفح أثناء القتال فلم يؤثر ذلك فى شىء على مقاومة المصريين الباسلة .

وحالما بدأ الطابور الأيسر التقدم فى الموعد المحدد ، قام المصريون ـ الذين اتخذوا مواقعهم فى أحراش النخيل على الضفة الشرقية للترعة ـ بالضرب عليه ـ وبعد قتال عنيف استطاعت القوات الاستيلاء على تلك النقط الامامية المصرية بعد أن قتل ضابط بريطانى كبير .

أما الطابور الأيمن ـ كما تقول المصادر البريطانية أيضا ـ فقد رافقة السير (أرشيبالد) وتقدم حسب الخطة مستترا بجسر السكة الحديد ليقطع خط الرجعة على القوات المصرية المشتبكة مع الطابور الأيسر .

المصريون يصبون نيرانا حامية :

ولكن سرعان ما اكتشف المصريون تقدم هذا الطابور وصبوا عليه نيرانا حاميه من المدفعيه وهرع (ارشيبالد) الى النقطه التى يقترب فيها الطريق الحديدى من الترعه وفتح البريطانيون نيرانهم من جسر السكه الحديد على القوات المصريه المستحدمه على جسرى الترعة واشتبك المدفعان ٩ رطل مع المدفعية المصرية ، كما سلط المدفع ٤٠ رطل (بالقطار) نيرانه على المواقع المصرية ، وبعد أن ثبت السير (أرشيبالد) جانبه الأيمن على كلا جانبي الجسر دفع بسريتين لاقتحــــام منزل قائم على مقربة من الترعة واعقب ذلك بدفع ٤ سرايا على اليسار على كلا جانبى الترعة ٠

ويقول الانجليز أنه يبدو أن الطابور الأيسر وقد صدرت اليه الاوامر باحتلال منزل أبيض معين على الترعة التبس عليه الأمــــر واخطأ قائده الكولونيل (ثاكويل) فى تنفيذ الامر ظنـــا منه ان المنزل الذى وصلته قواته فى بادىء القتال هو المنزل المقصود مما أدى الى كشف الجنب الأيسر لمشاة البحرية وفشل العملية ٠

المصريون يقاتلون الانجليز بالسلاح الأبيض :

وأرسل القائد البريطانى أشارات كثيرة الى الجناح الأيسر لمواصلة التقدم ، غير أن غبار ودخان المعركة حالا دون فهم المقصود منها ، وحاول القائد البريطانى مســـتميتا التشبث بالمكان الذى وصلت اليه قواته لمدة ثلاثة أرباع الساعة حتى هبط الليـــل ٠٠ وقد التحم المصريون بالانجليز بالسلاح الابيض وكبدوهم خســائر فادحة فى الارواح والعتاد ٠

وهكذا تراجع البريطانيون :

وهذا تراجــع الانجليز بعد قتال عنيف دام ثلاث ســـاعات ونصف أمام المقاومة المصريه ، وقد انطلقت قوات من الفرســـان المصرية بقيادة (خورشيد باشــــا طاهر) من منطقــة (أبو قير)

الدفاعية لتهديد الجناح الأيسر للهجوم البريطانى ، وهنا بادر الطابور الايمن فى سرعة وعجلة الى ركوب القطار عند مواصلة (الملاحة) موليا الأدبار الى الاسكندرية ، فى ذات الوقت الذى تقهقر فيه الطابور الأيسر على جانبى ترعة المحمودية صوب منطقة الرمل ٠

ويقول الانجليز أن الظلام ساعدهم على الانسحاب من المعركة دون أن يؤثر ذلك تأثيرا شديدا على معنوياتهم حيث كانت هذه هى أول معركة تدور بين المصريين والانجليز وجها لوجه ٠

القادة الانجليز ليسوا فوق مستوى الشبهات :

ونقرأ فى التعليق البريطانى الرسمى عن تلك المعركة :

« ٠٠٠ لقد مست تعليقات الصحف الاوروبية عن المعركة عاطفة الشعب البريطانى ٠٠ تلك الصحف التى كانت فى جهل تام بالخطة البريطانية المقررة للحملة وطبيعة الأرض التى أدت الى اختيار طريق الاسماعيلية فان هذه الصحف كانت تتوهم دائما أن هناك ترتيبات تتخذ للقيام بزحف مباشر من الاسكندرية على القاهرة ٠٠ وأن هذه المناوشات التى لاهدف لها قد أظهرت فحسب ان القادة ٠٠ الانجليز لم يكونوا على معرفة بما يدور حولهم ، ولم تكن لهم خطة محددة » ٠

الهجوم البريطانى الثانى على منطقة (كفر الدوار)

وتزخر المصادر المصرية بتفاصيل عن موقعة ثانية دارت فى منطقة (عزبة خورشيد) فى اليوم التالى الا أن هذه الواقعة اغفلت ذكرها تماما المصادر البريطانية للحملة على مصر ٠٠ وتقول المصادر المصرية عن هذه الواقعة :

« ٠٠ أن الانجليز عاودوا هجومهم على مقدمة الجيش المصرى فى كفر الدوار فى ثلاثة طوابير تقدم الأيسر منها فى الرمل على جسر ترعة المحمودية ، وتقدم الأيمن منها بطريق السكة

الحديد من (القبارى) بينما تقدم القسم الاوسط من طريق كوبرى المحموديه - وارتطموا بالموافع المصرية التى صمدت لهجومهم ، وانبرى فى تلك المعركه البكباشى محروس يقود كتيبة من المشاة ، وهاجم ميسرة الانجليز ووقفه فى وجه الوسط والجناح الايمن اليكباشى محمد فودة على رأس كتيبة ثانية من المشاة وحين اشتد القتال فى تلك المنطقة جاءت الامدادات بقيادة القائمقام أحمد عفت قائد المقدمة ثم وصلت أمدادات أخرى مؤلفة من كتيبة يقودها البكباشى سليمان تعليب والبكباشى رزق الله حجازى .

وتولى (طلبة باشا عصمت) قيادة الجيش واستمر القتال ٤ ساعات أنتهت بتراجع القوات البريطانية واقتفى المصريون أثرهم حتى حجبهم الظلام .. واستشهد فى تلك المعركة من المصريين ٩ جنود وضابط صف وجرح منهم ١٢ جنديا وضابطان . أما الخسائر البريطانية فقد فاقت الخسائر المصرية عددا .

احمد عرابى يصف معارك كفر الدوار :

يقول الزعيم عرابى (١) فى وصف معارك الجيش المصرى ضد القوات البريطانية فى معارك كفر الدوار (الميدان الغربى) - وذلك عقب تدمير الاسطول البريطانى لمدينة الاسكندرية واحتلالها غداة ضربها يوم ١٨٨٢/٧/١١ :

عندما رأى العدو ثبات جنودنا ولى منهزما :

« ... وفى يوم الاحد ١٨٨٢/٨/٢٠ - رؤى العدو يرتب عساكره من الساعة السادسة صباحا ، فرتب طلبه باشا - قومندان الفرقة بكفر الدوار - عساكرنا بهيئة مؤلفة من ٤ أورط

(١) مذكرات عرابى : كشف الستار عن سر الاسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية ».

من الجهة الشرقية تحت حكمدارية الأميرالاى مصـــطفى بك عبد الرحيم والقائمقام سليمان بك سامى ، وأما السوارى (الخيالة) والعربان فتحت قومندانية (قيادة) أحمد بك عبد الغفار •

وفى الساعة التاسعة العربية ظهر العـــدو مرتبا لقـــولاته (طوابيره) فى ستة قولات من الجهة الشرقية وقولين من الجهـــة الغربية وقطارين من السكة الحديد ثم ابتدأ الضرب بالمدافع من الطرفين وأستمر ساعتين ، وكانت عساكرنا تتقـــدم تحت نيران الطوبجية ـ وعندما صار العدو تحت مقذوفات البيادة (المشاة) أبتدا اطلاق النار من الساعة الاولى من الليل ـ فلما رأى العـــدو ثبات عساكرنا واقدامهم بشـــجاعة وسرعة حركاتهم ولى منهزما ، فتبعته السوارى والعربان وأوقعت به قتلا وفتكا حتى ادخلته فى نخيل الرمل •

لله در طوبجيتنا ! :

لله در طوبجيتنا الذين أبلوا بلاء حسنا وأظهروا من المهـــارة ما جعل العدو يترك كثيرا من رجاله أشلاء فى ميدان القتال •

وفى اليوم التالى :

وفى اليوم التالى ـ ٢١/٨ـ حضر العدو بقولات من جهـــة الرمل وابتدأ باطلاق المدافع فجاوبتها عســـاكرنا بالمثل ، وكانت مشاتنا تسير تحت نيران مدفعيتنا ، وقبل ان يصلوا الى مواقـــع المقذوفات تقهقر العدو وأستمر أطلاق المنيران والمدافع الى الغرب ـ وعندما راى العدو أن نيران مدافعنا لا تبقى ولا تذر أنهزم وفـــر هاربا وعاد عساكرنا ولم يصب واحد منهم بسوء •

أصيب الكثير من رجال العدو :

وقد أصيب فى هذه المعركة كثير من رجال العدو كما تحقق ذلك من أستكشافات هذا اليوم فقد ترك كثيرا من رجـــاله صرعى فى الميدان •

قائد المعركة يصف القتال

ويستطرد (عرابى) (١) : وفى ٢٢ أغسطس ورد لنـــا تلغراف من طلبة باشا قومندان كفر الدوار يقول فيه :

«بعد ان ظهر العدو رتب عساكره من خطوط ثم طوابير ثـم قولات ـ تقدم حتى صار تحت النيران لمقذوفاتنا فابتدأت الحرب فى منتصف الحاديه عشرة ، واشتغلت طوبجيتنا بمهارة عظيمـــه حتى بددته وشتتته تحت النخيل ، وثم ما زالت نيراننا تقفو أثره حتى انهزم شر هزيمة ، وقد رأيت قنابلنا تفرقع وســـط طوابير العدو وقولاته فتهلك الكثير من رجاله وكانت أصوات عســاكرنا مرتفعة بالتكبير والتحميد ومشاتنا تتقدم تحت نيران مدافعنـــا ، ولكن العدو لم يتمكن من الدخول فى منطقة نيران البنادق لتأثير نيران مدافعنا فيه .

رأيت من مهارة طوبجيتنا ما ابهجنى :

ولقد رأيت من مهارة طوبجيتنا وأصابة مقذوفاتها ما أبهجنى وملأنى سرورا بهم عندما رأيت ذخيرة العدو وقد التهبت وأصابت الكثير من رؤســـائهم ثم شاهدت فى طابية الرمـــل كثيرا من الذوات وكبار الافرنج يشاهدون القتال ومعهم المنظارات .

الانجليز يستنجدون :

ولقد استنجد الأنجليز فجاءتهم نجدة على قطار مخصـــوص ، ولكنها لم تصل الا بعد الهزيمة فعـــادت كما جاءت ـ وكان الوقت فى الساعة الواحدة ليلا .

فبشروا العمـــوم بتـــأييد الله ونصره للعســــــــاكر المصرية وما يظهرونه من الثبات وتبديد العدو الباغى » .

---

(١) مذكرات عرابى (كشف الستار عن سر الاسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية فى عامى ١٨٨١ و ١٨٨٢) ـ بقلم زعيم الثورة العرابية احمد عرابى ـ الجزء الثانى

الفصل الخامس

معارك الميـدان الشرقى

بريطانيا تدعم قواتها فى مصر :

فى أعقاب احتلال الاسكندرية ، بدأت انجلترا فى تدعيم قواتها فى مصر ، فأرسلت الدوق (أوف كنوت) - نجل الملكة (فكتوريا) - وكان قائد اللواء الأول ، والجنرال (ويليس) قائد الفرقة على رأس قوة أبحرت بها الباخرة (أورينت) من حوض ميناء (رويال البرت) شمال (وولوتش) يوم الاحد ٣٠ يولية ١٨٨٢ - وهكذا ظلت الأفواج المتعاقبة من القوات البريطانية تتدفق منذ ذلك التاريخ - وحتى ١١ أغسطس - على مصر بصفة يومية تقريبا •

قائد القوات البريطانية يرسل برقية من باخرته لخداع العرابيين :

ومن على ظهر الباخرة (كالابريا) يرسل السـير (جارنت ولسلى) برقية تحوى نواياه المستقبلة - الى قائد الأسكندرية يقول فيها •

من السير جارنت ولسلى السير جون (١) - الأسكندرية :

آمل الوصول الى الأسـكندرية فى ١٥ الجارى - لا تنقل القوات الى القناة حتى وصـولى ، ولكن جهز كل شىء للتحرك - اجذب التفات (عرابى) الى الأسكندرية باستطلاع يومى يوجه نحو جنب موقعه ، هل يمكنك الاقتراب منه بقوات بحارية ؟ - اذا لم تكن (أبو قير) قد قصفت بعد فامنع قصفها فى الوقت الحاضر •

---

(١) السير « جون أيدى » : تولى قيادة قوات الاسـكندرية منذ ١٠ أغسطس ١٨٨٢ •

قل للخديو وللشعب أننا نرمي الى مد خط حديدى فى (قبرص) على الطرق الحالية من (ليماسول) الى المستشفى فى الجبل ، واشحن باسم هذا الغرض ٤ قطارات و ٨٠ عربة خفيفة على سفينة يمكنها التوجه الى (الأسماعيلية) ومهما كانت الامور فاشحن ٦ عربات خفيفة لتستخدمها على الخط الحديدى بالخيول فى البداية ـ اتخذ الترتيبات مع الاميرال لنقل ٥ كتائب والاى فرسان وبطارية من (بور سعيد) الى داخل القناة •

القوات الهندية تتحرك الى منطقة القناة :

وفى ٨/٩ أبحرت ناقلات بالقوة الهندية من (بومباى) ـ ولاطمئنان (عرابى) الى أن أى تحرك تقوم به القوة الهندية فى منطقة القناة لن يزيد على مجرد عمليات فرعية ، فلم تزد الاستعدادات التى اتخذها على طول ذلك الخط عن مجرد تحضيرات رمى بها الى احتجاز أية قوات قد تقوم بتقدم ما واستغل الانجليز هذا التوهم الخاطىء وعملوا على إبقائه متسلطا على (عرابى) •

توزيع القيادات المصرية :

وعلى الجانب المصرى عين (راشد باشا حسنى) قائدا للمنطقة الشرقية ، و (خورشيد باشا طاهر) قائدا لمنطقة أبو قير ، و « على باشا الروبى » قائدا لمنطقة مريوط و « عبد العال باشا حلمى » قائدا لمنطقة دمياط ، و «محمود سامى باشا البارودى» قائدا لمنطقة الصالحية ، و « طلبة باشا عصمت » قائدا لمنطقة كفر الدوار ، وجميع تلك القيادات المحلية تحت القيادة العامة لأحمد عرابى باشا مباشرة •

---

(٢) بلغ تعداد القوات البريطانية فى الاسكندرية حتى يوم ٩ اغسطس نحو اربعة عشر الف جندى من المشاة و ٣ كتائب من الفرسان و ٩٤٠ جندى من المهندسين بخلاف الفنيين والاداريين •

الخطة البريطانية لاحتلال مصر :

قامت القيادة البريطانية بعد ذلك بوضع خطتها التفصيلية لاحتلال القناة ـ والسيطرة على مصر بالتالى ـ وذلك وفقاً للترتيب الآتى :

ـ الاستيلاء على قناة السويس تأمينا لسلامة مرور سفن الحملة :

ـ تحرك قوة الحملة الى (الاسماعيلية) فى نظام مسلسل مرتب بقدر ما تسمح به الظروف ٠

ـ اتباع كل ما يمكن من وسائل الخداع لايهام المصريين بأن الهجوم البريطانى سيوجه نحوهم من نقط أخرى غير الاسماعيلية الى أن تحتشد بها اعداد كافية لتأمين سلامة امتلاكها ٠

ـ الاستيلاء على الخط الحديدى وترعه الاسماعيلية وتأمينها حتى قريبة ضارية من الموقع الذى عرف أن المصريين يتخذون عدتهم لوضع قوتهم الرئيسية به دفاعا عن شرق الدلتا ـ أى حتى مسافة قريبة من التل الكبير ٠

ـ البدء بمجرد الاستيلاء على خطوط المواصلات السابقة فى اصلاح الاجزاء التى دمرها المصريون وأعاقوا عملها فى الخط الحديدى أو القناة وسير كل ما يمكن من القطارات والقوارب لتموين الجيش فى الميدان ٠

ـ العمل على تكديس المخازن والذخيرة فى موقع متقدم وتحت حراسة كافية وبكميات وافرة لاستقلال الجيش فى تموينه بعد زحفه ٠

ـ الاشتباك مع الجيش المصرى فى معركة عامة ، بعد (وليس قبل) ان يسمح موقف تكديس الادوات أو نقلها اليومى المنتظم على طول الخط بحشد الجيش لتوجيهه ضربة فعالة ونهائية ان أمكن ٠

الانطلاق عقب هذه العملية ـ بأقصى سرعة اتماما للآتى :

١ ـ تأمين الاستيلاء على القاهرة لأسباب سياسية وحربية ٠

٢ ـ الاستيلاء على نقط الحشد التى يمكن فيها فقط ـ عقب هزيمة المصريين فى (التل الكبير) التئام قواتهم المتعددة المرابطة فى (كفر الدوار) و (القاهرة) و ودمياط ورشـــــيد والصالحية وانشاء قوة كبيرة لها أثرها الحربى الفعال •

الخديو ((توفيق) يفوض الانجليز لاحتلال القناة :

فى الأول من شهر أغسطس ١٨٨٢ ، كان فى حوزة الاميرال (هوسكنس) البريطانى ـ تفويضا مكتوبا من الخديو (توفيق) الخائن ، يخوله فيه الاستيلاء على جميع النقط الضرورية التى على طول القناة واحتلالها باسم الخديو ••• فيما يلى نصه :

سيدى الكونتر ادميرال •

الاسكندرية فى أول أغسطس سنة ١٨٨٢ •

« لكم السلطة التى تخولكم احتلال ما تجدونه مفيدا من نقط فى منطقة القناة لتأمين حرية الملاحة فيها وحماية المدن والاهلين على طول مجرى القناة وطرد كل قوة لاتعترف بسلطتى ولكم ايضا ياسيدى الكونتر اميرال سلطة اتخـاذ الاجراءات اللازمة لانتزاع الخط الحديدى بين السويس والاسماعيليه من يد الثوار » •

امضـــــاء

خطاب الخديعة البريطانية :

وقد عمدت القيادة البريطانية الى خداع العرابيين عن وجهة الهجوم الحقيقية (منطقة القناة) وذلك بتحريك الاســـــطول البريطانى الى منطقة (أبى قير) مع اطلاق الشائعات وترويجهـــا عن عزمها غزو تلك المنطقة (١) •

---

(١) وبذلك تمكن الانجليز من احتلال (الاسماعيلية) و (الشـــلوفة) و (بورسعيد) و (نفيشة) يوم ٢٠ ـ ٨ ـ ١٨٨٢ ، مما مهد الطريق لمرور الحملة البريطانية فى القناة وتامين المواصــــلات مع القوة الهندية عند وصـــولها الى (السويس) ـ وذلك بعد أن نفذوا خطة لخداع العرابيين تتركز فى ايهــامهـــم بأن الهجوم البحرى موجه أساسا الى مواقع (أبى قير) بينما انطلقت السفن صوب (بورسعيد) ليلا •

وهكذا غادر الاسطول البريطانى ميناء الاسكندرية متوجهـا الى (أبى قير) كما أذيع ولينرك السير (جارنت ولسلى) البرقية السرية التالية الى اركان حربه (السير هاملى) :

الاسكندرية فى ١٨/٨/١٨٨٢ ٠

عزيزى هاملى :

لست ازمع النزول فى (أبى قير) فالاسماعيلية هى وجهتى الحقيقية ، وانى آمل ان اصلها فى نحو الساعة الرابعة مساء يوم الاحد القادم ، ومع ذلك فسنقوم بمظاهرتنا فى (أبى قير) غـداً أرجو أن يكون لها الاثر المطلوب فى عرابى وصديقه (دلسبس) وهناك سفينة جنحت بالقرب من بحيرة التمساح واذا كان هذا عن عمد فقد يؤخر بعض الشىء مرورى داخل القناة ٠

عندما تقرأ هذا ، احتفظ بمـا جاء فيه لنفسـك ، ولا تخطر به أحدا ٠ أقتصر على اظهار أكبر عـدد من جنودك أمام جبهـة (عرابى) وفتح أقصى نيران ممكنة عليه من مدافع أى موقع يمكن منه وصـول القنابل الى مواقعـه ، لن أبرق الى انجلترا بأنباء تحركاتى الزمنية حتى أصل بنفسى الى (بورسعيد) التى أرجو أن اصلها قبل بزوغ فجر الاحد ٠

سأستدعيك بأسرع ما استطيع لانى ساكون في حاجة الى كل جنـدى فى قتالى قرب (التل الكبير) اذا ترفق (عرابى) وبقى لمقابلتى بها ٠

الى اللقـــاء ٠٠٠

امضـــاء

المخلص

جارنت ولسلى

احتـــلال (نفيشة) (١) :

فى ٢٣ أغسطس ألتحم المصريون والانجليز لأول مـــرة في الميدان الشرقى قرب « نفيشة » وبعد قتال شـــديد ارتدت القوة المصرية عنها فاحتلها الانجليز ٠

معركة (المجفر) :

وتقدمت القوات البريطانية للاستيلاء على منطقة (المجفـــر) للاستيلاء على السد المقام على ترعة الاســـماعيلية ومـــع القوات المصرية من أقامة سدود جديدة عليهـــا (٢) ٠٠وقد تألفت القوة البريطانية من كتيبتى مشاة وآلاى من الفرسان مدعمة ببعض قطع المدفعية (١٣ رطل خيالة) بالاضافة الى بعض العناصر المشـــاة الراكبة وكتيبة من مشاة الاسطول ٠

القوات البريطانية تصطدم بطلائع القوات المصرية :

وقد تقدمت القـــوات البريطانية تحت قيادة الجنـــرال (جراهام) للاستيلاء على السد المقام على ترعة الاســـماعيلية بين (المجفر) و (تل المسخوطة) وذلك فى فجر يوم ٢٤ أغســـطس ١٨٨٢ متخذه من السكة الحديد محورا لتقدمها حيث اصـــطدمت

---

(١) تعتبر (نفيشة) اول محطة غربى (الاسماعيلية) حيث تبعد عنها نحو ٣ كم ـ كما تتفرع عنها ترعة الاسماعيلية الى فرعين : يتجه احدهمـــا الى السويس ويمر الآخر فى خط الانابيب الى بورسعيد وكانت بتلك البـــلدة اول معسكر مصرى تحتله قوة من المشاة تقدر بنحو ٢٠٠٠ جندى ولذلك بدات السفن البريطانية بقصفها بمدفعيتها منذ وصولها الى الاسماعيلية ٠

(٢) علم الجنرال (ولسلى) ـ بعد ان استولى على الاسماعيلية ونفيشة بان مصدر المياة الذى يمد المدينة بالمياه العذبة والذى تعتمد عليه القـــوات البريطانية جـــارى قطعة بواســـطة القوات المصرية بين بلدتى (المجفر وتل المسخوطة) وان القوات المصرية قد اقامت سدا هناك لتحول دون وصول الميـــاه الى الاسماعيلية ٠

بطلائع القوات المصرية على بعد سبعة اميال من (نفيشــــة) ٠٠ ولكنها تمكنت ـ بعد قتال ضار ـ من التغلب عليها ودفعها للوراء ولاستيلاء على السد الذى يعترض مجرى الترعه ٠

الدفاعات المصرية توقف تقدم الانجليز :

ثم اندفعت الفرسان البريطانية بعد ذلك لمطاردة القـــوات المصرية بهدف القضاء عليها ، ولكنها ما لبثت ان توقفت عن التقدم ازاء النيران الشديدة التى قابلتها بها القوات المصرية المتركزة فى دفاعات (تل المسخوطة) ـ الأمر الذى لم يمكن الانجليز من احراز تقدم يذكر مما اضـــطرهم الى تعزيز مواقعهم المكتسبة فى انتظـار وصول امدادات جديدة من الاسماعيلية ٠

القوات البريطانية تصاب بخسائر جسيمة :

ولقد ادى هذا الوضع الى بقاء القوات البريطانية وقتا طويلا فى مواجهة القوات المصرية الأمر الذى عرضها لنيران مدفعيتهــا والهجمات المضادة المتعددة بواسطة قوات الفرســـان المصرية مما سبب للقوات البريطانية الكثير من الخسائر ٠

معركة (تل المسخوطة) :

بدأت الفرقة الأولى البريطانية تقدمها غربا من الاســماعيلية يوم ٢٤ أغسطس ، فوصلت أرض المعركة يوم ٢٥ حيث أخذت فى تعزيز المواقع البريطانية الأمر الذى قلب ميزان القوى لصـــالح البريطانيين ٠ وهنا قرر الجنرال (ولسلى) سرعة القيام بمهاجمة المواقع المصرية فى (تل المسخوطة) للاستيلاء عليها وعلى السدود الجديدة التى أخذ المصريون يحاولون أقامتها لسد ترعة الاسماعلية

القائد البريطانى يقرر القيام بالالتفاف :

ولما كانت المواقـع المصرية الدفاعية فى هذه الجهـة منيعة : فقد قرر الجنرال (ولسلى) الامتناع عن مهاجمتها بالمواجهـة حتى يتجنب الخسائر التى قد يتعرض لها ، كذلك كانت تلك المواقع

تستند على ترعة الاسماعيلية من جانبها الايمن لذلك اصبح الجانب الايسر أكثر ملاءمة لعملية التطويق المطلوبة ٠

الخطة البريطانية :

وتبعا لذلك فقد وضعت الخطة البريطانية على أســاس قيام اللواء الثاني بتثبيت القوات المصرية فيما بين السكه الحديد وترعة الاسماعيلية فى الوقت الذى يقوم فيه لواء الحرس بحركة التفاف على الجانب الايسر بغرض طى الموقع تجاه السكه الحديد والترعه لاجبار القوات المصرية على الانسحاب مع دفع لواء الفرسان ـ بعد نجاح المشاة ـ للقيام بحركة التفاف واسعة النطاق نحو مؤخـرة القوات المصرية لقطع خط انسحابها والاستيلاء على قطارات السكة الحديد بالنطقة ٠

المعــركة :

بدأت القوات البريطانية تقدمها فى مساء يوم ٢٥ أغسطس للاحداق بالمواقع المصرية حسب الخطة الموضوعة فقوبلت بمقاومة شديدة الا أنها تمكنت من الاستمرار فى التقدم تحت ستر نيران المدفعية وبذلك تم لها طى الموقع قبل غروب يوم٢٥٠٠ حيث انسحبت القوات المصرية للخلف بينما قام لواء الفرسان بقيادة (دوروري لو) بالتفاف واسع نحو (المحسمة) ٠

اسر رئيس أركان الجيش المصرى :

وقد كان الجيش المصرى خــلال تلك المعركة تحت قيــادة الفريق (راشد باشا حسني) بينما كان التفوق العددى واضــحا فى الجانب البريطانى ٠٠ وخــلال القتال وقع المهندس (محمود باشا فهمى) رئيس أركان حرب الجيش المصرى وأكفأ ضباطه ـ فى الاسر وذلك نتيجة لعدم اتخاذ احتياطات الحراســة اللازمة بالنسبة له ٠٠ وقد كان أسره أكبر ضربة أصابت الجيش العرابى المصرى آنذاك ٠

استيلاء الانجليز على (المحسمة والقصاصين) :

تمكن لواء الفرسان البريطانى من احتلال (المحسمة) مساء يوم ٢٥ أغسطس حيث غنم فيها ٧ مدافـــع (كروب) وكمية من البنادق وقطارا محملا بالذخيرة .

ولقد أثر أستيلاء القوات البريطانية على (المحسمه) تأثيرا مباشرا على الموقف بعد ذلك ـ باعتبارها كانت تمثل مفتاح الوصول الى معسكر العرابيين فى (التل الكبير) .

كما قام الجنرال (ولسلى) بدفع لواء الفرســان تجاه بلدة (القصاصين) فتمكن من احتلالها يوم ٢٦ أغسـطس .. وبذلك اصبحت القوات البريطانية على مسافة ١٥ كيلو مترا من (التـل الكبير) .

معركة القصاصين الأولى :

موقف القوات المصرية :

عندما علم (عرابى) باحتلال (القصاصين) بادر بالانتقال الى الميدان الشرقى حيث سافر من (كفر الدوار) وأخذ يتشــاور مع قادته فى الموقف وقرروا أتخاذ خطة للهجوم في الحال .. وأخذت الامـــدادات المصرية تتوالى على الجبهـــة الشرقية ، فوصـــل الآلاى الاول المشاة من القاهرة ، كما وصل آلاى مشاة ووحدات فرسان من (كفر الدوار) بينما وصــــلت من (دمياط) كتيبتـــان من السودانيين وبذلك بلغ مجموع قوة الميدان الشرقى ١٣ ألفـــا من الجنود النظاميين (بالاضافة الى عدد كبير من المتطوعين والعمال) الذين اتخذوا أوضاعهم الدفاعية فى (التل الكبير) .

موقف البريطانيين .

كان موقف القـــوات البريطانية بعـــد اســـتيلائها عـــلى (القصاصين) حرجا تماما مما جعلها عاجزة عن مواصــــلة التقدم غربا لسوء موقفها الادارى فقد أندفعت القوات غربا لمســــافات

بعيدة دون اعتبار للناحية الادارية الامر الذى جعل آمر اعاشتها (بعد الوصول الى القصاصين) آمرا صعبا نظرا لعدم توفر وسائل النقل الكافية لأعاشة مثل هذه القوة الكبيرة التى أصبحت على مسافة تزيد عن الثلاثين كيلوا مترا من قاعدتها الاصلية فى (الاسماعيلية) ..

وكان من نتيجة ذلك أن اضطر القائد الى أعاشة قواته بواسطة تعيينات (أطعمة) الطوارىء لمدة ثلاثة أيام لتوفير العربات لنقل الذخيرة الى المواقع الامامية فى (القصاصين) و (المحسمة) وبذلك أصبحت القوات البريطانية عاجزة عن التقدم غربا أو التجمع فى (القصاصين) لمواجهة أى هجوم تقوم به القوات المصرية التى أنسحبت الى مواقع (التل الكبير) وبذلك قطعت اتصالها بالقوات البريطانية .

وهنا رأى القائد البريطانى أحتلال مواقع دفاعية فى الأمام لصد أى هجوم ينتظر أن تشنة القوات المصرية ، وعلى ذلك احتل اللواء الثانى موقعا دفاعيا فى (القصاصين) مواجها الغرب والشمال ، ويستند جانبه الايسر على ترعة الاسماعيلية ، بينما يمتد جانبه الايمن حتى سلسلة الكثبان الرملية التى تقع شمال (القصاصين) مباشرة وأخذت القوات البريطانية فى تقوية دفاعاتها باقامة الاستحكامات المتعددة للتحكم فى طرق الوصول الموقع .

« عرابى » يقرر القيام بهجوم عاجل :

عقب توقف القوات البريطانية عن مواصلة التقدم ، انتقلت المبادأة الى المصريين فقرر « عرابى » بناء عليه ـ القيام بهجوم عاجل على المواقع البريطانية فى (القصاصين) لطردهم منها قبل أن تصل اليهم امدادات جديدة ويستعيد الجنرال (ولسلى) قدرته على التقدم الى (التل الكبير) .

خطة الهجوم المصرية :

وقد كانت خطة الهجوم المصرية تتلخص فى تشكيل القوات فى هيئة نصف دائرة تحيط بالعدو من كل جهة ـ فوضعت فى أقصى الجناح الايمن كتيبة مشاة وأورطة فرسان ومدفعين ـ يلى ذلك الى اليسار الآلاى الأول المشاة ومدفعين ‥ وفى الوسط ثلاث كتائب من المشاة وستة مدافع .

وفى الجناح الايسر وضعت ست أورط من الفرسان وأورطتان من المشاة ومدفعين .

وكانت الخطة تقضى بأن تقوم قوات المتطوعين المعسكرة فى الصالحية بالانضمام الى الجنب الايسر للهجوم ويقوم الجميع بتطويق ميمنة العدو ليطوى الجناح الايمن المصرى ميسرة العدو عبر ترعة الاسماعيلية (الترعةالحلوة) وتقوم قوات الغرب بقطع خط الرجعة بعد اقتحام الترعة من الخلف بينما يضغط الوسط لاسر أو أبادة العدو .

القتـــال :

كانت الخطة محكمة وفى الوقت ذاته نفذت بدقة ، فبدأت القوات المصرية تقدمها صباحا يوم ٢٨ أغسطس من (التل الكبير) شمال وجنوب السكة الحديد ‥ وتمكنت بعض عناصر الفرسان الانجليزية التى تعمل أمام الموقع البريطانى فى القصاصين من اكتشاف التقدم ، الأمر الذى جعل الجنرال (جراهام) يطلب المساعدة من لواء الفرسان بالمحسمة .

تحت ستر نيران المدفعية :

تابعت القوات المصرية تقدمها شرقا الى أن صارت على مقربة من (القصاصين) فتوقفت عن التقدم وبدأ حرس المقدمه المصرى حوالى الساعة الحادية عشرة فى مهاجمة الموقع البريطانى بين ترعة الاسماعيلية والسكة الحديد تحت ستر نيران المدفعية

المصرية لأجبار الانجليز على الأنسحاب ٠٠ ولكن جميع محاولاته باءت بالفشل ٠٠ وحوالى الساعة الثالثة بعد الظهر بدأت طلائع الفرسان بقيادة (دورورى لو) فى الوصول الى أرض المعركة لمعاونة حامية القصاصين فأضطر حرس المقدمة للانسحاب غربا ٠٠ وعاد لواء الفرسان الى (المحسمة) ٠

القوات المصرية تستأنف القتال :

استأنفت القوات المصرية العمليات الهجومية ثانية فى الساعة الرابعة والنصف مساء ٠٠ فقامت القوة الرئيسية بهجوم قوى على الموقع البريطانى تحت ستار من نيران المدفعية بالتشكيل السابق إيضاحه لطى الموقع تجاه ترعة الاسماعيلية ٠٠ فثبتت القوات البريطانية أمام الهجوم المصرى فى بادىء الامر ، ولما اخذ الضغط يشتد عليها ، اضطر (جراهام) لطلب المساعدة السريعة من لواء الفرسان الذى كان فى طريقه الى (المحسمة) ٠٠ غير ان امدادات مصرية وصلت أرض المعركة ، الامر الذى غير الموقف فجاة لصالح المصريين الذين بدأت فرسانهم فى طى مواقع الانجليز مما اضطر القائد البريطانى الى فتح قواته الاحتياطية لمواجهة عملية الالتفاف الجديد ٠

نفاذ الذخيرة لدى الجانب البريطانى :

وقد أخذ موقف القوات البريطانية يسوء قرب المساء نظرا لتوقف المدافع البريطانية عن الضرب لنفاذ الذخيرة وفشل المحاولات المتعددة لأمدادها بها ٠٠٠ لعدم صلاحية الأرض جنوب ترعة الاسماعيلية فى تلك المنطقة لسير وسائل النقل ٠

لواء الفرسان يغير الموقف لصالح الأنجليز :

حاولت القوات المصرية ، بعد ان توقفت حركة الالتفاف أن تنفذ بين القوات البريطانية وبين السكة الحديدية وترعة الاسماعيلية لدفع الانجليز للخلف ٠٠ وفى الوقت نفسه ٠٠ حاول الفرسان البريطانيون القيام بهجمات مضادة عاجلة غير أن وصول

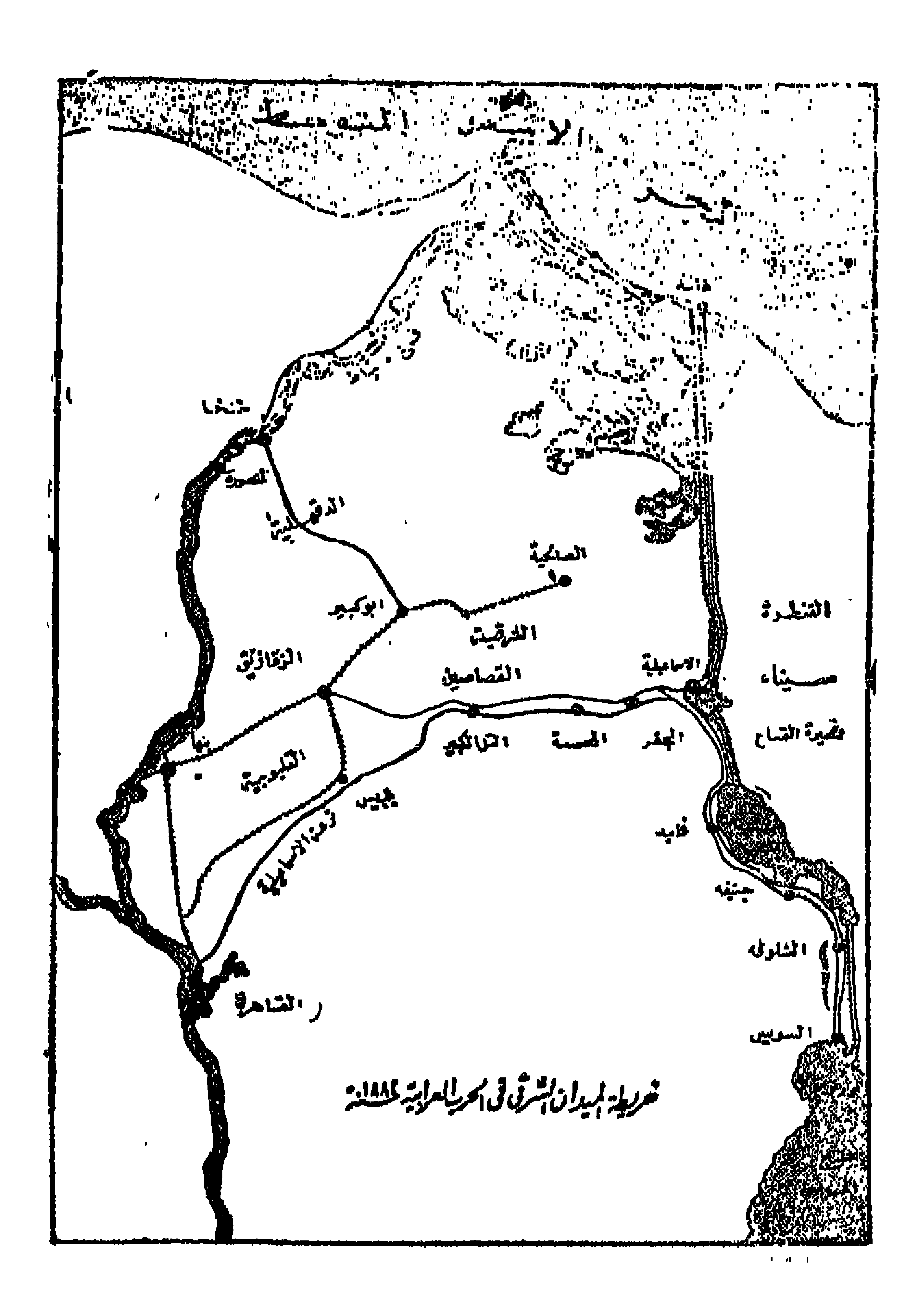
لواء الفرسان الذى حضر من (المحسمة) أدى الى تغيير واضح في دفة المعركة بعد أن فقد بعض وحداته في تعزيز المواقع البريطانية لايقاف تقدم القوات المصرية وبذلك نجحت القوات البريطانية بعد خسائر كبيرة — في ايقاف الهجوم المصرى الذى بدأت حدته تقل تدريجيا .

وفى الساعة السادسة مساء رأى الجنرال (جراهام) أن الوقت قد حان للقيام بهجوم مضاد قوى فكلف لواء الفرسان بالاستعداد للتقدم على جنب القوات المصرية الأيسر والضغط عليها لأجبارها على الأنسحاب .

بدأ لواء الفرسان تقدمة قبل آخر ضوء مباشرة وتمكن من الضغط على القوات المصرية التى أخذت تتراجع للخلف ألا أن عناصرها التى سبق لها أن أحرزت نجاحا كبيراً بجوار ترعة الاسماعيلية أستمرت فى هجومها الى أن قامت بعض وحدات اللواء الثانى البريطانى بالهجوم المضاد عليها ، وطردتها من مواقعها .

خسائر القوات البريطانية والمصرية :

وهكذا أنتهت معركة القصاصين الاولى ، وانسحبت القوات المصرية الى (التل الكبير) بعد أن كبدت القوات البريطانية خسائر جسيمة وكادت تجبرها على الانسحاب ، لولا تدخل لواء الفرسان البريطانى فى المعركة الامر الذى غير من ميزان القوى ورجح كفة القوات البريطانية ولقد خسرت القوات البريطانية فى هذه المعركة ٨قتلى منهم ضابط وجرح ٦١ منهم ١٠ ضابط أما المصريون فأستشهد منهم ٦٠ وجرح ٨٥ بين جندى وضابط .



خريطة الميدان الشرقي في الحرب العرابية سنة ١٨٨٢

معركة القصاصين الثانية

الموقف العام :

اتضح للجنرال (ولسلى) ـ بعد معركة القصاصين الاولى ـ ضعف قواته امام أى هجوم تقوم به القوات المصرية فى المستقبل ، لذلك عمل على دفع بعض القـوات للامام ، فتقـدم اللـواء الثالـث الى القصاصين وبذلك اكتمل شمل الفرقة الاولى البريطـانية بأجمعها هناك وبات الموقع على استعداد لصد أى هجوم •

وفى ذات الوقت أخذ القائد البريطانى فى معالجة الموقف الادارى والتغلب على المشكلات التى تحول دون وصول الاحتياجات الادارية الى قواته المقدمة أو مساعدتها على متابعه التقدم تجاه المواقـع المصريه بالتل الكبير •• وكانت المشكلـة القائمـه والتى تحتاج الى علاج سريع تتمثل فى عدم توفر وسائل النقل الا أنه وصلت بعض القوارب النهرية وأمكن استخدامها فى ترعة الاسماعيلية نقل الاحتياجات الادارية للاعداء بكميات كبيرة ادت الى تغطية مطالـب القوات البريطانية •

وفى يوم ٣ سبتمبر وصلت جميع عناصر القوه الهندية الى الاسماعيلية واصبحت فى موقف يسمح لها باستئناف التقدم نحو (القصاصين بهدف الاشتراك فى المعركة الاساسية التى أخذ الجنرال (ولسلى) يعـد لها العـدة •

الخديو توفيق يبذر بذور الخيانة فى صفوف الجيش :

وهنا بدأت الخيانه تلعب دورا كبيرا لتمهيد الارض أمـام القوات البريطانية لاحتلال مصر •• فكان أول ما قامت به بريطانيا هـو حمل تركيا على اعلان عصيان (احمد عرابى) وخروجه عن الطاعة لقاء ارسال قوة تركية رمزية قدرها ٣٠٠٠ جندى الى (بورسعيد)

وقد ابتهج الخديو الخائن (محمد توفيق) بهذا الاعلان وأوعز الى بطانته من الخونة بنشرة فى ربوع البلاد وحث الشعب على مناصرة البريطانيين ، كما اذاع ذلك على الضباط المصريين وخاصة على أولئك الذين كانوا ينتمون الى أصول شركسية أو تركية بغية ايقاد نار الفتنة بين صفوف القوات المصرية ومنذ ذلك الوقت بدأ بعض قادة الجيش المصرى يتظاهرون لعرابى بالطاعة بينما هم يضمرون له كل حقد وضغينة ويتربصون به للقضاء عليه حالما تسنح لهم الفرصة ٠

« عرابى » يدعو مجلس الحرب :

يكتب الزعيم « أحمد عرابى » فى مذكراته ٠ (١)

فى ٢٤ شوال سنة ١٢٦٩ هـ الموافق ٨ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م ، عقد مجلس تحت رئاستنا حضره راشد باشا حسنى قومندان الخط الشرقى وعلى باشا فهمى وجميع أمراء الآلايات الموجودين بمركز التل الكبير ، ومحمود باشا سامى قومندان مركز الصالحيه وتقرر فيه الهجوم على الاعداء بمركز القصاصين حيث اتخذ معسكرا للانجليز حشدوا اليه جميع قواهم الحربية ، فكانوا يزيدون عن ٣٠ ألفا ، وفيهم الدوق «أوف كنوت » ثالث أنجال الملكة فيكتوريا ٠

وقد تقرر أيضا أن يكون خط الجيش المصرى على شكل (مقعر) - أى على هيئة نصف دائرة تحيط بالعدو ويكون محمد أفندى الرملاوى بأورطته فى الجانب الايمن للترعة الحلوة ومعه أورطة سوارى (فرسان) ومدفعان وعدد من العربان ، وفى الجانب الأيسر للترعة المذكورة برنجى آلاى بيادة (مشاة) حكمدارية (بقيادة) أحمد بك فرج وخلفه ٦ مدافع ٠ وفى القلب آلاى عيد بك محمد يتقدمه بطاريتان « كروب » ١٢ مدفع وخلفه

---

(١) مذكرات عرابى : كشف الستار عن سر الاسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية .

بطارية ٦ مدافع تحت قومنـــدانية (قيادة) على باشـــا فهمى والطوبجية (المدفعية) تحت حكمدارية حسن بك رأفت ..

وفى الجناح الأيسر على بك يوسف بالايه وخضر ومعــه أورطتان من السوداب وبطاريه من ٦ مدافع وسته أورط (كتائب) من السواری (الفرسان) تحت حكمداريه احمد بك عبد الغفـــار وقومندان (قائد) الجيش راشد باشا حسنى ٠ وأن يقوم قومندان مركز الصالحية محمود باشا سامى بجيشه المركب من الاســلحة الثلاثة وقدره ١٢ ألفا ليلا بحيث يصل الخط المعين للقتـــال (خط التشكيل) عند مطلع الفجر ، ويقف والقوة التى على يمين التــرعة تحيط بميسرته والعرب يقتحمون الترعة من خلفه ويقطع عليه خط الرجعة ٠

وعمل بهذا الترتيب رسم (خريطة) بطرف أركان حـــرب الجيش واعطى لكل امير من القواد نسخة يعمل على موجبها ٠

ثم يصف الزعيم « أحمد عرابى » سير القتال فيكتب :

وفى الثلث الأخير من الليل من مساء يوم الجمعه الموافق ٢٥ شوال و٦ سبتمبر ، قام الجيش على هذا الترتيب ، فلما وصـــل قريبا من العدو أخذ كل محله على خط النار ولكن العدو كان عالما بما قر الرأى عليه ، فبادر جيشنا باطلاق النار واشتبك القتال بين الجيشين ، وأما جيش مركز الصالحيه فأنه تاخر عن الميعادالمذكور والمحدد له ، ولما قرب من الجيش كان العدو متهيئا لقتاله فوجه اليه بطارية مدافع وأطلق عليه مقذوفاتها قبل أن يصل الى محله فتشتت الجيش المذكور وولى الادبار ، فمنهم من عاد الى الصــالحية ومنهم من حضر الى مركز رأس الوادى ، وأما « راشد باشـــا حسنى » و « على باشافهمى » ومن معهما ، فقد ثبتوا ثبات الأبطال الى آخـــر النهار ، وقد جرح « راشد باشا حسنى » فى قدمه برصاصـــة و « على باشا فهمى » برصاصة أيضا فى ساقه وخسر كل من الجيشين خسارة كبيرة من ضرب البنادق والمــــدافع التى كانت مقذوفاتها كالمطر تنصب فى الميدان ، وكانت هذه الواقعة أشد حرب انتشبت

بيننا وبين الأنجليز اذ كانت قوة الجيشين عظيمة وثباتهم نادر المثال .

ولما وصل الجيش أرسلنا الجرحى فى قطر مخصوص الى العباسيه بمصر لمعالجتهم ومعهم القائدان العظيمان راشد باشا حسنى وعلى باشا فهمى ، ثم طلبنا على باشا الروبى قومندان مريوط لينولى فيادة جيش راس الوادى ، فحضر فى عصر يوم الثلاثاء ١٢ سبتمبر وتوجه توا الى المقدمة فأمر بانتقال آلاى على بك يوسف وعبد القادر بك عبد الصمد من الجناح الايسر الذى كان مستحكما مائلا الى الوراء على شكل زاوية منفرجة ليحمى المعسكر من هجمات العدو ووضعهما على استقامة الخط المستحكم الممتد من الترعة الحلوة الى الجهة الشرقية وأمرهما باتخاذ دروة خفيفة من التراب فى أثناء الليل ، فعمل عبد القادر بك عبد الصمد خط استحكام خفيف بعساكره حيث كان فى نهاية الجناح الأيسر ، وأما على بك يوسف فأنه جمع عساكر آلاية فى هيئة القول (الطابور) ولم يجر عمل شىء يقيهم من مقذوفات العدو اذا هجم على الجيش .

وقد تقدم أحمد بك عبد الغفار وعبد الرحمن بك حسن بعساكر السوارى الى الامام على بعد ألفى متر ليمنعوا تقدم العدو وأذا أراد الهجوم على معسكرنا ، ولكن خاب الأمل فيهما فوامصيبتاه !! .

(خنفس) الخائن يسلم الخطة للعدو :

وقد قامت رئاسة القوات المصرية بعمل رسم لطريقة الهجوم وسلمت نسخة منه لكل قائد .. وفى الثلث الأخير من ليلة ٩/٨ سبتمبر ١٨٨٢ قام الجيش بالترتيب المذكور — بعد ان تقرر ان تلحق به قوات (الصالحية) عند مطلع الفجر للاحداق بميمنة العدو . . وهنا كانت المأساة . . . فقد كان العدو على علم تام بالخطة التى أطلعهم عليها الاميرالاى (على يوسف خنفس) . . فما كادت المدفعية المصرية تطلق قذيفتها الاولى حتى اشتبك الجيشان فى القتال . . وكانت قوات (الصالحية) قد تأخرت عن موعدها المحدد .. فلما اقتربت من مواقعها أطلقت عليها المدافع قبل أن تأخذ أماكنها

فتشتتت صفوفها ٠٠ أما القوة الرئيسية فقد بقيت ثابتة حتى أخر النهار وقد جرح أثناء القتال الفريق راشد باشا حسني واللواء (علي باشا فهمي) كما مني كل من الجيشين بخسائر جسيمة في الارواح والعتاد ٠ (١)

اليأس يستولى على (عرابى) :

كان من نتيجة المعركة ان ظهر الاضطراب على زعماء العرابيين وبدأ اليأس يتسرب الى قلوبهم وأدرك (عرابى) — بعد فوات الأوان — انه لو كان قد سد قناة السويس عند بدء القتال لما تمكن الانجليز التقدم فى داخل البلاد واحتلالها بهذه الطريقة ٠

وقد أخذ (عرابى) عقب المعركة يعالج الموقف فى كثير من التردد واليأس فاستدعى اللواء (على باشا الروبى) من القطاع الغربى (قطاع كفر الدوار) ليتولى قيادة قوات الميدان الشرقى فحضر يوم ١٢ سبتمبر وبدأ فى تفقد مواقع (التل الكبير) الذى بات واضحا تماما أنه — عقب معركة القصاصين — قد أصبح الهدف المنتظر للهجوم البريطانى ٠

---

(١) كانت هزيمة الجيش المصرى فى معركة (القصاصين الثانية) ضربة اليمه كشفت الموقف الحربى ودلت على تصدع الجبهة المصرية ويرى المؤرخون العسكريون ان اسباب الهزيمه الرئيسية كانت تتركز فى اهمال تنفيذ خطة الهجوم حيث لم تصل قوات الصالحية فى موعدها المحدد علاوة على تدهور الروح المعنوية للقوات المصرية بصفة عامة على اثر إعلان عصيان (عرابى) — كما يضيفون الى تلك الاسباب سببا رئيسيا جديرا بالذكر وهو الخيانة ، حيث تمكن البريطانيون — من طريق الرشوة — من معرفة خطة المعركة قبيل بدئها من الاميرالاى « على بك يوسف خنفس » وهو الامر الذى جعلهم يعدو ، العدة للاقاة القوات المصرية ، وبذلك تمكن الجانب البريطانى من احراز عنصر المفاجأة التامة على القوات العرابية التى فوجئت بمفاجأة مشينة قلبت موازين المعركة لغير صالحها تماما ونتج عنها انهيار الموقف العسكرى المصرى باجمعه .

معركة التل الكبير

شكل الدفاعات المصرية :

كانت خطوط الدفاع المصرية فى (التل الكبير) تمتـــد من السكة الحديد بطول ٦ كيلو مترات وتتجه من الجنوب الى الشمال حيث يلاصق جانبها الأيسر الأرض الصـــحراوية الممتدة ما بين (الصالحية) و (التل الكبير) ، وقد أنشئت تلك الخطوط بعمق فكان وراء الخطوط الامامية خطوطا أخرى تمتد الى معسكر « التل الكبير » الواقع تجاه السكة الحديد ٠

على أن الاســـتحكامات لم تكن قوية أو كافية وذلك بالنظر لاقامتها على عجل ، فعندما اتضح لعرابى أهمية الميدان الشرقى ، قام بتعزيز قوات التل الكبير حتى قاربت ٢٠ ألفـا من الرجال قبـل المعركة مباشرة ، الا أن غالبية هؤلاء الجنـود كانوا من المتطوعين الذين لم ينالوا أى قسط ذوقيمة من التدريب على القتال ، يدعمهم نحو ٧٠ مدفع ميدان من مختلف الأعيرة ومن الطرز القديمة وخلف الخطوط الدفاعية المصرية ، كانت تقع هضبة يبلغ ارتفاعها نحو ٣٠ مترا تقع شرقى محطة « التل الكبير » على الضفة اليسرى لترعة الاسماعيلية وتنحدر انحدارا بطيئا نحو الشرق والشمال ٠

وقد أتخذ « أحمد عرابى مقر رئاسته على مســـافة ٤ كيلو مترات من الخطوط الأمامية ، بينما عهد بالقيادة الميدانية الى اللواء « على باشا الروبى » الذى وصل الى ميدان القتال قبيل بدء المعركة بيوم واحد ، وهو بذاته الأمر الذى حرمه من الفرصة الكافيـــة للتعرف على أرض المعركة والقـــوات وتعديل الخطط الصـــالحة للدفاع ٠

الخطة البريطانية :

على الجانب الآخـــر ، أخذ الجنرال « ولسلى » يعد لتوجيـــه ضربته الأساسية ضد الدفاعات المصرية فى منطقة « التل الكبير

منذ أن ظهر له بوضوح تصدع الجبهة المصرية فى أعقاب معركة « القصاصين » الثانية ، وهكذا بدأ « ولسلى » منذ ذلك الوقت فى العمل على حشد قواته فى « القصاصين » استعدادا لتوجيه ضربته الرئيسية ، وما ان وصلت اليه القوات الهندية السابق الأشارة اليها حتى تحركت القوات البريطانية المحتشدة ما بين « القصاصين » و « الاسماعيلية » ، والتى بلغ مجموعها نحو ١٥ ألف جندى ، بعد أن تمكن القائد البريطانى من تذليل كافة مشكلاته الأدارية بصفة نهائية وأصبح الآن فى موقف يسمح له بتوجيه ضربته الحاسمة صوب المواقع المصرية فى « التل الكبير » .

وقد قرر القائد البريطانى « ولسلى » أن يتقدم بقواته ليلا لمهاجمة الدفاعات المصرية قبيل فجر يوم ١٣ سبتمبر على أساس تثبيت القوات المصرية فى جانبها الأيمن ، فى ذات الوقت الذى يقوم فيه بالإلتفاف على جانبها الأيسر ، مع القيام بدفع هذا الجانب للخلف فى اتجاه السكة الحديد بينما تقوم الفرسان البريطانية بحركة التفاف واسعة النطاق نحو مؤخرة القوات المصرية لقطع خط أنسحابها وأجبارها على التسليم .

بداية التقدم البريطانى :

أراح الجنرال « ولسلى » قواته يوم ١٢ سبتمبر لتبدأ تقدمها من « القصاصين » بعد غروب ذلك على النحو التالى :

- الموجة الأولى : اللواء الثانى فى اليمين بقيادة الجنرال « جراهام » .
- الموجة الثانية : لواء الحرس فى اليمين بقيادة دون أوف كنوت .
- اللواء الرابع فى اليسار بقيادة الجنرال « شبيرنهام » الذى تولى قيادته مؤخرا .
- المدفعية (٤٢) قطعة من مختلف الأعيرة فى الوسط بين لواء الحرس واللواء الرابع .

- لواء الفرسان بقيادة « دوروري لو » في الوسط خلف المدفعية مباشرة •

- القوة الهندية بقيادة « مكفرسون » بين ترعة الاسماعيلية والسكة الحديد •

شبح الخيانة :

وصلت القوات البريطانية الى مناطق تجمعها الأمامية على بعد ٤ أميال من « التل الكبير » حوالى الساعة العاشرة من مساء يوم ١٢ سبتمبر وأخذت فى الاستعداد للاقتراب من الدفاعات المصرية لمهاجمتها وكان الظلام حالكا •• وقد اطفئت أنوار القوات المتقدمة ، بينما كان فى مقدمة القوات ضباط الأسطول من ذوى الخبرة بالملاحة الفلكية ليلا ، ولو أن الخيانة بدأت تطل برأسها حين تعاون بعض ضباط الخديو وعربان من قبيلة (الهنادى) ممن أشتريت ذممهم - مع القوات البريطانية • فأرشدوهم الى مسالك الصحراء ودروبها والتى تؤدى الى مواقع قوات « أحمد عرابى » •

المصريون يفاجأون بالهجوم :

تحركت القوات البريطانية فى الساعة الثانية صباحا بالترتيب الذى اتينا على ذكره ، وعند الفجر كانت مقدمة الكتائب البريطانية على مسافة ١٥٠ ياردة من خطوط القوات المصرية التى فوجئت تماما بالهجوم البريطانى ، والذى بدأ على شكل نصف دائرة أحاطت بمعسكر العرابيين ، وقامت القوات المهاجمة بأقتحام الأستحكامات الأمامية بينما قام رماتهم بأطلاق القنابل والبنادق ، كما هجموا على خط الاستحكامات الثانى علاوة على قيام قوة أخرى منهم بتفتيش الخنادق والحفر والفتك بمن فيها من الحراس والجنود •

أما الفرسان ، فقد هاجموا ميسرة العرابيين فى اتجاه محطة « التل الكبير » وأحدقوا بهـا : ففوجىء المصريون فى اليمين وفى اليسار وإختل نظامهم وتفرق شملهم بينما ظل الايان من مشاة

الجيش المصرى والايان من السودانيين يكافحون ويقاتلون قتال الابطال حتى استشهد معظمهم .

الخسائر :

بلغت خسائر القوات المصرية خلال معركة « التل الكبير » نحو ٢٠٠٠ قتيل و ٤٠٠٠ جريح ، فى حين بلغت خسائر الانجليز ٥٧ قتيلا و ٤٠٢ جريحا .

ولعل من أهم أسباب هزيمة جيش عرابى فى معركة « التل الكبير » ، ذلك لانقسام الذى حدث فى صفوف الجيش ذاته بعد أن قام الخديو « توفيق » باصدار منشور « عصيان » عرابى ومن يقاتلون معه الأمر الذى جعل الجنود والقادة لا يشعرون فى واقع الأمر أنهم يضحون فى سبيل هدف وطنى مشروع ، أضف الى ذلك ما بذره ذلك المنشور من بذور الخيانة والنفاق بين صفوف الضباط والجنود والقادة على السواء ، كذلك خيانة الأميرالاى على بك خنفس وأطلاعه الانجليز على الخطوط الدفاعية المصرية ومواقع الأسلحة قبيل المعركة، كذلك لايمكننا أغفال عامل عسكرى هام يتمثل فى ضعف القوة العددية والنوعية للقوات المصرية اذا قورنت بالقوات البريطانية المتفوقة عددا وعدة والتى بلغ مجموعها خمسة عشر الف جندى ، فى حين لم يقاتل من المصريين ـ نتيجة لعوامل المفاجأة وغيرها ـ سوى الالآيات الأربعة سالفة الذكر (الايات السودانية والالآين المصريين والذين لم يزد مجموع قوتهم أكثر من ٣٠٠٠ جندى) .

خسائر القوات البريطانية فى معركة التل الكبير ـ ١٣/٩/١٨٨٢

السلاح	قتيل		جريح		مفقود	
	ضباط	جنود	ضباط	جنود	ضباط	جنود
الرئاسة			٢			
الهوزار			١			
المدفعية			٢	١٧		
الجرينادير جاردز		١	١	٩		
جولد ستريم جاردز			١	٧		
سكوتس جاردز				٤		
رويال هايلاندرز	٢	٧	٦	٣٩		٢
جوردون هايلاندرز		١٣	٣	٤٥		
هايلاندرز لايت انفانترى ...	٣	١٤	٥	١٧		
سكند رويال أيريش	١	١	٢	١٢		
يورك ولانكستر				٢٤		٣
فيرست رويال أيريش فوزيلرز		٢		٥٣		٢١
مشاة البحرية الخفيفة	٢	٣	١	٩		
مشاة الدوق آوف كورنول ...			١	٢٠		
كنجز رويال رايفلز كوبر ...				٩		
القوة الهنديه		١		٣		
سيفورث هايلاندرز		١				
قساوسة			١			
المجموع	٨	٤٨	٢٧	٣٥٥	—	٢٦

وأنه لمن المناسب الآن أن نستمع الى وصف الزعيم « أحمد عرابى » لأسباب ما أسماه « الخذلان » فى تلك المعركه الفاصلة التى حسمت الموقف بأسره لصالح القوات البريطانية ، يكتب : (١)

فى يوم الاربعاء الموافق ٢٥ شوال سنة ١٢٩٩ ، ١٨٨٢ ، كنت في صلاه الفجر اذ سمعت ضرب المدافع والبنادق بشدة ٠٠ فخرجت واذ بى أجد ضرب النار على طول خط الإستحكام ورأيت بطارية طوبجيه سوارى على مرتفع من الارض بعيدة عن الخيمه التى كنت فيها بنحو ٦٠٠ متر وهى نصب مقذوفاتها على مركزنا العمومى ٠٠ وكان مركزنا المذكور خلف الاستحكامات بأربعة آلاف متر ولم يكن هناك ألا الاهالى المتطوعين مع الشيخ محمد عبد الجواد وأخيه الشيخ أحمد عبد الجواد وجابر بك من بندربيا بمديرية بنى سويف وكانوا نحو ألفى نفر فدعوناهم للهجوم معنا على تلك البطارية فأمتنعوا ودهشوا ٠٠ فذكرناهم بحماية الدين والعرض والشرف والوطن ، فلم يجد كل ذلك نفعا لأن الرعب كان قد أخذ من قلوبهم كل مأخذ ، فتفرقوا فرارا فجاء ضابط من طرف على باشا الروبى القومندان الجديد يخبرنى بأتخاذ مركز آخر نظرت فوجدت الميدان مزدحما بالخيل والجمال والعساكر مشتتين مولين ظهورهم للعدو ، فذهبت الى القنطرة التى على الترعة هناك لامنع العساكر من الفرار وصرت أناديهم وأحرضهم على الرجوع والثبات والصبر على قتال العدو واذكرهم بالشرف الأسلامى والعرض والوطن ولم أترك كلمة من شأنها تنشيط الأجسام الميتة وبث الشجاعة فى قلب كل رعديد جبان ، فما كان من سميع ولا بصير ، بل ألقوا بأنفسهم فى الترعة وسبحوا الى البر الغربى ٠

فذهبت الى بلبيس لجمع المنهزمين هناك وأتخاذ مركز آخر لمنع العدو ومن الوصول الى القاهرة ، وكان معى أخى السيد صالح عرابى وخادمى محمد ابراهيم وجاويش بروجى يدعى عطية محمد

---

(١) نفس المصدر السابق

فقط ، وكانت مقذوفات الطوبجية السـواري (مدفعيـة الخيالة البريطانية) تتساقط علينا من كل صوب حتى تركنا حدود التـل الكبير •

فلما وصلت الى بلبيس ، وجدت « على باشا الروبى » سبقنى اليها ، فسـألنه عما دهاهم ، فلم يزد على قوله (أنه الخذلان) ، وكانت على اثرنا فرقة من خيالة العدو فهجموا علينا فأرخينا للخيل اعنتها حتى وصلنا محطة أنشاص فوجدنا هناك قطارا فركبنـاه وأسرعنا الى القاهرة ، لاتخاذ الوسائل اللازمة لحفظها من الأعـداء قبل وصولهم اليها •

دسائس الخديو « توفيق » :

ويرجع الزعيم « أحمد عرابى » أسـباب الهزيمة الى خيانة الخديو « توفيق » ويركز عليها بأعتبارها كانت العامل الرئيسى فى الهزيمة والخذلان ، ونحن نوافقه تماما فيما يذهب اليه وأن كانت هناك أيضا بعض الأسباب الفرعية ـ ومعظمها من الناحية العسكرية مما سنأتى عليه فى حينه •

يكتب الزعيم « أحمد عرابى » فى مذكراته :

وأسباب هذا الخذلان أنه فى خلال تلك الأيام كانت الرسائل تترى من قبل الخديو الى كبار الضباط بالوعد والوعيد ، معلنة لهم أن الجيش الانجليزى لم يحضر الى مصر الا بأمر السـلطان خدمة للخديو وتأييدا لسـلطته • وكانت تلك توزع بواسطة محمد باشـا سـلطان رئيس مجلس النواب ومن معه من الذين كانوا مع الأنجليز فى الأسـماعيلية بأمر الخديو وبواسـطة الجواسيس من المصريين كأحمد بك عبد الغفار والسـيد الفقى العضوين فى مجلس النواب عن مديرية المنوفية ، فأثروا على قلوب مثل على بك يوسـف وأحمد بك عبد الغفار قومندان السـوارى لشـدة ضغط أبن عمـه عليه وعبد الرحمن بك حسن وحسن بك رأفت قومندان الطوبجية وأستمر ذلك الى أن كانت ليلة الأربعاء ١٣ من سبتمبر سنة ١٨٨٢

فاشاع على بك يوسف أنة علم من الجوسيس أن الانجليز لايخرجون فى هذه الليلة من مراكزهم ولذلك لم يفعل ما أمره على باشا الروبى من عمل خط الاستحكام من الحجارة، وجمع عساكره في نقطة واحدة .

وكانت العساكر الأنجليزية قد سارت من أول الليل ، وفى مقدمتها بعض ضباط اركان حرب من المصريين الذين انحازوا الى الخديو مع الانجليز ، وأمامهم عربان الهنادى يرشدونهم الى الطريق ، وأستمروا سائرين الى ان بلغوا المقدمه فى اخر الليل . وكانت من السوارى تحت حكمداريه أحمد بك عبد الغفار وعبد الرحمن حسن : فبدل أن تنازل العدو القتال وتوقف سيره ، رجعت امامة كانها تقوده الى أن بلغوا محل آلاى على بك يوسف الذى كان خاليا من عساكر بلا مانع يمنعهم وأطلقوا النار على الاستحكامات من الخلف والأمام وأوقعوا بالجند على حين غفلة منهم اذ كانوا راقدين ، فدهشت العساكر وتولاها الذهول حيث ضرب النار من خلفهم وأمامهم ، فالقوا أسلحتهم وفروا طالبين النجاة لانفسهم ألا برنجى آلاى بيادة (اللواء الأول المشاة) حكمدارية احمد بك فرج ، وآلاى محمد بك عبيد ، وآلاى عبد القادر بك عبد الصمد فانهم ثبتوا في مراكزهم وقاتلوا أعداءهم حتى النهاية ، فأستشهد وجرح من جرح وصار الميدان ظلاما من دخان البارود وأختلط الجند المنهزم بالحيوانات المنتشرة فى تلك الصحراء الواسعة ، وأشتعلت النار بعربات السكة الحديدية التى بها الذخيرة الحربية وما جاورها من عربات المؤونة من جراء مقذوفات الطوبجية السوارى التى عمدت الى ضرب المركز العمومى (مركز القيادة) .

وهكذا تم استيلاء الأنجليز على مركز التل الكبير ومهماته وذخائره وبه كانت نهاية الحرب والخسارة العظيمة بسعى الخديو ومن معه من المصريين الذين انحازوا اليه ، وقد نشأوا عبيد الاستبداد واستمرأوا عيش الاستعباد ، وبمساعدة المنافقين من عمد وأعيان المنوفية وعرب الهنادى بالشرقية الذين كافأهم الخديو جميعا . والشيخ أحمد أبو سلطان وأخوته من عربان الهنادى القاطنين بالشرقيه خصوصا فأن الخديو أقطعهم ٥ آلاف فدان فى

رأس الوادى مكافأة لهم على خيانتهم للدين والوطن الذى نشـأوا في خيراته •

ولماعلم الخديو توفيق نبأ استيلاء الأنجليز على التل الكبير : وفد من كان في الاسـكندرية من الذوات والاجانب على الخديو يهنئونه بالفوز والنصر ، وصدحت الموسـيقى الخديوية بأنغام التبشير بالظفر ، وعزفت بالسلام الخديو أمام سراى الحقانيه ، فرفعت العسـاكر الانجليزية السلاح تعظيما وأجلالا ، وهتف الاوربيون بقولهم : « فليحى توفيق الاول » ، ثم ختم ذلك بالدعاء للخديو ، وملكة الأنجليز ، والجنرال « ولسـلى » الأيرلندى ، والدولة الأنجليزية. وتفرق القوم بعد ذلك •

نحنى رؤوسنا أجلالا لهؤلاء الرجال العظا م :

ولايسعنا ونحن نسجل للتاريخ الآن الا أن نحنى رؤوسـنا أجلالا وتقدير للاميرالاى « محمد بك عبيد » قائد القوة السودانية الصامدة والدى صـمد مع جنوده وظل يقاتل على راسـهم حتى استشهد واستشهد معه معظم جنوده ضاربا اعظم المثل فى الفداء والبسالة ، كما نحيى كذلك اليوزباشي (الفريق فيما بعد) حسن رضوان ــ قائد المدفعية خلال المعركه ــ والدى ظل مسـيطرا على نيران مدافعـه حتي أقتربت القـوات البريطانيـة المهاجمة من مواقعه ، فأصـلاها نيرانا حامية وكبدهم خسـائر فادحة حتى أصيب هو نفسه بجراح بالغة ، لقد أعجب الجنرال « ولسـلى » ببسـالة هذا الرجل فترك له سيفه أحتراما وتقديرا له كمقاتل كمـا أستبسـل كـذلك فـى الـدفاع الأميرالاى أحمـد بك فرج ». على رأس آلاياته ، كذا آلاى الأميرالاى « عبد القـادر بك عظيـم ». كمـا أستبسـل فى الـدفاع الأميـرالاى « أحمد بك عبد الصمد » • • • • • • • •

الجنرال بتلر : نظلم مصر وجيشها :

وعلى العكس مما أشاعه الأستعمار رد.حا طويلا.من الزمن كى يشنـوه صورة « عرابى » وثورته ، بل وصورة كل المصريين الذين

دافعوا عن وطنهم ، فأنني أستشهد في هذا المقام بأحد الجنرالات البريطانيين ممن حضروا واقعة « التل الكبير » وشهدوها بأنفسهم ، بعد أن قرر أن يقول كلمة حق ، على الرغم من الهزيمة التي نزلت بجيش أحمد عرابي ، وعلى الرغم من المفاجأة التي اصابته أيضا نتيجة لعوامل الخيانة وسوء التقدير الذي لانستطيع أنكاره ، فأننا هنا نشير الى أن تلك المعركة وقعت بين جيش بريطاني مدرب جيدا على فنون القتال والكر والفروله تاريخ مشهود في الحروب والنزال في طول أوروبا وعرضها وبين جيش مصرى غير معترف به من السلطة الحاكمة المتمثلة آنذاك في خديو مصر الخائن « محمد توفيق » الممالىء للأنجليز ، وبصرف النظر عن بقيه العوامل ، فينبغي الا ننسى أن هذا الجيش المصرى لم يكن مدربا بأيةحال على القتال ضد جيش أوروبى حديث جيد التدريب والتسليح ، حيث ظل هذا الجيش المصرى طوال قرون طويلة تحت قيادة أجنبية سواء كانت عثمانية أو غيرها منذ الفتح العثماني لمصر في عام ١٥١٧ ، ولم يقدر له قط ـ حتى قام « أحمد عرابى » بحركته الوطنية الخالدة ـ أن يقاد قيادة وطنية مخلصة تعمل على تحسين مستوياته العلمية والعسكرية والقتالية أو حتى التنظيمية ، ونحن نظلم مصر وجيشها ظلما كبيرا حينما نقارن ـ مجرد مقارنة ـ بين الجنرال « ولسلى » ـ القائد البريطاني العام ـ والذى تمرس على القتال ودرس فنون الحرب في أرقى المعاهد العسكرية ، وبين « على الروبى » القائد العام للقوات المصرية في التل الكبير والذى لم ينل حظا من التعليم العسكرى أو الفنون الحربية والذى دفع به الى قيادة المعركة يوم ١٢ سبتمبر فلم نتح له الفرصة قط ليدافع عن وطنه ٠

أن الجنرال السير « بالتر » ـ أحد قادة الجيش البريطاني عام ١٨٨٢ ـ يكتب عن واقعة التل الكبير ، فيقول ٠

كان الأجدى لنا أن نترك الجيش المصرى ونذهب الى رأسا الى القاهرة عن طريق قناة السويس فلما رجعت الحكومة البريطانية عن رأيها ، ونزل الجيش الى الاراضى المصرية من قناة السويس ، التقى الجيشان في التل الكبير : ولم يكن الجيش المصرى مستعدا

أو متوقعا القتال في هذه الليلة لأن جواسيس « عرابى » كان قد اشتراهم الأنجليز ، وأنفرد « محمد سـلطان باشـا » ولابسوا الطرابيش الذين معه وانحدروا من جهة القناة بعيدا عن سـاحة المعركة ، فلما فاجاناهم تنبهوا ولكن لم يهرب منهم أحد بل قبض كل منهم على سـلاحه وكلما أجتمع منهم عشرة ، كونوا جماعة وتقدموا الى ناحية القوات البريطانية يطلقون عليها النار ، وكان رميهم صـادقا وسديدا فكانت القنبلة تقع بين الضابط وبين فرقته فتفرقهم ·

يقول الجنرال « بتلر » :

ولى هنا كلمة ينبغى أن أقولها عن واقعة « التل الكبير » ، فأننا قمنـا بمفاجأة الجيش المصرى خلف متاريسه ، ولكنه تنبه بسرعة وحـارب الجنود بنية صـادقة وعزم ثابت ولم تعقه كل العوائق الكبرى التى وضعناها حوله ، فأننا لم نعطهم دقيقة واحدة لينظموا أنفسهم ، فكان هجومنا عليهم كالصـاعقة وقد كان قادة هذا الجيش من الفلاحين الذين لم يمارسـوا الحرب فى حياتهم ، وقد خانهم الذين أئتمنوهم ، ومع ذلك كان لايجتمع منهم ١٠ أو ٢٠ أو ٣٠ ألا ويثبتون خلف المتاريس أو المنحدرات والتلول وفوق سطح الرمال ·

« عرابى » : لاينبس انسان ببنت شفة ضدهم :

أما البطـل « أحمـد عرابى » ، فيكتب فى مذكراته الخطية معلقا على قول الجنرال « بتلر » بشأن القتال فى « التل الكبير » ·

ولا أبلغ من شـهادة القتـلى والجرحى الذين كانوا ملقين أمامهم وهم ثابتون فى شـجاعة فعلى العشرة آلاف جندى الذين قتلوا خلال هذه المعركة السـلام ، ولا ينبغى لمصرى أن ينبس ببنت شفة ضدهم · فيكفيهم مافعله وما قاله عنهم المسـتعمرون والماليون والمراقبـون وعبيد الأسـتعباد ، لقد ماتوا أشرف ميتة وستبكيهم مصر ولن تنسـاهم ·

ثمار الهزيمة :

لم تكد معركة « التل الكبير » تنته على هذا النحو المأساوى حتى أمر الجنرال « ولسلى » فرقة الفرسان بالزحف على القاهرة ، فتحركت من « بلبيس » يوم ١٤ سبتمبر لتصل العباسية دون مقاومة عصر اليوم ذاته ، حيث أصدر قائد الفرقة أمرا الى قائد حامية العباسية يأمره فيه بتجريد الجنود المصريين من أسلحتهم ٠

وفى ذات اليوم ، توجه « أحمد عرابى » و « طلبة باشا عصمت » الى ثكنات العباسية وسلما أنفسهما الى الجنرال البريطانى ، بينما سارت كتيبة من الفرسان ليلا الى القلعة فاحتلتها بعد أن تولى الخائن « يوسف خنفس » تسليمها بنفسه ٠٠ كما أحتلت القوات البريطانية أيضا معسكرات قصر النيل وقشلاقات عابدين وكان ذلك أيذانا بأحتلال العاصمة ٠

وفى صباح يوم الجمعة ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ ، دخل الجنرال « ولسلى » القاهرة بصحبه « محمد سلطان » ـ نائبا عن الخديو ـ حيث نزل فى سراى « عابدين » التى أمر الخديو بأعدادها له فى حين أخذت كتائب الأنجليز تتوافد على العاصمة ٠

وفى نفس ذلك اليوم الحزين ، أرسل الجنرال البريطانى « ولسلى » برقية مقتضبه الى وزارة الحرب البريطانية فى لندن قال فيها :

« أنتهت الحرب ٠٠ لا ترسلوا أمدادات جديدة الى مصر ! »

جون نينيه السويسرى يقدم شهادته التى اقسم عليها :

وأنه من الأمور المثيرة للدهشة حقاً ٠٠ أنه فى الوقت الذى وجدنا فيه العديد من الكتاب المصريين يشوهون صورة الزعيم احمد عرابى ، ويقذفونه بالأوحال ، ما بين قائل أنه « أحمق قصير النظر » وما بين متهم له بالنزق والطيش وما الى ذلك من الصفات التى لا يقبلها العقل ٠٠

في ذات الوقت نجد كلمات مضـيئة تعطي لهذا الزعيم المصرى بعض حقه من الأنصاف والموضوعية ·· ويثير الدهشه اكثر اننا نجدها قد سجلت بأيدي وأفلام كتاب وساسه ، شاهدوا وقائـع الثورة وعاشـوا أحداثها الأمـر الذى يستحيل معه أن نغفـل شهاداتهم وأقوالهم بأعتبـارهم شهود عيان محـايدين الى أقصى درجات الحياد والتجرد ·

من بين هؤلاء الأجانب الذين عاشوا أحداث الثورة العرابية في مصر وحضروا وقائعها وكان لهم دور يسمح لهم بالأطلاع على مجريات الامور مسيو « جون نينيه » ـ سويسرى الجنسية وعاصر أحداث الثورة ـ والذى يبدأ شهادته للتاريخ بعـد أن أقسـم عليها (١) ويقول فيها :

لى من العمر خمس وستون سنة ·· وأنا سويسرى الأصل عشـت في مصر ردحا طويلا وقفت فيه على أحوال الأمة وعاداتها وصار لى كثير من الأصدقاء الخصوصيين فيها ومنهم عـرابى بك الذى صار فيما بعد « عرابى باشا » ·

كنت مقيما بالاسكندرية قبل أن يقصفها الأسطول البريطانى وفي اليوم الذى ضربها فيه ، وفي صباح هذا اليوم رأيت عددا من القذائف تمر فوق بيتى وسقط بعضها على المنزل المجاور لمنزلى ، وثالث تلك القنابل التى مرت فوق بيتى قتلت أحد عشر شخصا وجوادين بالقرب من باب « محرم بك » وقـد أحـرقت قذائف الأسطول بيوتا ومبانى ودمرتها في جميع الجهات ، وفي صـباح اليوم التالى أستأنفت البوارج البريطانية الضرب ، فأجابها حصن أو حصنان ·· ورفع علم أبيض فوق الترسـانة · وأرسـل « طلبة باشا » الى الأميرال البريطانى ليسأله لماذا يعاود القصف على الرغم من أن الحصون المدافعة قد سكتت ·

---

(١) ونشرها المستر « الفريد بلنت » الاستكلندى الجنسية في كتـابه : « التاريخ السرى لاحتلال انجلترا لمصر » ـ الجزء الخامس ـ سلسلة أخترنا لك العدد (٧٦) ـ ص ٨٢٨

وكان جواب الأميرال « سيمور » لطلبة باشا ـ كما قرره هذا لآخرين في حضوري ـ بأنه لوحظ أن بعض الحصون أصلحت في أثناء الليل وأنه بسبب اطالة الدفاع في اليوم السابق (١١ يولية) قرر الأميرال أطلاق النيران على جميع الحصون بما فيهما حصن « كوم الدكة » وحصن « كوم الناضورة » ألا اذا سلمت له جميع الحصون والمعسكرات ٠

فأوضح له « طلبة باشا » أنه لم يخول اليه تسليم أى حصن أو معسكر دون موافقة وزارة الخديو ٠ وأنه من القسوة أن يقصف حصنا « كوم الناضورة » بعد أن قرر « عرابى » عدم استعمالهما وعدم الدفاع عنهما لوقوعهما داخل المدينة ولأن الدفاع عنهما بهذه الصورة من شأنه تدمير المدينة وقتل المدنيين ٠

وكان الجواب البريطانى ان البريطانيين لا يمكنهم أن يراعوا ذلك وأنه اذا لم تسلم جميع الحصون والمعسكرات لغاية الساعة الثالثة ، فسيعاودوا القصف ويعملوا على تدميرها ٠

وهنا أوضح « طلبة باشا » أنه لا يمكنه أن يتخابر مع الخديو ومجلسه بالرمل ويأتيه الجواب فى الوقت المناسب ٠ وذهب « طلبة باشا » ولكنه عاد ليسأل عما يفعله البريطانيون اذا لم يسلم الحصون والمعسكرات ولم يبق فيها جنود ليدافعوا عنها ٠ فكانت اجابة « سيمور » : « سنضربها جميعا وندمرها ألا اذا سلمت لغاية الساعة الثالثة ٠

وهكذا ذهب « طلبة باشا » الى الرمل وبقى العلم الأبيض يخفق فوق الترسانة لحين عودته ولم يكن يرى أى علم أبيض اخر ٠

وحدثت مهاجرة عامة من جانب الاهالى والجيش ٠ وفى الساعة الثامنة كنت فى ميدان القناصل وكان مكتظا بالجنود وبكثير من الضباط الممتازين وكانوا يسيرون فى اتجاه باب رشيد ، وكان « سليمان بك سامى » ـ وهو ضابط أعرفه ـ يقود الجنود الى باب رشيد بقصد أخلاء مدينة الأسكندرية لأنه أمر بتدمير جميع الحصون وضرب المعسكرات بالقنابل فى الساعة الثالثة ٠

وكان آلاف الأهالى اليائسين يغادرون المدينة حاملين أمتعتهم التى امكنهم نقلها بينما كانت جثث القتلى تنقل بعيدا ..

وفى الساعة الثالثة تقريبا رأيت « عرابى باشا » وكان يغادر المدينة مع الأورطتين ١ ، ٢ متجها الى القناة وأرشدنى للانضمام الى الأطباء والصليب الأحمر . وقبل أن اتمكن من الانضمام الى الصليب الأحمر ، سمعت دوى المدافع من البوارج البريطانية ليستمر القصف ساعة تقريبا ثم سرعان ماتوقف لأن الحصون المصرية لم تجب على هذا القصف .

كان « عرابى باشا » قد أمر قبل تحركه باغلاق باب المدينة لمنع البدو من دخولها او مغادرتها بأسلابهم ، كما أمر فرقتين من (الرديف) ـ الأحتياط ـ بالبقاء فى المدينة لحراسة الشوارع الرئيسية وحفظ الأمن والنظام .

قذائف الأسطول هى التى احرقت المدينة :

نتابع شهادة مسيو « جون نينيه » التى أقسم عليها ، والتى ينفى فيها تماما ما شاعه الأستعمار من قيام عرابى وجيشه باشعال النار فى الأسكندرية بعد ضربها ، يقول .

وكان « طلبه باشا » يتباحث بعد الظهر فى الرمل مع الخديو . بينما كنت طوال هذا الوقت فى قاعة الطعام الرئيسية الخاصة بالضباط بالقرب من باب رشيد ، وكان هناك كثير من الباشوات ومن بينهم « محمود سامى البارودى » و « محمود فهمى » ، وغادرت المدينة معهم ومع عدد من الاطباء والضباط عن طريق باب رشيد لكى نلحق بالجيش . ونمت الليلة فى بعض القصور بالضواحى . وبعد أن تركت المدينة قذفت الريح في أثناء الليل بدخان أزرق من المدينة وأتضح من ذلك أن النيران قد شبت فى أماكن كثيرة فيها .

ولم يكن في المدينة حرائق حين غادرناها كما لم يشعل الجنود النار فيها ، بل أنى أقرر أنهم بذلوا أكبر الجهود لمنع امتداد

الحرائق التى سببها قصف الأســطول البريطـانى ولمنع البدو وغيرهم من أعمال السلب والنهب • ويمكنتى أن اقول مؤكدا ان « عرابى باشــا » أو أى ضابط من الضباط الآخرين ماكان ليفكر بأن مدينة الأسكندرية قد تشعل فيها النيران بأيدى الأغراب أو غيرهم •• وأنا أعرف أن « عرابى باشا » وجميع الضباط الآخرين قد حزنوا ودهشوا اذ راوا المدينة تحتــرق بعــد أن تركوها وابدوا جميعا أملهم فى أن « ذو الفقار باشا » ـ محافظ الأســكندرية وصديق الخديو الحميم ، سيبذل كل جهد مســتطاع مع رجال المطافىء لأخماد تلك النيران وحفظ الأمن •

وفى فجر اليوم التالى مشينا مدة ثلاث ساعات على شــاطىء قناة المحموديه تــم ركبنــا لنشا بخاريا مــع « عرابى باشــا » متجهين الى كفــر الدوار ، ووقف بنا عند مكان يســمى « عزبه خورشيد » حيث عسكر قسم من الجيش وبينما كنا هناك مر قطار به عربات حديدية فى طريقه الى الاسكندريه وقال « عرابى باشا » أن هذا القطار طلب وأمر بأرســاله ليقــل الخديو وأسرته الى القاهرة •

وبعد أن ارتقبنا عودة القطار مدة ساعتين جاءت برقية تفيد بأن الخديو أبدل رأيه وأنه لن يغادر الاسكندرية •

وبينما كنا هناك •• أتت الأنباء بوقوع مذابح فى دمنهــور وطنطا فأرسل « عرابى باشا » فى الحال ثلاث فرق من الجنود مع أوامر صارمة لمديرى هاتين المحافظتين بأن يرسلوا جميع الأوربيين دون أجر الى الاسماعيلية وبور سعيد وبأن يعملوا بكل الجهــد لحمايتهم وأن من يخالف ذلك سيحكم عليه بالاعدام •

وفى تلك الانباء جاء نبأ يقول بأن « أحمد بك المنشاوى » أحد سراة طنطا خاطر بحياته وأنقذ خمســــمائة من الأوربيين والمسيحيين واليهود ، فأرسل « عرابى » خطابا خاصا اليه يشكره فيه لحماية أرواح الأجانب • وأصدر بعدئذ أمرا ضمن الاوامــر اليومية بوجوب معاملة الأجانب على جميع أجناسهم بالأنسانية فى

كل مكان وعلى السلطات المدنية والعسكرية واجب حمايتهم وأن من يقصر فى تنفيذ تلك الاوامر سيحكم عليه بالأعدام ٠

وكنت مع « عرابى باشا » حين تسلم خطـــاب الخديو الذى طلب منه فيه بأن يتوجه اليه فى الاسكندرية ، وهو الخطـــــاب الذى رد عليه « عرابى » على الخديو بأنه ــ أى عرابى ــ موجود فى كفر الدوار لينفذ أرادة مجلس النظار (الوزراء) الذى انعقـــــد بالاسكندرية والذى حضره الخديو و « درويش باشا » ، وأنه ــ أى عرابى ــ عازم على العمل وفق هذا الأمر وعلى تنفيذه بأمانة ٠

وكنت أيضا مع « عرابى » حين وصله خطاب الخديو الثانى والذى يفصله فيه من منصب وزير الحربية اعتبـــــارا من يوم ٥ رمضان ويعلن فيه عصيانه ٠

لقد أجتمع مجلس النظار عقب ذلك فى القاهرة ولم يحضره « عرابى » ولكن حضره أكثر من ستمائة فـــرد من الأعيـــان أتوا خصيصا لهذا الغرض من انحاء القطر ، وقرر المجلس أن (عرابى) لا يمكن أعتباره عاصيا ألا بأمر السلطان (فى الاســـــتانة) وأن خديو مصر ليست له مثل هذه السلطة ٠ كما قرر المجلس أيضـــا مواصلة الدفاع الوطنى وفقا لقرار مجلـــس النظار الذى أجتمـــع بالأسكندرية بحضور الخديو درويش باشا ، الذى عهد الى عرابى باشا بالدفاع عن البلاد ٠

وبعد عشرة أيام ــ ٢٠ رمضان ــ ٥ اغسطس ــ عقد مجلس آخر حين نقرر قطع القناه فى اربعه مواضع هى (رأس العش ــ القنطرة ــ سنبل ــ الشلوفه) ولكن عرابى ومحمود فهمى عارضا هذا القرار وحثا على عدم قطع القناة ألا اذا أتى الجيش البريطانى عملا عدائيا على هذه الجبهة ٠ وبعد أن تم أعداد كل شىء من الرجال والأجهزة بأمر المجلس استعدادا لقطع القنـــاة ، واذا ببرقية من دى ليسبس فى مساء ٢٢ أغسطس ــ وعلى ذلك سحب الديناميت بناء على أوامر عرابى وصار على العالم أن يحمد لعرابى باشا أنقاذه لقناة السويس ٠

وكان عرابى فى تلك الاثناء يعمل بكل الجهد لحماية الأوروبيين ومنحهم كل مساعدة وأمن ، وقد صرح قنصل فرنسا واليونان وغيرهم علنا بأنهم لايغادرون البلاد التى عاشوا فيها طويلا ماداموا لا يخشون شيئا بفضل رجل متنور كعرابى باشا •

واننى لا اتذكر جيدا أنه قيل ان برقيات كاذبة قد أرسلت بشركة التلغرافات الشرقية الى أوربا وأحدثت ضررا بالغا بمركز الثورة المصرية ، وكان قد أرسل ضابط مصرى الى مكتب هذة الشركة الأجنبية ليمنع أرسال مثل هذة البرقيات المشينة ،ولكن عرابى باشا وحده هو الذى رفض بشده أى تدخل قائلا أن طائفة التجار ستتهمه فى هذه الحالة بأنه يضر بمصالحها التجارية •

وكانت الخطوات التى اتخذها عرابى للدفاع عن البلاد فى الاسكندرية وكفر الدوار والتل الكبير وغيرها تتم بناء على امر مجلس النظار الذى عقد من قبل فى الأسكندرية تحت رئاسة الخديو نفسه وبحضور درويش باشا » وسواه من رسل السلطان وهذا الامر لم ينقضه « عرابى » قط • فأن « عرابيا » عندما اتخذ موقفه وأنشأ خط الدفاع عند كفر الدوار ، أنما كان يعمل وفق مشيئة مجلس النواب وكان الشعب المصرى يؤيده تماما ويتعاطف معه الى أقصى حد • وكان الأعيان والتجار ورجال السلطة المدنية والدينية يفدون من أنحاء البلاد الى كفر الدوار يوما بعد يوم وأسبوعا بعد اسبوع لتهنئة « عرابى » وشكره على وطنيته مفوضينه فى أمر الدفاع عن الوطن ،وكانوا كلهم يأخذون بعض الحصى من الارض ويرمون بها الخنادق دلالة رمزية على اشتراكهم فى الدفاع •

وقد رأيت الأعيان الذين زاروا المعسكر وشكروا « عرابى باشا » فى كفر الدوار فخرى باشا وأحمد نشأت مدير الدائرة وجميع أعضاء المحكمة الأهلية والقضاة الوطنيين ووكيل النائب العمومى بالمحاكم المختلفة وعثمان فوزى باشا ورءوف باشا وعرفى باشا ومبارك والعلماء ومفتى الآستانة وكثير من المقربين والممتازين وكثير من الرؤساء والأساتذة من الازهر وعدد من افراد أسرة

« رياض باشا » والدرملى باشا وحسن العقاد وكثير من العمد وأصحاب الاملاك وخصوصا أحمد بك المنشاوى الذى أشرت الية آنفا • وقد أكتتب الجميع بمبالغ كبيرة لتغطية نفقات حرب الدفاع ودفع البعض منهم مبالغ هائلة • وأعرف منهم قليلين دفع كل منهم عشرة آلاف جنيه •

وكانت أموال عرابى كلها ترسل الى القاهرة ولا يرد منها شيء الى المعسكر ، وانما يرد اليه مقادير من الغذاء والقمح والفاكهة ، وكان كبار الزوار يقبلون عرابى ويعانقونه •

عرابى : نريد مصر للمصريين :

يقول « جون نينيه » الذى لازلنا نتابع شهادته :

وقد قال مفتى القاهرة لاحمد عرابى :

ـ نحن ممثلى من خمسين الف من الأعيان ومشايخ البلاد وأصحاب الأملاك • • الخ نشكرك جميعا لأنك توليت بيدك أمر الأسلام والأمه وأنك فى الحقيقة أكبر وطنى فى وادى النيل •

فقال له « عرابى من ضمن رده :

ـ أننا لانريد شيئا سوى اقامة العدل الشامل وضمان حياتنا وأشخاصنا وأملاكنا وحقوقنا جميعا •

نريد برلمان مستقل ينتخب على أساس الحرية ووزارة مسئولة وخديو يملك ولا يحكم • نريد ادارة أقتصادية مصرية دون مراقبة سياسية ودون موظفون أجانب على رأس الوزارة ينالون مرتبات ضخمة •

نريد مصر للمصريين مع ضمان الحرية والسلامة لكل الأجانب على أرض مصر اذا خضعوا مثلنا للضرائب والرسوم •

اراد (عرابى) أن يجنب البلاد الدمار :

يقول مسيو جون نينة فى ختام شهادتة للتاريخ التى أوردها هنا بنصها أحقاقا للحق ..

أننى أعلن دون أدنى تردد أن عرابى لم ينقل قط السلب والمذابح الى أرض مصر . وأن الأمة المصرية وأعيانها هم الذين عهدوا اليه بالدفاع عن شرف البلاد ومصيرها ولم يكن عرابى السبب قط فى أن ينهب أو يذبح أى مصرى أو أجنبى . بل على النقيض من ذلك تماما فقد عمل الرجل كل ما فى وسعه ليحمى حياة وأملاك المصريين والأجانب على السواء ، وليعاقب جميع الذين خالفوا هذه التعليمات .

لقد لحقت بعرابى باشا فى اليوم التالى للهزيمة بجيشة فى التل الكبير ، وعقد أجتماع فى بيتة بالقاهرة يوم الخميس للبحث فى مسألة تسليم القاهرة دون دفاع حفاظا على أرواح المدنيين والمنشئات وعندما جاءتنا الأنباء بوصول الجيش البريطانى الى العباسية ، سألنى عرابى باشا وطلبه باشا عصمت رأيى ، فنصحتهما بأن يذهب الى القائد البريطانى وأن يسلما له نفسيهما باعتبارهما أسيرا حرب فيحميهما شرف انجلترا . وقد تركانى عرابى وركبا سويا الى العباسية .

الى هنا تنتهى مشهادة مسيو جون نينة للتاريخ ، وهى تلك الشهادة التى ذيلت بالجملة التالية :

أقسم على ذلك أمامنا فى قاعة بلدية وستمنستر بمقاطعة مدلسكس بأنجلترا مسيو جون نينة فى هذا اليوم العاشر من شهر نوفمبر سنة ١٨٨٢ م .

خاتمة :

لماذا سكتت مدافع أحمد عرابى ؟!

اختلفت آراء المؤرخين فى التوصل الى الأسباب التى آدت الى اخفاق الثورة العرابية والتى أنتهت تلك النهـــاية الدرامية بالانكسار فى التل الكبير ، وتسليم أحمد عرابى سيفه الى الجنرال ولسلى فى معسكرات العباسية يوم ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ كأسـير حرب ، بينما كانت فرقة فرسان الجنرال لو تشق طريقها ــ دون مقاومة تقريبا ــ من الميدان الشرقى لتحكم قبضها على القـاهرة وسائر أنحاء البلاد •

بداية • • فاننا نقرر أن أحداث هـذه الثـورة الشـعبية المسـلحة لتعد من أغرب أحداث الثورة الشعبية عبر العصور ، فللمرة الأولى رأينا رأس الدولة فى مصر ــ ونعنى به الخديـو توفيق ــ يوافق فى بادىالأمر على القرار الذى انتهى الية مجلس النظار برئاسته هو شـخصيا والذى قضى برفض أنذار الأميرال سيمور المتعجرف واعلان المقاومة المسلحة ضد الغزاة ، ثم لم يلبث بعد قليل أن أنخذ جانب المعتدين ثم يذهب الى مدى ابعد ، فيصدر مرسومـا فى أثنـاء اشتعـال القتـال بين جيش مصر والجيوش البريطانية ، يصم فيه قائد الثورة وجنود الجيش وكل من يحمل السلاح فى المعركة الناشبة بالعصيان والخيانة ••

وللمرة الأولى كذلك ، رأينـا رأس الدولة فى مصر ــ الخديو بعينه ــ يحتفل بانكسار الأمه التى نكبت برئاسته لهـا ، مرحبـا بجيش الأحتلال وقادتة ، وبريطانيا العظمى حامية الحريات فيوزع الأنواط والنياشين على قادة المذابحة الوحشية من الغزاة ولما تجف دماء هؤلاء الشـهداء الذين ماتوا خلف مدافعهم فى طوابى وحصون الأسكندرية •

وهكذا قدم الخديو الخائن ـ قبيل نشوب القتال وأثناء وبعده نموذجا فريدا لايتكرر لعدم الانتماء والخيانة والغدر ، ولم يكتف بذلك : بل نراه فى أصراره على تلطيخ أسمه بالعار والمهانة ، يكافىء الخونة من المصريين الذين شجعهم عن طريق أعوانة على خيانة وطنهم وقيمهم ، فى الوقت الذى أمر فيه بالقاء الذين حملوا السلاح دفاعا عن أرضهم فى غياهب السجون والمعتقلات .

وهكذا يمكننا أن نقرر ـ دون خشية من الوقوع فى خطا تاريخى ـ أن شخصية الخديو توفيق أنما مثلت الدعامة الرئيسية لخذلان الثورة العرابية التى كانت فى واقع الأمر تجسيداً حيا لارادة شعب مصر فى الحرية والحياة الكريمة ، هوا الشعب الذى لم يعرف فى تاريخة أية صورة للتشرذم أو الطائفية ، بل أننا نؤكد أن روح المقاومة وأستمرارها كانت ـ دون غيرها ـ أهم عوامل بقاء هذه الامة العظيمة وسر وجودها وصمودها ، فصانتها وحفظت أرض الكنانة من الذوبان مع جماعات الغزاة والوافدين والقراصنة على مر العصور .

أن روح الأنسان المصرى الحقيقية انما تبدو بجلاء فى أوقات الخطر والشدة . . هاهنا تتوحد أرادته وتنضم جبهاتة ويلتف حول الزعيم والعلم ليسطر ـ فى بسالة وصبر ـ ملحمة للفداء وليتذكر من يؤرخ للثورة العرابية دائما أن وجود هذا الخديو على رأس الدولة المصرية آنذاك ، انما كان بعينه العامل الحاسم فى احتلال بريطانيا لمصر ، فأن توفيق الخائن لم يكد يشعر بنذر العاصفة ، وبدلا من أن يقف بين شعبه وعسكره ليبعث فيهم العزم والحماس ، حتى رأيناه يسارع مذعورا بالانتقال من سراى رأس التين الى حيث يتواجد قائد جيش العدوان الأميرال سيمور الذى تلقاه بالترحاب ووضعه فى حماية البوارج البريطانية ، ولابد أنه كان يشعر ـ فى أعماقه ـ بمزيد من الأحتقار لحاكم دولة يخون شعبه وجيشه على هذا النحو الذى يثير الأشمئزاز .

الخديو توفيق : أولاد الكلب الفلاحين :

يقول الشيخ محمد عبده في كتابه تاريخ الأستاذ الأمام للشيخ رشيد رضا :

سال أحد الأميرالايات الذين في معية الخديو : مامصير الاسكندرية لوضربها الأنجليز ؟! فأجاب الخديو وهو يهز كتفيه : « ستين سنة » ..

فقال الضابط : لكن السكان سيحرقونها ، فأرجو أن تتوسط لدى الأمير فالوقت لايزال يسمح بذلك .. أستدع «ذوالفقار» وأعطه الأوامر بالمحافظة على المدينة فعنده من الرجال الكفاية ..

فأجاب الخديو : فلتحرق المدينة جميعها ولا يبقى فيها طوبة على طوبة .. حرب بحرب كل ذلك يقع على رأس « عرابى » وعلى رؤوس أولاد الكلب الفلاحين .. وسيذوق الأوربيون الملاعين عاقبة هروبهم مثل الأرانب .. !!

أن ينحاز الخديو ؟! :

أن المستر « الفـرد بلنت » يذكر لنا في كتابه التاريخ السرى لأحتلال بريطانيا لمصر (١) ما توصل الى معرفته بعد انتهاء الحرب عن موقف « الخديو توفيق » ، فيقول :

وبعد الحرب بزمن قصير .. وقفت بطريقة غريبة على سبب بقاء الخديو « توفيق » بالاسكندرية أثناء الضرب ، ولم يكن هذا المصدر سوى اللورد « تشارلز برسفورد » الذى كان قائدا للبارجة « كندور » أثناء ضرب الاسكندرية والذى أصبح مارشالا للاسكندرية بعد الاحتلال . فقد ذكر لي أن الخديو « توفيق » في لحظة من لحظات الصراحة غير العادية ، صرح له

---

(١) النسخة الانجليزية — ص ٣٨٠ وما بعدها

بأن سبب بقائه فى الاسكندرية أثناء الضرب (فى قصر المحمودية البعيد عن الضرب) لم يكن لسبب سوى أنه كان فى حيرة شديدة عن أى المتحاربين سيثبت أكثر من خصمه ... فقد كان الرأى السائد فى مصر آنذاك أن البوارج البريطانية سوف يتم اغراقها ، ولقد ظل الخديو فى حالة من الشك الباعث على الذعر طول نهاره فى الرمل ، حتى أنه كان يهرول الى سطح القصر كل نصف ساعة ليرى ما سيكون من أمرها .. ولما تبين فى المساء أنها ظلت سليمة (يقصد البوارج) وان الحصون المصرية قد دمرت ، عقد العزم - فى هذه اللحظة فقط - على أن يضع نفسه تحت حماية « سيمور » .

يقول « بلنت » :

لقد أدت تجارب سير « برسفورد » خلال الاسابيع التى قضاها فى الاسكندرية بعد ذلك الى أن ينظر الى « توفيق » باحتقار فى الوقت الذى كان ينظر فيه الى « عرابى » نظرة تشوبها العطف والتقدير ومعه أولئك الفلاحين الذين نهضوا بأعباء الحرب على الرغم من خيانة أميرهم (يقصد الخديو) .

حتى أعضاء مجلس العموم البريطانيين نظروا الى « عرابى » نظرة التقدير :

وقبل أن ننتقل من بحث موقف الخديو ، فأننا نورد فى نهاية هذا الفصل برهانا واضحا على مدى الاحترام الذى حظى به الزعيم « أحمد عرابى » - ليس فقط فى نظر « برسفورد » و « بلنت » « والقس صابونجى » والأخوان « برودلى » وغيرهم من الأنجليز والفرنسيين ذوى الضمائر الحية .

أن البرهان الذى نقصده ، هو تلك القائمة التى نشرت فى بريطانيا وقت محاكمة الزعيم « أحمد عرابى » ، والتى نرى فيها أسماء لمواطنين بريطانيين قدروا فى « عرابى » وطنيته ودفاعه عن تراب بلاده ، ومنهم أعضاء بارزين فى مجلس العموم البريطانى .

وصمة « العصيان » لجنود شرفاء يدافعون عن وطنهم ! :

ولا يفوتنى هنا أن أشير الى أحد العوامل الهامة فى انكسار الثورة العرابية والتف فى عضد أولئك الجنـــود الذين سرعان ما وجدوا أنفسهم بين شقى الرحى : ما بين مدافع « سيمور » ومن بعده « ولسلى » فى الميدان الشرقى ، وما بين أنياب الخـــديو « توفيق » الذى يصمهم وهم يؤدون أشرف واجب عرفتـــه البشرية بالخيـانة والعصيان ويهددهم بالويل والثبور وعظائم الأمور .. !!

فى يقينى أن منشور الخديو الذى وصم المدافعين مع « عرابى» بالعصيان قد أثر تأثيرا بالغا فى نفسية أولئك المدافعين لتتنـازعهم الوساوس والأفكار المتباينة التى تعمل على تشكيكهم فى شرعية هذه الحرب وشرعية اشتراكهم فى القتال رغم أنف رأس البلد وحاكمها.

لهذا لم يكن من المستغرب .. بل كان من الأمور الطبيعيـــة والمتسقة مع مجرى الأحداث ، أن تنمو بذور الخيـــانة والتفرقة والتحزب فى موقف دقيق للغاية يتطلب حشد كافة الجهود والنوايا المخلصة من أجل خوض حرب لا تمولها الحكومة ولا الدولة بل تمول من سراة البلد ورجاله الكرماء الذين يجودون بالمال والماشية والقمح والعتاد لنصرة جيش بلادهم فى هذه اللحظات المصيرية لقد دفع هذا الموقف المتخاذل للخديو ضعاف النفوس من أمثال الأميرالاى على بك يوسف والأميرالاى أحمد عبد الغفار وعبد الرحمن حسن ، والذين أمكن لرجال الخديو شراء ذممهم — أو حتى اقنـــاعهم بعدم شرعية ما يقومون به — فقاموا بارشاد قوات الجنرال « ولسلى » الى مواقع الجيش فى التل الكبير ولتتم المفاجأة الكبرى التى سرعـان مابدت آثارها المفجعة فى الأنهيـار الذى حاق بالخط الدفاعى كله ، وذلك على الرغم من تلك الومضـــات المضيئة لرجال ثبتـــوا فى مواقعهم وأبلوا بلاء حسنا فقاتلوا كالرجال الشرفاء عن عرضهم وعن وطنهم من أمثال البطل محمد عبيد — بطـل واقعة قصر النيـــل — الذى استشهد فى القتال ليدخل التاريخ من أوسع أبوابه الرحبة ، ومن أمثال الفريق « راشد باشا حسنى » — بطل معركة القصاصين — ومن أمثال البوزباشى حسن رضوان قائد المدفعية الذى ظل بمدافعه

صامدا حتى أسر وجىء به الى الجنرال « ولسلى » فسلم له سيفه تقديرا لبسالته وبسالة جنوده الأبطال ٠

وهكذا كان الانقسام الذى وقع بين جموع المصريين ومانشأ عن ذلك من وجود معسكرين متضادين هما معسكر الخديو ومعسكر عرابى ، من بين أهم العوامل التى هدمت الثورة العرابية وجاءت بالوبال على مصر كلها ، وهو بذاته العامل الذى أحسن الأنجليز أستغلاله وأستثمارة ليحققوا أغراضهم فى غزو مصر وأحكام السيطرة عليها تحت زغمواه هو العمل على حماية خديو مصر « محمد توفيق »

عين بريطانيا على مصر !! :

كذلك كان للعوامل السياسية الخارجية أثر لاينكر فى أخفاق الثورة العرابية ، فقد كانت بريطانيا ـ منذ زمن بعيد ـ أيام الحملة الفرنسية عام ١٧٩٧ ، تطمع فى احتلال مصر والسيطرة بذلك على طريق تجارتها الى الهند ـ درة التاج البريطانى فى الشرق ـ وبعد « بونابرت » ظلت ترقب توطد النفوذ الفرنسى فى البلاد عند الاتفاق على مشروع شق قناة السويس وما أعقب ذلك من افتتاحها فى هذا الموكب الصاخب لهذا لم يكن من المستغرب أن نرى بريطانيا تراقب الأوضاع فى مصر من أجل انتظار اللحظة الملائمة للأنقضاض عليها ٠٠ رأينا هذا فى حملة « فريزر » سيئة الحظ فى رشيد والتى سرعان ما انتهت بالفشل نتيجة صلابة المقاومة المصرية آنذاك ، ورأينا مؤامرات بريطانيا على مصر فى واقعة « نفارين » عام ١٨٢٤ وتدمير الأسطول المصرى هناك لأيجاد الذريعة المناسبة لأحتلال البلاد ، ثم فى معاهدة لندن (١٨٤٠) التى لم تتمكن وقتها بريطانيا من الانفراد بأحتلال مصر بسبب أطماع بقية القوى العظمى فيها ومناوئتها لأنفراد بريطانيا بالأستيلاء على مصر ، وهاقد حانت الفرصة المواتية أخيرا أمام « جلادستون » كى يرسل أساطيله بقيادة « سمور » الى مياه الأسكندرية للتحرش بعرابى ورجاله ٠ وفى غير هذا المكان ، نشرنا الوثائق البريطانية المتبادلة بين

الحكومة فى لندن وبين الأميرال « بوشامب سيمور » من فوق بارجة القيادة « أنفنسيبل » ، والتى تحث فيها لندن « سيمور » من أجل الأسراع بخلق الحجة واحتلال الأسكندرية ·

« كرومر » : لو لم نضرب « عرابى » !! :

يقول اللورد « كرومر » فى كتابه « الثورة العرابية » :

فلو ان هذا الثائر (يقصد أحمد عرابى) ترك وشانه فى ثورته ·· لما كان هناك أدنى شك فى انتصاره · ولكن بما ان خذلانه يرجع أساسا الى العمل البريطانى (ضرب الاسكندرية) فقد كان من الحق المطلق لبريطانيا أن تقرر هى دون غيرها مصيره ·· !

جمود الدور الأوروبى :

كذلك كان جمود الموقف الاوروبى حيال الاعتداء البريطانى المسلح على مصر ، مضافا اليه سؤنيه تركيا نحو مصر منذ أن قام « أحمد عرابى » مناديا بالاستقلال وسعيها الدائب من اجل العمل على استرداد مكانتها فى البلاد ، وهو الامر الذى ظهر جليا فى مسلكها المتذبذب بتاييد الخديو حينا ثم التظاهر بمناصرة « عرابى » حينا آخر ، ثم انضمامها فى نهاية الأمر الى جانب بريطانيا بأعلانها عصيان « عرابى » بينما كان القتال لايزال ناشبا بينه وبين خصومه العتاة ·· وهو الأمر الذى مثل ضربه موجعة ومجهضة للثورة العرابية ولامآل الشعب المصرى المتطلع الى الحرية وعلى الجانب لآخر مثلت عونا كبيرا لبريطانيا ولجيش الجنرال « ولسلى » ·

كما تجدر الاشارة هنا الى موقف فرنسا وترددها حيال « المسالة المصرية » ، وما جرى من سحب أساطيلها من مياه الأسكندرية ·· الأمر الذى مثل تشجيعا للاميرال « بوشامب سيمور » دفعه الى تقديم ساعة الصفر لاهتبال تلك الفرصة

الفريدة التى أتيحت له للعمل منفردا لأحتلال مصر والقضاء على الثورة العرابية •

الكفاءة القتالية للجيش العرابى المصرى :

تحدثنا فى غير هذا المكان عن حالة الجيش المصرى خلال النصف الأخير من القرن التاسع عشر — وهى فترة الحرب العرابية وضعف كفاءته القتالية بسبب ما فرضه عليه خلفاء «محمد على» من قيود وأهمال تمثل فى استبعاد العناصر المصرية عن قياداته بسبب ميلهم الى الأعتماد على الجراكسة والأتراك والألبان وغيرهم من بقية الأجناس ، كذا بسبب أهمالهم العمل على تدعيمه وأمداده بالأسلحة (التى كان يرجع معظمها الى عهد محمد على قبل ٤٠ سنه) • وبذلك خاض هذا الجيش القتال ضد أحد أحدث الجيوش العالمية تدفعه عاطفة الوطنية وحدها ، فلم يكن جيش عرابى الذى هو جيش مصر — منظما تنظيما عسكريا يسمح له بخوض معركة مصيرية يعتمد فيها الجانب البريطانى على فنون القتال الحديثة ومبادىء الحرب ونعنى بها خفة الحركة والتدريب والمعاومات والحشد والمفاجأة ، وهى بعينها المبادىء التى أجاد الجنرال « ولسلى » — على الرغم من أنه لم يكن قائدا لامعا على الاطلاق — المناورة بها أزاء خصم ليس لديه عنصر للمخابرات قادر على جمع المعلومات ، يقاتل اعتمادا على جمع المتطوعين الذين لم يجر تدريبهم قط على القتال من قبل ، وليست لديهم بالتالى خبرة قتال سابقة على الأطلاق ، كذلك كانت وحدات الفرسان المصرية تفتقر الى الجياد التى هى أساس تسليحها ، وبذلك فقدت هذه الوحدات أهم مميزات الفرسان وأعنى بها خفة الحركه والقدرة على المناورة ، وبالتالى أمكانية تحقيق المفاجأة فى الزمان والمكان المناسبين •

ولاشك أن جيش « أحمد عرابى » كان يمكنه خلال معارك القصاصين — فيما لو أحسنت قيادته وتدريبه — القيام باستغلال

النجاح المحدود لتوجيه ضربة قوية من مواقعه بالتل الكبير لتشتيت قوات « ولسلى » التى كانت تعاني فى ذاك الوقت أشد المعاناة من القتال فى تلك الصحراء القاحلة وأنعدام موارد المياه وقيظ شهر سبتمبر ٠

ولا يمكن أن ننهى حديثنا عن سوء الكفاءة القتالية لجيش عرابى دون أن نؤكد من جديد على عامل هام أثر بشدة فى تلك الكفاءة وكانت له أوخم العواقب فى نتيجة الحرب بأسرها ، حيث يمكننا أن نتصور حالة جيش يقاتل دون ميزانية أو دعم من الدولة على الأطلاق ــ ناهيك عن وصمه بالعصيان ــ بل يقاتل اعتمادا على أريحية الأهالى والوطنيين وما يجودون به من قمح ولحوم ، وتبقى أهم عناصر هذا الدعم ــ وهو التسليح ــ الذى بقى غائبا تماما ، فى حين كانت الأمدادات تتوالى على جيش « ولسلى من أوروبا دون انقطاع ، وهو أمر لا يمكن أسقاطه من حساباتنا ٠

وفى يقينى أن تلك العوامل مجتمعة ــ وهى التى تسببت فى هزيمة الجيش العرابى المصرى ــ لا يمكن لنا أن نحمل «عرابيا» وحده مسئوليتها ، حيث يتحمل حكام مصر من أبناء محمد على مسئوليتها أمام التاريخ ٠

قائمة المكتبين من أجل الدفاع عن « أحمد عرابى » في بريطانيا

	شلن	جنيه
اللورد ونتوزت		١٠٠
افريدريك هاريسون		
ج · باسمور (عضو برلمان)		٥٠
ريتشارد أيف		٥٠
سير وليم جريجورى		٢٥
وليم جون أيفلين (عضو برلمان)		٢٠
روبرت هاريسون		٣٠
سيرو لفريد روس (عضو برلمان)		٢٠
أيرل أوف ويميس		٢٠
أونورابل أ · برورك	١٠	١٠
	١٠	١٠
مبلغ جمعه فردريك هاريسون	١٧	٠٦١
جنرال لورد مارك كر	١٠	١
صمويل ستوى (عضو برلمان)	١٠	١٠
رايت أونورابل روبرت يورك (عضو برلمان)		١٠
ر · فورمبى		١٠

	شلن	جنيه
ت · س · كارجوم		١٠
اللادى جريجورى		١٠
ف · بكستون (عضو برلمان)		٥
لورد راندلف تشرشل (عضو برلمان)		٥
أدوارد كلارك		٥
ر · س · فيشر		٥
جنرال س · أ · غوردون (مع وعد بجنيه كل سنة)		٥
أونورابل أوبرون لفربرت		٥
ونتورث ـ س · هولد زوروثى		٥
ألفريد النجورث (عضو برلمان)		٥
أ · كنجليك		٥
فرنون واشنجتون		٥
سير هنرى موندوولف (عضو برلمان)		٥
أدرجار درمونة	٣	٣
الليدى دلاوار		١٠٠
جورج مرديث		٥
وولفريد ميثيل		٥

مراجـــع الكتـــاب

ـ احمد عرابى المصرى :

مذكرات عرابى : كشـــف الســـتار عن سر الأسرار فى النهضة المصرية المشهورة بالثورة العرابية في عامى ١٢٩٨ و ١٢٩٩ الهجريتين ، وفى ١٨٨١ و ١٨٨٢ الميلاديتين • (جزئين) •

ـ محمود الخفيف :

أحمد عرابى : الزعيم المفترى عليه ـ كتاب الهلال ـ القاهرة (جزئين) •

ـ محمد صبيح :

أيام وايام (١٨٨٢ ـ ١٩٥٦ •

ـ محمد فيصل عبد المنعم :

« مصر تحت السلاح » مكتبة القاهرة الحديثة ـ القـاهرة ، ١٩٧١ •

ـ حسن حافظ :

الثورة العرابية فى الميزان ـ سلسلة كتب قومية •

ـ محمود باشا فهمى :

مذكرات محمود فهمى ـ وثائق تاريخية ـ الشنناوى للنشر القاهرة •

ـ لورد كرومر :

الثـورة العرابيـة ـ ترجمة عبدالعزيز عرابى ـ الشركة العربية ـ القاهرة •

ـ على الجمبلاطى وآخرين :

فى الذكرى الخمسين للثائر القومى والزعيم الشعبى أحمد عرابى •

سلسلة كتب قومية ـ (١٣١) ـ القاهرة ، ١٩٦١ ·
ـ **تيودور رودشتين :**
تاريخ مصر قبل الأحتلال البريطاني وبعده ·
تعريب على أحمد شكرى : القاهرة ·

ـ **عبد الرحمن الرافعى :**
الثورة العرابية والأحتلال الأنجليزى ·
ـ **عبد الرحمن الرافعى :**
الزعيم أحمد عرابى

ـ **عمر طوســـون :**
يوم ١١ بولية ١٨٨٢·

ـ **د · على الحديدى**
محمود سامى البارودى شاعر النهضة

ـ **محمد أمين حسونة :**
كفاح الشعب من عمر مكرم الى جمال عبد الناصر (جزئين)

ـ **سليم خليل النقاش :**
« مصر للمصريين » طبعة القاهرة عام ١٨٨٤ م ـ الجـــزء الخامس ·

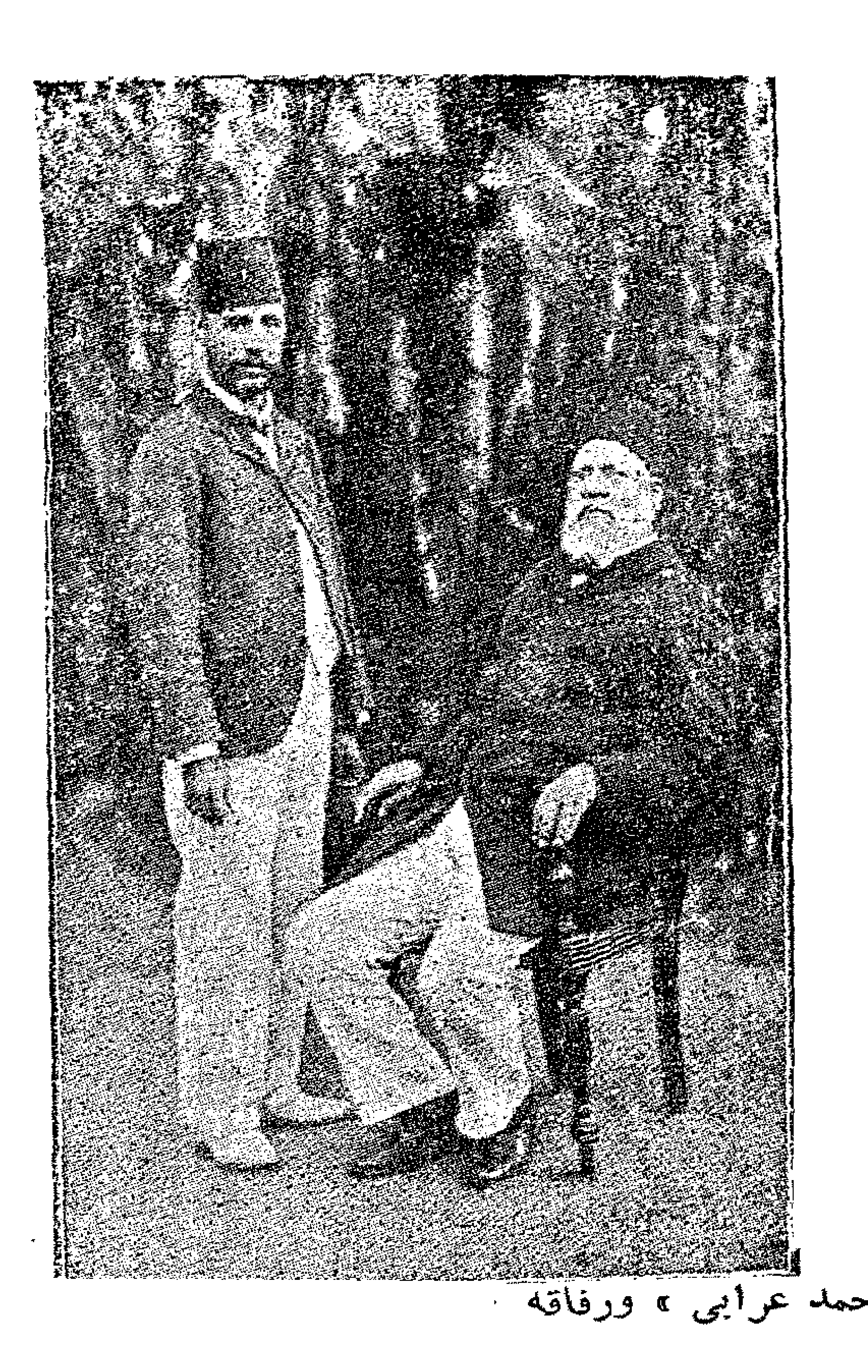
ـ **أمين سعيد :**
تاريخ مصر السياسى (من الحملة الأفرنسية الى انهيـــار الملكية ١٩٥٢) ·
ـ الكتاب الأزرق البريطانية) ·

(ـ اسماعيل باشا سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار

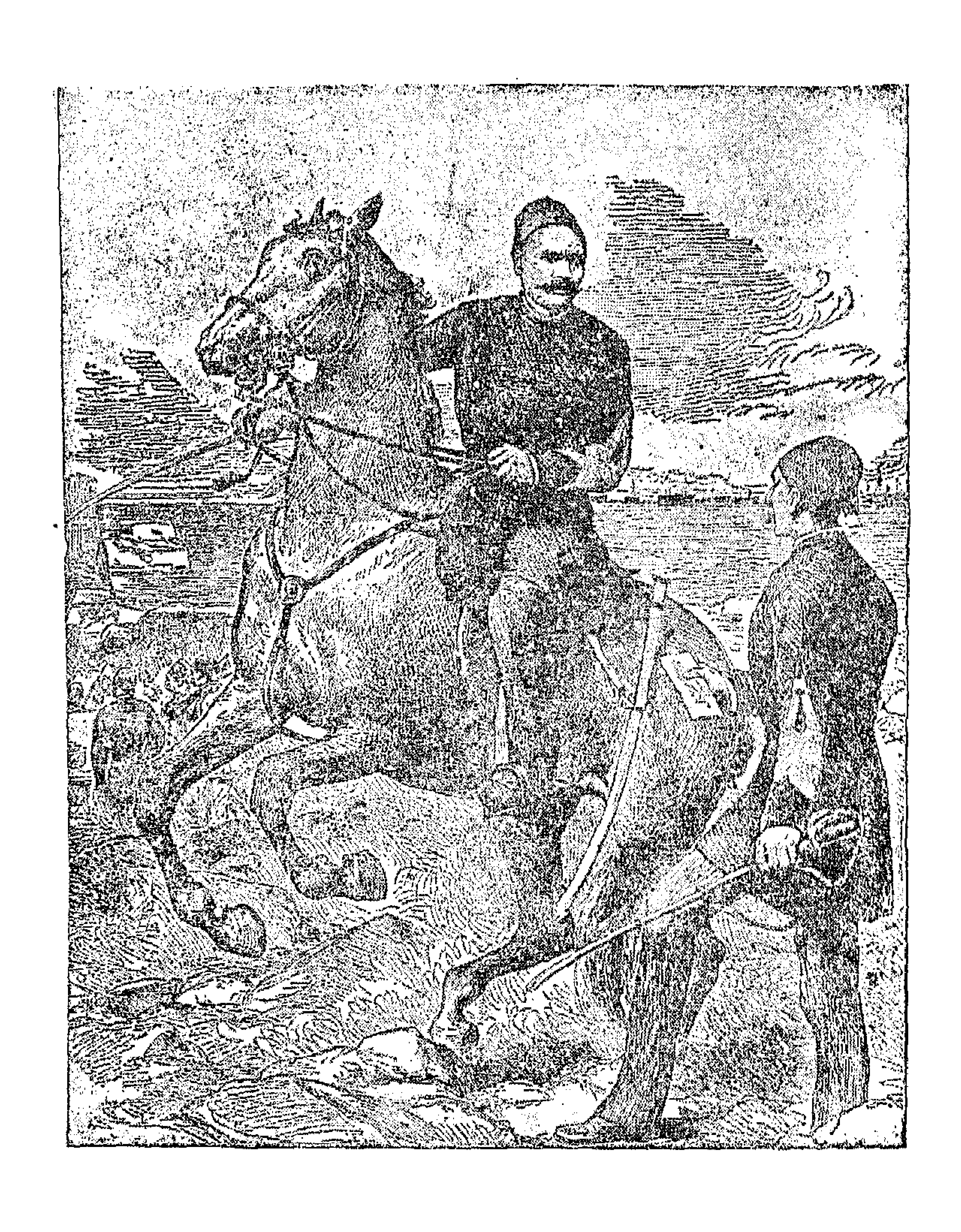
— SECRET HISTORY OF THE BRITISH OCC-UPATION OF EGYPT, BLUNT.

— Recollection of fourty years service, Major Tullock.

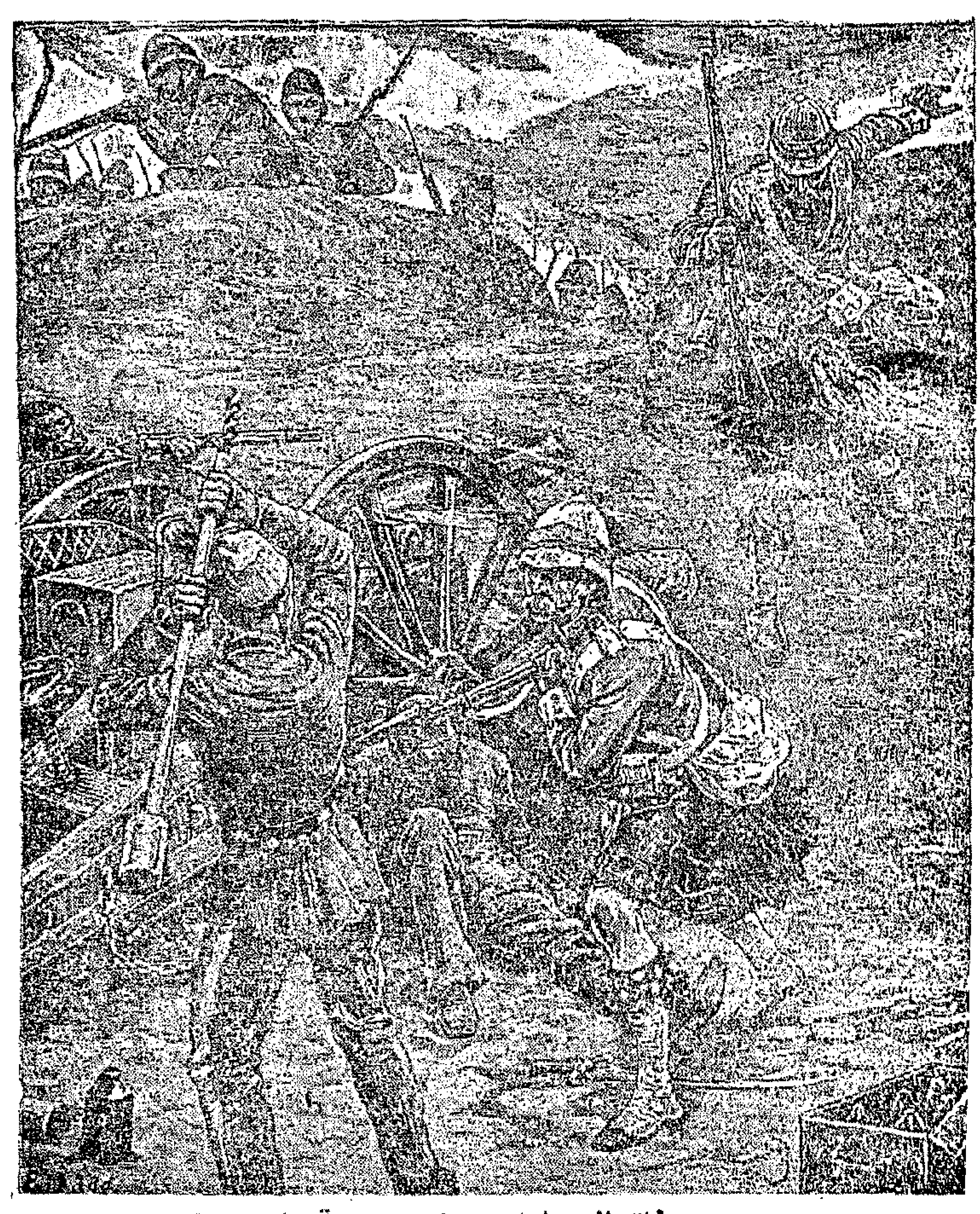




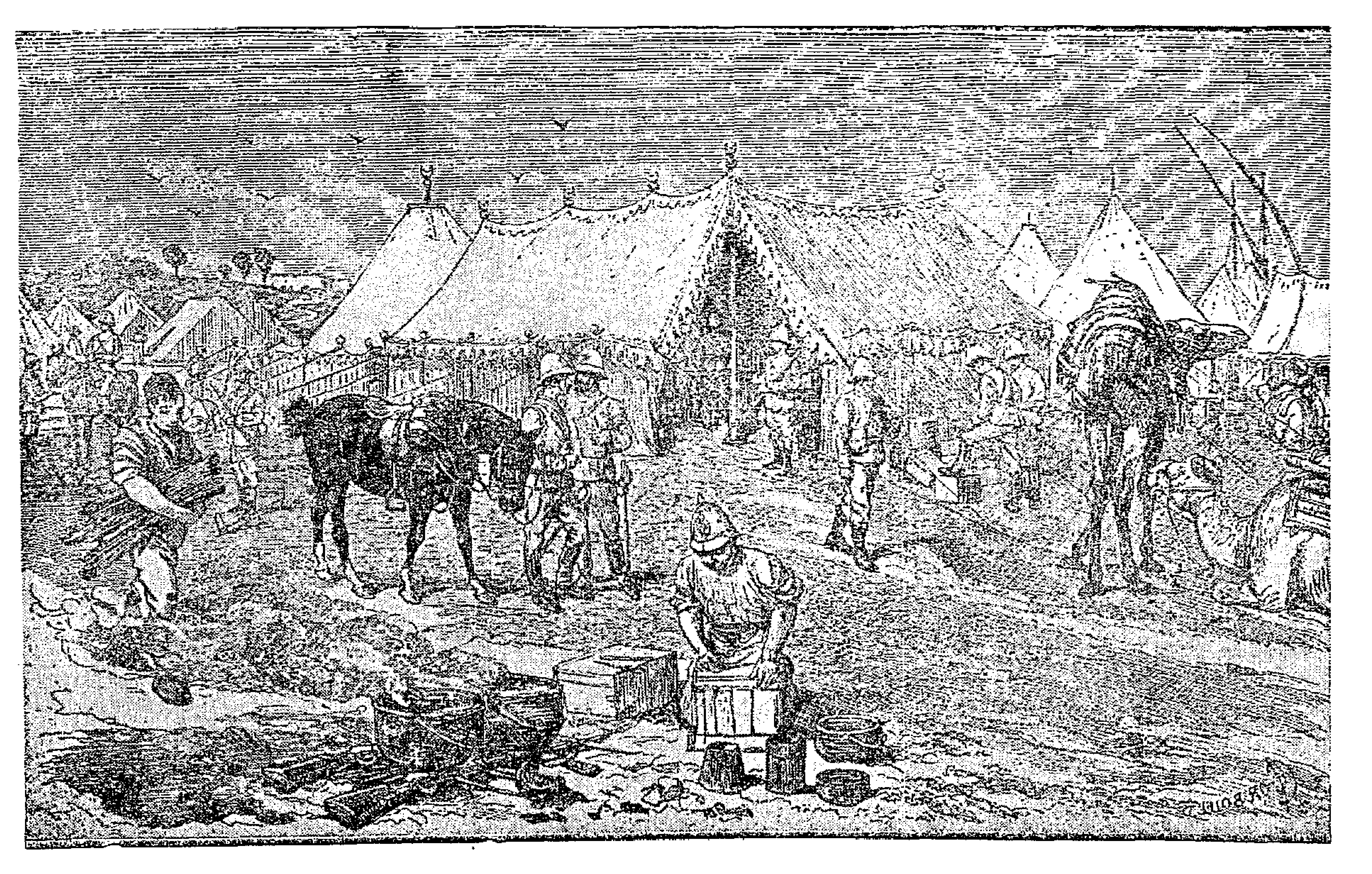
صور للزعيم « أحمد عرابي » ورفاقه



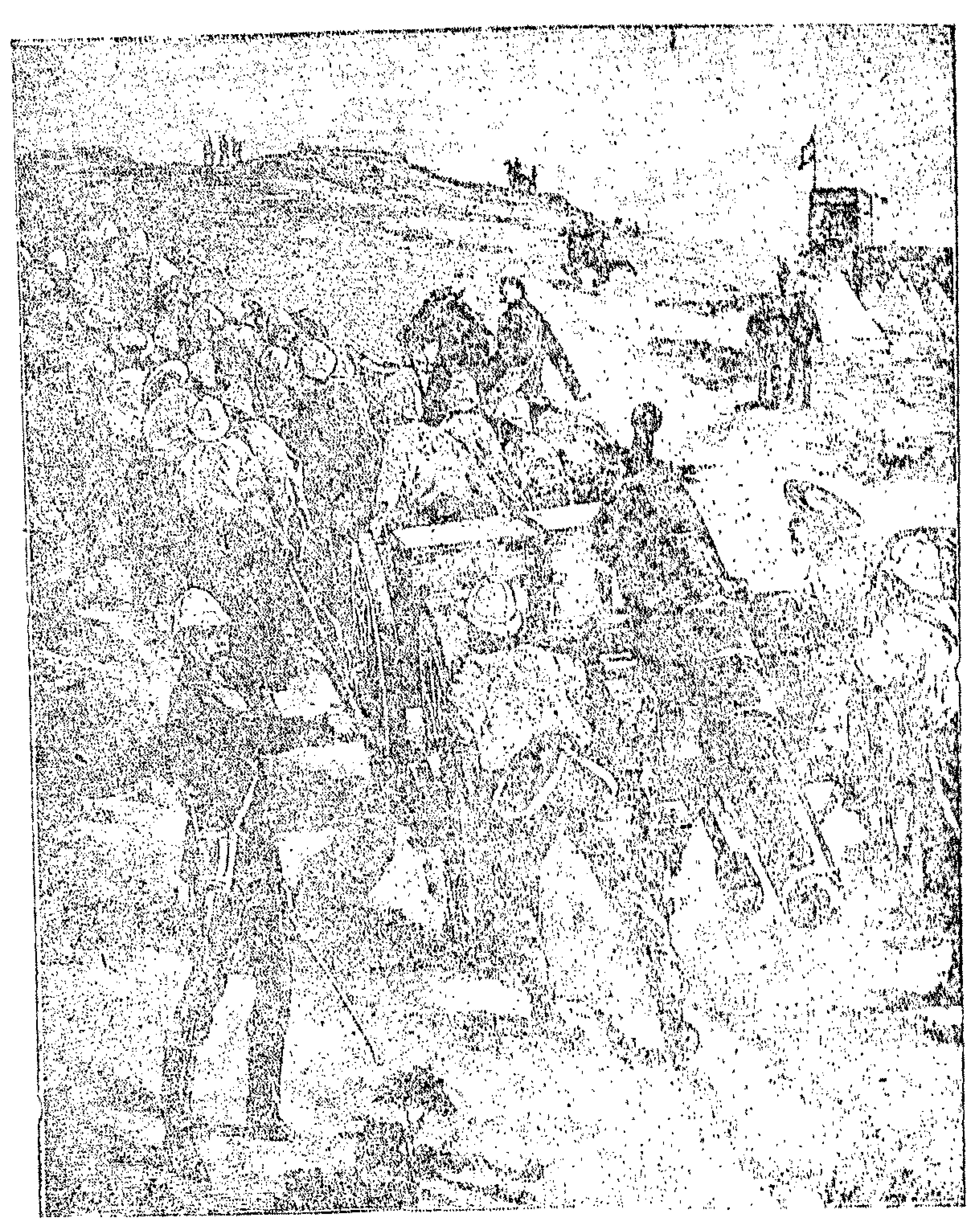
أحمد عرابى على صهوة جواده كما رسمه رســام مجلة (اللستريتيد لندن نيوز) البريطانية •



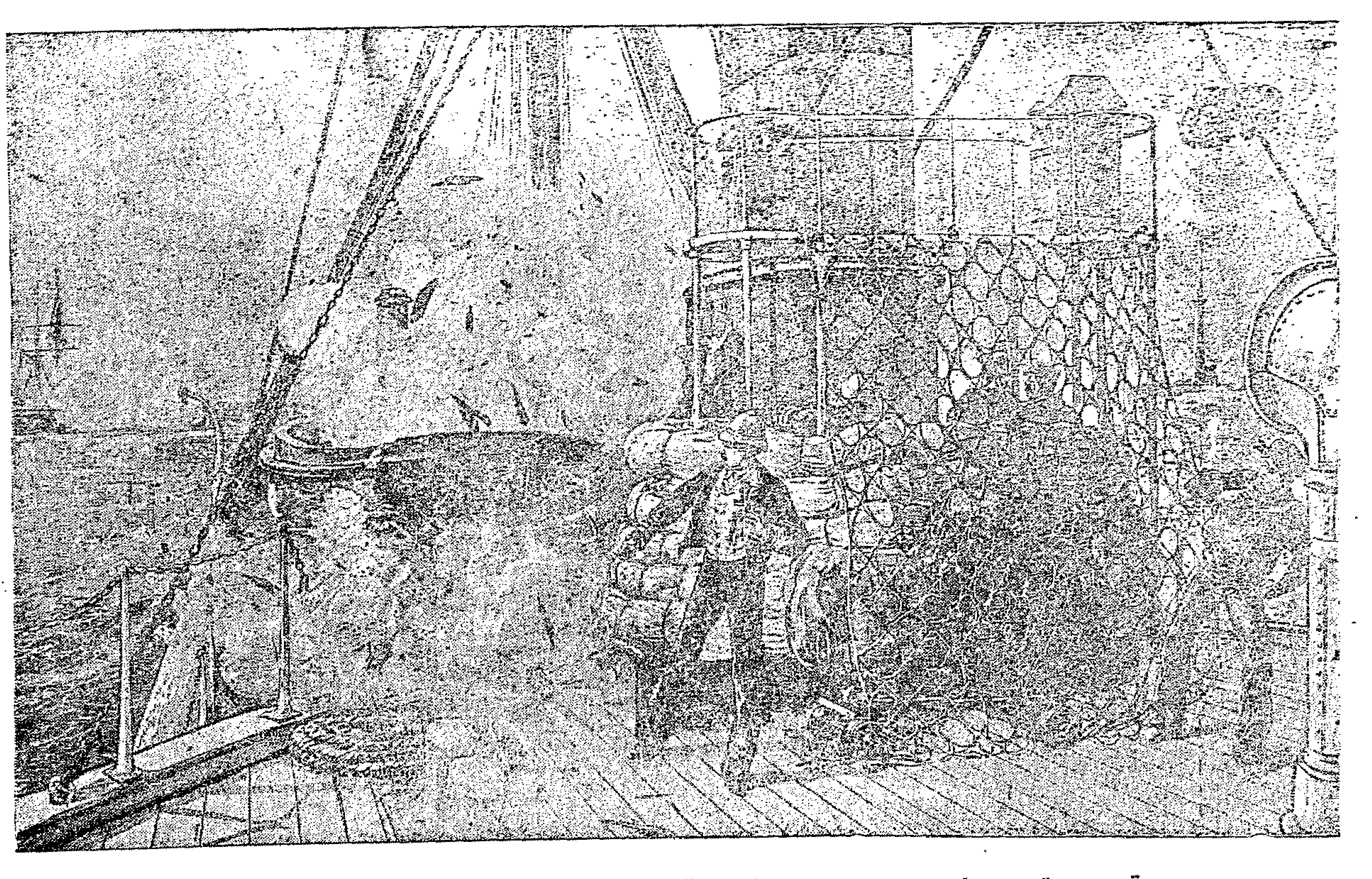
صورة للقتال المتلاحم فى موقعة التل الكبير بموقع البكباشى محمد عبيد ·



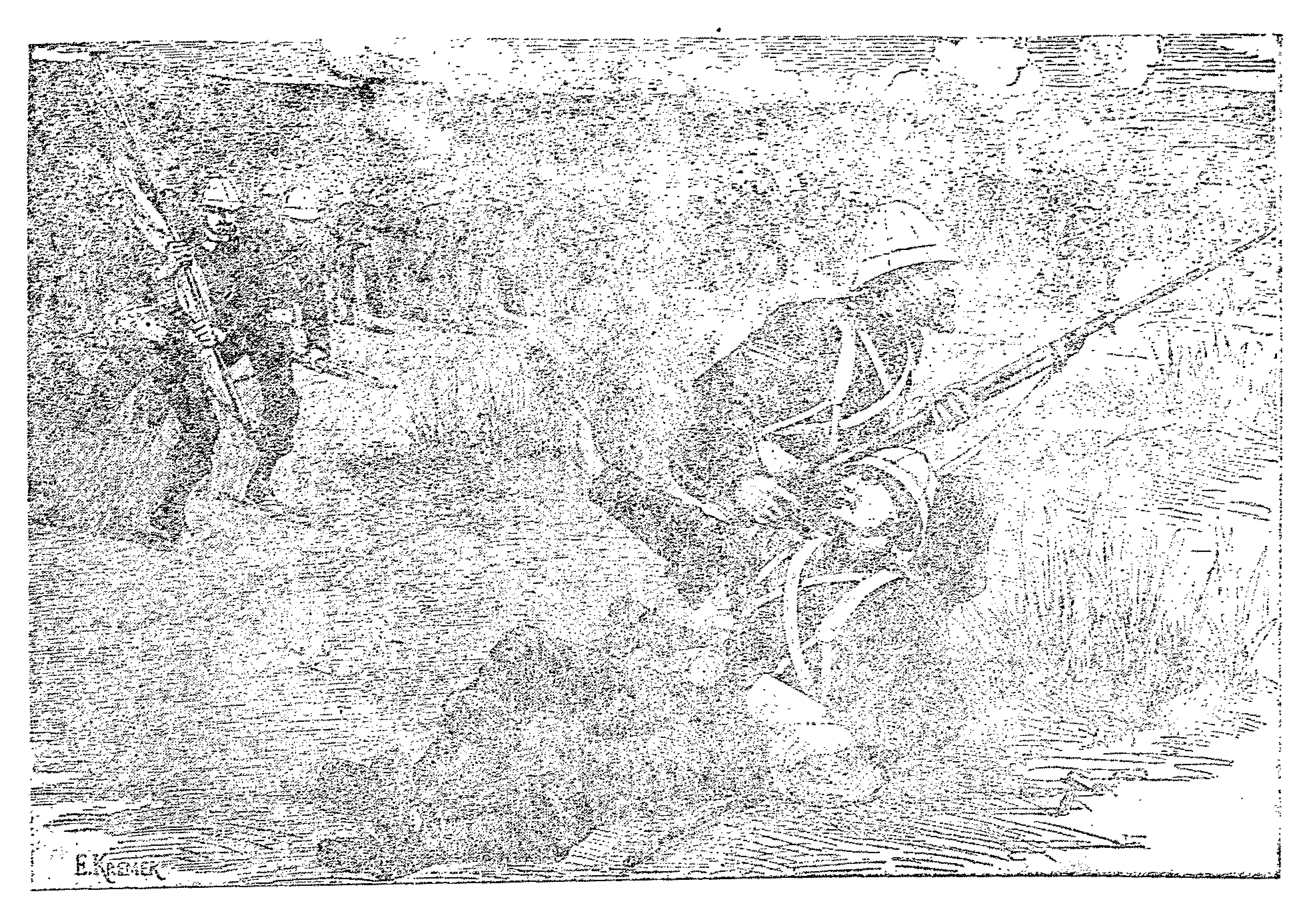
مقر قيادة احمد عرابى فى « التل الكبير » بعد استيلاء الأنجليز عليه



مدفع من عيار ٤٠ رطلا يجره جنود الجنرال (ولسلى) الى موقعه .



قذيفة مصرية من الحصون تصيب البارجة (الكسندرا) ـ ١١ يوليه ١٨٨٢



٩ – جندى بريطانى جريح فى معارك الجبهة الغربية كفر الدوار



فرسان فرقة البنغال أثناء الأقتحام فى موقعة (التل الكبير)

رقم الايداع ٤٤٢٨/ ٨٢
الترقيم الدولى ٣ ــ ١ ٠٠ ـ. ٣٥٢ ــ ٩٧٧
مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر



المؤلف والكتاب

● يعتبر مؤلف هذا الكتاب واحد من ابرز المؤرخين العسكريين فى منطقة الشرق الاوسط بما قدمه من مراجع عسكرية ومؤلفات عديدة عكست نظرته الثاقبة ، وفكرة المتجدد فى أسلوب شائق أخاذ يصحبك عبره الى ساحات القتال وميادين الحرب . فقرأنا له (أسرار حرب ١٩٤٨) و (مصر تحت السلاح) و (فلسطين والغزو الصهيونى) و (عندما سقطت السماء فوق اسرائيل) وغيرها ..

● ويعتبر كتاب (معارك الثورة العرابية) مرجعا فريدا من نوعه لما يقدمه فيه مؤلفه من تسجيل وتحليل للمعارك الحربية التى جرت بين جيش البطل احمد عرابى وبين جيوش الامبراطورية البريطانية من جهة أخرى ، متميزا بالنظرة المتجردة واعطاء كل ذى حق حقه ، مدعما وجهة نظره بالوثائق والبراهين التى لا يكاد يرقى اليها الشك .

● وهكذا يصدر هذا الكتاب ليعبر عن وجهة نظر مؤلفه المؤرخ العسكرى « محمد فيصل عبد المنعم » الذى يبدؤه معلنا بأنه « شهادة للتاريخ وليس دفاعا أعمى » .

« طبعت بالمطابع الجديدة لمؤسسة دار التعاون للطبع والنشر »